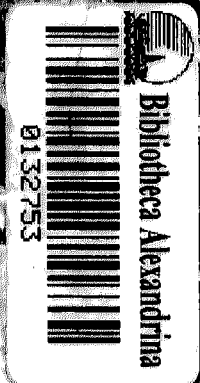


الانتماء

وجهادهم في بلاد الأناضول

الكنز
على بن صالح الحميد



الدانشمندیون

وجهادهم في بلاد الأناضول

تأليف

الدكتور/ علي بن صالح الخيميه

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

بكلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م

الناشر

مؤسسة شهاب الجامعة

ت ٤٨٣٩٤٧٢ - الإسكندرية

③ علي بن صالح المحميد ، ١٤١٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

المحميد ، علي بن صالح
الدانشمندیون وجهادهم في بلاد الاناضول.

... من ؛ سم

ردمك ٣-٤٠٦-٢٧-٩٩٦.

١- الإسلام - تاريخ ٢- تركيا - تاريخ ١-العنوان

١٥/٠٢٤٩

ديوي ٩٥٦

رقم الإيداع : ١٥/٠٢٤٩

ردمك : ٣-٤٠٦-٢٧-٩٩٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين ويعد-

فكانت الإمارة الدانشمندية واحدة من أهم الإمارات الإسلامية التركية التي سطع نجمها داخل الأناضول (تركيا الحالية)، حيث تفوقت منذ البداية بشكل ملحوظ على سائر الإمارات التركية الأخر المعاصرة لها داخل الأناضول كإمارة بني منكوجك، وإمارة بني سلق، وإمارة تزاخاس.

وخضعت الإمارة الدانشمندية في مرحلة مبكرة من تاريخ قيامها للخلافة العباسية، ورفعت راية الجهاد في سبيل الله.

وقد تمكن الأمير كمشتكين أحمد الدانشمند المؤسس الأول لهذه الإمارة في سيواس من ضم بعض المدن المجاورة لسيواس منتهزاً فرصة اضمحلال النفوذ البيزنطي في سائر أنحاء الأناضول وذلك عقب الهزيمة الكبيرة التي تكبدها البيزنطيون أمام السلاجقة الأتراك في معركة مناوجرد الشهيرة شرق الأناضول سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م. وحينما بسط الدانشمند سيطرته على أكثر الممتلكات البيزنطية ولى وجهه شطر المناطق الخاضعة لسيادة بعض القوى السياسية الأخر في المنطقة كدولة سلاجقة الأناضول في قونية، وحكام الأرمن في أرمينية الصغرى، والإمارات الصليبية الناشئة في أنطاكية والرها. وكان من شأن تعدد القوى السياسية المحاذية للإمارة الدانشمندية أن أصبح حكام الدانشمنديين مرتبطين بعلاقات سياسية وأخرى عسكرية واسعة النطاق مع سلاطين وأمراء هذه القوى الذين تأرجحت علاقاتهم بالدانشمنديين بين السلم تارة والحرب تارة أخرى على مدار فترة الحكم الدانشمندي التي تقدر بحوالي قرن من الزمان.

ولقد أصبحت الإمارة الدانشمندية في سيواس خلال عهود ثلاثة من أمرائها الأوائل وهم: كمشتكين أحمد الدانشمند وابنه الأمير غازي ومحمد بن غازي (٤٦٤، ٤٧٧هـ / ١٠٨٤، ١٠٧١هـ - ٥٣٧هـ / ١١٤٢م) قوة سياسية يحسب لها جيرانها حساباً

كبيراً فقد سيطرت على منطقة واسعة داخل الأناضول تمتد من أقصى الشمال قرب البحر الأسود وحتى مدينة ملطية في أقصى الجنوب الشرقي.

ومما يؤكد أن هذه الإمارة كان لها ثقل سياسي واضح أن بعض سلاطين السلاجقة في قونية استعانوا بها مرتين في جهادهم ضد الصليبيين وذلك حينما داهمت الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية مدن الأناضول. وقد تمكن الأمير كمشتكين الدانشمند من أسر أحد أمراء الصليبيين وهو بوهمند أمير انطاكية الصليبي الذي كان يعد أبرز وأقوى أمراء الحملة الصليبية الأولى. كما أسر غازي بن الدانشمند أميراً صليبيّاً آخر هو بوهمند الثاني ابن الأمير السابق.

وقد حظيت هذه الأعمال البطولية التي قام بها الدانشمنديون بتقدير الخلافة العباسية فبادرت إلى منح أمير سيواس غازي بن الدانشمند لقب ملك وهو لقب تشريفي لا تمنحه الخلافة عادة إلا للحكام الذين يظهرون ولاءً صادقاً وإخلاصاً كبيراً لها.

ولقد بلغ النفوذ الدانشمندي في وسط وشرق الأناضول حداً كبيراً بدليل أن السلطنة السلجوقية في الأناضول خضعت للسيطرة الدانشمندية قرابة تسعة عشر عاماً (١٠٢٩هـ / ١١٣٥م). ولم تتخلص من هذه السيطرة إلا حينما دب الصراع الداخلي بين أفراد الأسرة الدانشمندية الحاكمة في سيواس عقب وفاة ملك غازي ومانتج عن ذلك من انقسام الإمارة الدانشمندية إلى قسمين أحدهما في سيواس والآخر في ملطية وذلك سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م. ومما يدل على أهمية الإمارة الدانشمندية قبول الإمبراطورية البيزنطية في عهد أسرة كومنين (٧٤٧هـ / ١٠٨١م) وكذلك الدولة الزنكية في عهد الاتابك نورالدين محمود (٦٩٥هـ / ١١٧٤م) الدخول في عدة معاهدات وأحلاف سياسية مع بعض أمراء الدانشمنديين كانت موجهة في أغلب الأحوال ضد سلاطين السلاجقة في قونية بعد أن تخلصوا من السيادة الدانشمندية. غير أن المكانة السياسية المتميزة التي كان يتمتع بها الدانشمنديون لم تستمر لفترة طويلة فقد أدت الصراعات الجانبية التي قامت بين أفراد الأسرة الدانشمندية إلى تحطيمها، وازداد الأمر سوءاً لدرجة أن بعض أمراء الدانشمنديين دبّروا المؤامرات والدسائس مع قوى خارجية ضد بعضهم بعضاً، فاستغلت هذه القوى الفرصة

لإنكفاء نيران العداء بين أمراء الدانشمنديين كي تنقض على أملاكهم وتعمل على تقليص نفوذهم، وقد كان لسلاجقة قونية دور بارز في هذا الميدان، الأمر الذي ساعدهم على تجريد الدانشمنديين من بلادهم. ومن ثمّ التهامها الواحدة بعد الأخرى حتى سقطت جميعها بأيديهم.

وبعد هذه النبذة المختصرة للتعريف بالموضوع، هناك بعض الأسباب التي شجعتني على اختيار هذا الموضوع والقيام بدراسته. ويأتي في مقدمتها ما ذكره بعض المؤرخين عن الدانشمنديين ودورهم السياسي والحضاري داخل الأناضول. فقد قال عنهم المستشرق الفرنسي كازانفوا: ^(١) أنهم يمثلون حلقة وصل بين الحضارتين: الحضارة الإسلامية والحضارة النصرانية.

وقال عنهم بعض ^(٢) الباحثين الأتراك أن الدانشمنديين في بداية أمرهم ظهوروا عظماء، وكان الأمل معلقاً عليهم في خدمة السياسة الإسلامية داخل الأناضول.

ومما شدني كذلك إلى اختيار هذا الموضوع تلك الآثار الدانشمندية التي لا تزال قائمة حتى يومنا هذا في بعض مدن وسط وشرقي تركيا (الأناضول سابقاً) وماتخمه المتاحف التركية حالياً من نماذج متنوعة للمسكوكات الدانشمندية التي قام بعض المتخصصين في علم المسكوكات بدراستها ونشرها. ومن بين أسباب اختيار هذا الموضوع محاولة الباحث إضافة رصيد علمي جديد إلى المكتبة العربية التي تفتقر إلى مثل هذه الدراسة المستقلة الكاملة عن إحدى الإمارات التركية التي ظهرت في الأناضول خلال العصور الوسطى وكانت معاصرة لدولة سلاجقة الروم.

وعندما عقدت العزم على دراسة هذا الموضوع وضعت نصب عيني غموض تاريخ الأناضول السياسي بصفة عامة، وتاريخ الدانشمنديين بصفة خاصة. فقد قال الباحثان التركيان رضوان نافذ وإسماعيل حقي: ^(٣) «إن تاريخ الأسرة الدانشمندية التي بدأت بالأمير دانشمند مظلم ومشوش». وأضافا: «بأن

1) Casanova (p.): La Numismatique. des Danichmendites Revue Numismatique 1894-1896: Tirage a Part. Paris 1896. PP.32-33.

(٢) نجيد، حلم ومحمد عارف: عثمانلي تاريخي، استانبول ١٣٣٥هـ، برنجي جلد، ص ١٦٧.

(٣) سير اس شهري: استانبول ١٩٢٨م، ص ١٦.

المصادر والوثائق التي اعتمدا عليها عند دراستهما تاريخ مدينة سيواس - مقرر الإمارة الدانشمندية - كانت غير كافية لتكوين التاريخ الكامل لتلك الأسرة التي كان لها دور كبير في تتريك الأناضول».

وفي هذا الصدد قال المستشرق الألماني مورتلمان: (١) «إنه بعد حصوله على قطعة عملة معدنية اكتشف أنها لأحد أمراء الدانشمنديين، وعندما أخذ يبحث في تاريخ هذه الأسرة للتأكد من هذه القطعة وجد أن تاريخ الدانشمنديين لم يكتب أبداً في ملحق خاص».

أما المستشرق لسترنج (٢) فيرى: «أن تاريخ السلاجقة عموماً في بلاد الروم وخلفائهم الأمراء التركمان العشرة المنتهي بقيام سلاطين آل عثمان أغمض دور في جميع التواريخ الإسلامية للأسف...».

وحينما فرغ الأستاذ رنسيما (٣) من تأليف كتابه (تاريخ الحروب الصليبية) قال: «ليس ثمة مصادر تعالج مباشرة تاريخ الترك في بلاد الأناضول». وقد نقل رنسيما عن المؤرخ ابن بيبى قوله: «إنه ليس بوسعنا أن يشرع في كتابة تاريخ عن السلاجقة قبل سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م أي السنة التي مات فيها السلطان السلجوقي قليج أرسلان الثاني نظراً لافتقاره إلى المادة التاريخية». ويتضح مما سبق هدف هذا البحث، وأهمية موضوعه، وحاجته إلى دراسة خاصة تكشف جوانب الغموض فيه.



1) Mordtmann A.D: Die Dynastie der Danischmende dans Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft xxx Leipzig 1876. p.472.

(٢) بلدان الخلافة الشرقية، تحقيق بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط١ بيروت ١٩٨٥م، ص ١٧٢.

(٣) ستيفن رنسيما: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ط١، بيروت ١٩٦٨م، ج ٢، ص ٧٨٥.

عرض ودراسة لأهم مصادر البحث

اعتمدت في إعداد هذا البحث على مصادر أصيلة أعدها شهود عيان، ومؤرخون معاصرون للأحداث خلال الفترة التي تناولها البحث، هذا بالإضافة إلى بعض المصادر المتأخرة نسبياً والتي نقل أصحابها مادتهم عن المؤرخين المتقدمين. ونظراً لأن أغلب فصول رسالتي تدرس موضوع علاقات الدانشمنديين السياسية مع القوى الخارجية فقد تطلب ذلك الرجوع إلى مصادر غير عربية كالسريانية والأرمنية واليونانية واللاتينية إلى جانب التركية والفارسية. وقد وفقت ولله الحمد في الحصول على أعداد لا بأس بها من المصادر خلال رحلاتي العلمية التي قمت بها إلى سوريا وتركيا ومصر حيث قمت بالبحث عن هذه المصادر في مكتبات بعض الجامعات والمعاهد في هذه البلدان كالمعهد الفرنسي في دمشق، والمعهد الفرنسي في استانبول بتركيا، والجمعية التاريخية التركية في أنقرة. وبعض المكتبات الأخرى في استانبول مثل المكتبة السليمانية، ومكتبة مُلت، ومكتبة طوب قابي سراي. كما أنني حصلت على بعض هذه المصادر عن طريق الاستعارة من مكتبات بعض الأساتذة والزملاء في بعض الجامعات السعودية والعربية. واتفقت مع عدد من الأخوة الأساتذة المتخصصين في الجامعات العربية والتركية لترجمة كل ما يخدم موضوع رسالتي من هذه المصادر الأجنبية.

وعندما بدأت في الكتابة رايت أن يكون منهجي في تناول هذا الموضوع هو التركيز على النقد والتحليل وأجراء المقارنات بين ما في بطون هذه المصادر من معلومات.

وعند عرض المصادر وتحليلها بدأت بالمصادر الإسلامية (العربية ثم التركية فالفارسية) ثم المصادر غير الإسلامية (السريانية والأرمنية ثم اليونانية فاللاتينية).

أولاً: المصادر العربية:

قدمت بعض المصادر العربية لهذا البحث مادة علمية قيمة وإن كانت شحيحة بعض الشيء مقارنة بغيرها من المصادر، حيث أوردت المصادر العربية أخبار الدانشمنديين مجزأة ومتفرقة، وقامت بتذييلها في خضم أحداث تاريخية أخرى.

ويعد كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي أبي يعلى حمزة المتوفى سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م واحداً من أقدم وأفضل المصادر العربية المعاصرة للدانشمنديين. فقد تطرق إلى حادثة أسر بوهمند، كما انفرد بذكر النزاع الذي نشب سنة ٤٩٦هـ / ١١٠٣م بين الدانشمند وبين السلطان السلجوقي قليج أرسلان الأول قرب مدينة مرعش^(١).

كذلك قدم المؤرخ العظمي محمد بن علي الحلبي المتوفى سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٣م بعض المعلومات عن الأسيرة الدانشمندية في كتابه «تاريخ العظمي» الذي نشر المستشرق كلود كاهن القسم الأخير منه في المجلة الآسيوية^(٢).

أما كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم المتوفى سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م فقد تميز عن غيره من المصادر العربية بذكر حادثة اختطاف الأمير الدانشمندي ياغي بسان بن غازي لزوجة السلطان السلجوقي قليج أرسلان الثاني سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م عندما كانت في طريقها من مدينة أرضروم شرقي الأناضول مقر إمارة أبيها عز الدين سلق بن علي، إلى العاصمة السلجوقية قونية^(٣).

ثانياً: المصادر التركية:

توفرت لدينا مجموعة من المصادر التركية المتضمنة مادة علمية لا بأس بها عن الأسيرة الدانشمندية الحاكمة في سيواس. وتأتي أهمية هذه المصادر من حيث إنها نقلت معظم رواياتها عن مصادر باتت مفقودة في وقتنا الحاضر.

□ ويعد كتاب محمود بن علي آقسرائي^(٤) «تاريخ السلاجقة» أو «مسامرة

(١) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، بيروت ١٩٠٨م، ص ١٣٨، ١٤٣.

(٢) العظمي: تاريخ العظمي، نشره كلود كاهن في:

Journal Asiatique Rome CCXXX (September 1938, PP.354-448).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٧٩م، ج ١١، ص ٣١٧.

(٤) آقسرائي: مسامرة الأخبار، تحقيق عثمان توران (بدون مكان وتاريخ النشر) ص ٢٧-٣٠.

الأخبار ومسيرة الأخيار» من أبرز المصادر التركية التي حصلنا عليها. ويتكون هذا الكتاب من أربعة أقسام. وقد حرره مؤلفه سنة ١٧٣٢هـ / ١٣٢٣م، وقدم للبحث معلومات حول بداية ظهور الدانشمنديين، وما جرى بينهم وبين سلاجقة الأناضول من اتصالات مبكرة، كما تناول هذا المصدر جانباً من علاقات الدانشمنديين بالدولة الزنكية في عهد الأتابك نورالدين محمود.

□ وهناك مصدر تركي آخر لا يقل أهمية عن سابقه وهو كتاب منجم باشي^(١) وعنوانه «منجم باشي تاريخي» الذي يتألف من عدة أجزاء أهمها بالنسبة لهذا البحث الجزء الثاني الذي أفرد فيه المؤلف فصلاً بعنوان «ذكر الدانشمند من ملوك الروم» أشار فيه إلى أصل الدانشمنديين، وبداية ظهورهم. وتحدث كذلك فيه عن بعض أمرائهم في سيواس.

□ كذلك قدم لنا المؤرخ التركي هزارفن حسين أفندي^(٢) في مخطوطه «تنقيح تواريخ الملوك» معلومات عن الفتوحات الدانشمندية المبكرة داخل البلاد البيزنطية وعن ظروف قيام إمارة سيواس.

□ ومن المصادر التركية كذلك يأتي مخطوط «مرقات الجهاد»^(٣) للمؤرخ مصطفى دفتري ابن أحمد الشهير «بعلالي» وهذا المخطوط لا يزيد عن كونه شرحاً للرواية الملحمية «دانشمندنامه»^(٤) Danismend name التي جرى تدوينها في فترة متأخرة عن الحكم الدانشمندي وذلك في عهد السلطان السلجوقي عزالدين كيكاوس الثاني (٦٤٤- ٦٤٧هـ / ١٢٤٦- ١٢٤٩م) كما أنها تفتقر كثيراً إلى الدقة، ولا تخلو من التحريف خاصة فيما يتعلق ببعض الشخصيات والمواقع الجغرافية.

وقد ذكر هذا الكتاب المخطوط الفتوحات التي قام بها مؤسس إمارة

(١) منجم باشي: منجم باشي تاريخي، ترجمة سي، جلد ثاني، (بدون مكان والنشر) من ٥٧٥.

(٢) هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، مخطوط جامعة القاهرة تحت رقم (٢٧٨٥).

(٣) عالي: مرقات الجهاد، مخطوط مكتبة روان كوشكي، طوب قلبي سراي، استانبول، تحت رقم (٣٦٤). وانظر كتبه المخطوط: فصول حل وعقد أصول خرج ونقد، مخطوط مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم (٢٥٣٧).

(٤) عارف علي: دانشمندنامه (تاريخ ملك دانشمندغازي) مخطوط مكتبة ملّت، استانبول تحت رقم (٥٧١) Tarihi.

الدانشمنديين في سيواس داخل المناطق البيزنطية، ولم يذكر المؤلف زمن وقوع هذه الفتوحات، كما لم يشر إطلاقاً إلى بقية أمراء الدانشمنديين. ولهذه الأسباب توخينا الحذر عند الرجوع إلى كل من مخطوط «مركات الجهاد» ومخطوط «دانشمندنامه».

ثالثاً: المصادر الفارسية:

من أهم المصادر الفارسية التي اعتمد عليها الباحث كتاب «تاريخ كزيدة» لحمدالله مستوفي القزويني الذي ولد في مدينة قزوین سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨٣م وقد أمدنا مصنفه ببعض المعلومات عن علاقات الدانشمنديين السياسية بسلاجقة الأناضول، والدولة الزنكية. وقد اخطأ هذا المؤرخ حينما قال إن الأمير الدانشمندي إسماعيل بن ذي النون هو آخر أمراء سيواس (١)، والواقع أن إسماعيل ليس ابناً لذي النون، كما أنه لم يكن هو آخر أمراء سيواس، بل إن آخرهم كان هو الأمير ذا النون بن محمد.

□ ورجع الباحث كذلك إلى كتاب «روضة الصفا» (٢) لمؤلفه ميرخواند حميدالدين محمد الذي ولد في مدينة بلخ بخراسان سنة ٨٣٧هـ / ١٤٣٤م، وتوفي سنة ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م قبل أن يكمل كتابه فقام ابنه خواندمير غياث الدين المولود سنة ٨٨٠هـ / ١٤٧٦م بتمامه (٣)، ثم شرع خواندمير بعد ذلك في تأليف كتابه المعروف «حبيب السير» (٤)، وقد أمد كتابا «روضة الصفا» و«حبيب السير» هذا البحث بمادة قيمة تتعلق بالاتصالات السياسية التي تمت بين الدانشمنديين وبين بعض الحكام المسلمين كالسلاجقة والزنكيين. ولكن يؤخذ عليهما أنهما أشارا إلى حملة عسكرية قام بها البيزنطيون ضد إمارة سيواس عند بداية تأسيسها فأغفلا ذكر اسم الامبراطور الذي قاد هذه الحملة وزمن وقوعها، مما جعلها في غاية الغموض.

(١) حمدالله مستوفي: تاريخ كزيدة، طهران ١٣٣٩هـ، ص ٤٧٥.

(٢) ميرخواند: روضة الصفا، طهران ١٣٣٩هـ، ش، جلد چهارم، ص ٣٥٣.

(٣) عباس العزاوي: التعريف بالمؤرخين، بغداد ١٩٧٥م، ج ١، ص ٢٢٣، ٢٢٥.

(٤) خواندمير: حبيب السير في أخبار أفراد البشر، ط ١، طهران ١٣٣٣هـ، ش، جلد دوم، ص ٥٣٨.

رابعاً: المصادر السريانية والأرمنية:

تأتي حولية المؤرخ ميخائيل السرياني (١) في مقدمة المصادر السريانية التي استفاد منها الباحث. وقد ولد ميخائيل السرياني في مدينة ملطية سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م (٢)، وقيل سنة ٥٢٠هـ / ١١٢٦م، وتولى عدداً من المناصب الدينية كان آخرها منصب بطريرك السريان في مدينة انطاكية من عام ٥٦١هـ إلى ٥٩٦هـ / ١١٦٦-١١٩٩م. كتب ميخائيل حوليته سنة ٥٩٢هـ / ١١٩٦م أي قبل وفاته بثلاث سنوات، وظل كتابه مجهولاً زمناً طويلاً إلى أن أشار إليه القس يسوع آل توما بطريرك اليعاقبة السريان في كتابه «ترجمة مختصرة لأرمنية» وقد قام الباحث الفرنسي «شابو Chabot» بترجمة ونشر حولية ميخائيل السرياني باللغة الفرنسية في أربعة أجزاء يهمنها منها الجزء الثالث الذي اعتمدنا عليه كثيراً إلى جانب الترجمة العربية التي قامت بها الأستاذة: زاكية رشدي، وشملت أجزاء من حولية ميخائيل السرياني، وقامت بوضعها تحت عنوان «الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني» (٣). وقد أمدنا ميخائيل السرياني بمعلومات قيمة عن أكثر أمراء الدانشمنديين، وبالذات حكام فرع ملطية الذين لم نجد لهم سوى ذكر يسير في المصادر الأخر المتوفرة بين أيدينا. كذلك تحدث ميخائيل عن الخلافات الداخلية التي نشبت بين بعض أفراد الأسرة الدانشمندية في ظل صراعهم على السلطة. وزودنا بمادة طيبة عن العلاقات الدانشمندية السلجوقية. ويؤخذ على هذا المؤرخ التناقض الواضح أحياناً في بعض رواياته فقد أشار إلى أن السلاجقة قتلوا الأمير الدانشمندي ياجان بن غازي ثم ذكر في موضع آخر أن الأمير ياجان لقي حتفه على يد أخيه الأكبر الأمير محمد بن غازي (٤).

1) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien (Traduite en Français. par Chabot. Paris 1905. Vols.4.).

٢) محمود عمران: السلسلة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل، الأسكندرية ١٩٨٥م، ص ٢٤.

٣) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ترجمة وتعليق زاكية رشدي، ترجمة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٢م.

4) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P 224,238.

كذلك خلط ميخائيل بين أمير سيواس ملك غازي وبين الأمير ايلغازي بن ارتق عندما ذكر بأن الأمير غازي بن دانشمند قاد حملة على انطاكية سنة ٥١٣هـ / ١١١٩م^(١) والواقع أن الذي قام بهذه الحملة هو ايلغازي بن ارتق بشهادة عدد (٢) من المؤرخين، ولعل التشابه بين الاسمين أوقعه في هذا الخطأ.

□ ويعد كتاب «تاريخ الزمان» لابن العبري من المصادر السريانية الهامة لموضوع دراستي. وابن العبري هو «ابوالفرج غريغوريوس جمال الدين بن الشماس». وقد اشتهر بلقب ابن العبري نسبة إلى قرية عبرا الواقعة على نهر الفرات. وقد ولد سنة (٦٢٣هـ / ١٢٢٦م) ويعتبر كتابه «تاريخ الزمان» الذي بدأ في تأليفه سنة (٦٧٣هـ / ١٢٧٦م) تكملة لحولية ميخائيل السرياني حتى سنة ٦٨٣هـ تقريبا / ١٢٨٦م وهو تاريخ وفاة أبي الفرج بن العبري.

وقد استفاد الباحث من الترجمة العربية التي أعدها إسحاق أرملة، حيث أمدنا بمعلومات مهمة حول قيام إمارتي الدانشمنديين في كل من سيواس وملطية، كما تحدث عن بداية ظهور الدانشمند في سيواس، وهنا يؤخذ على ابن العبري أنه خلط بين الأمير دانشمند وبين ابنه إسماعيل. (٣)

□ وقبل أن ننهي الحديث عن المصادر السريانية نذكر مصدراً أرمنياً مهماً استفدنا منه هو «تاريخ متى الرهاوي»^(٤). وقد ولد متى الرهاوي في مدينة الرها، وتاريخ ميلاده ليس معروفاً، ويبدأ تاريخه من سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م وينتهي بأحداث سنة ٥٣١هـ / ١١٣٦م ويبدو أن هذا المؤرخ قد توفي سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م وقد أكمل تلميذه الكاهن جريجوار Gregoire كتابه حتى وفاته سنة ٥٥٩هـ / ١١٦٣م. (٥)

وتأتي أهمية تاريخ متى الرهاوي بحكم أنه عاش في مدينة الرها المجاورة

1) Michel le Syrien: Op.Cit. P.204.

(٢) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص٢٠٠؛ العظمي: تاريخ العظمي، ص٢٨٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٥٣٣.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ترجمة إسحاق أرملة، بيروت ١٩٨٦م، ص١١٨.

4) Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait. in (R.H.C.Doc. Arm.1).

(٥) جوزيف نسيم يوسف: العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، بيروت ١٩٨١م، ص٢٥.

تماماً لحدود الامارة الدانشمندية في سيواس من ناحية الجنوب. وكان هذا المؤرخ من بين المؤرخين القلائل الذين اشاروا إلى أن وفاة الدانشمند كانت سنة ٤٩٩هـ / ١١٠٤م (١١٠٥م) وقال عنه أنه من أصل أرمني، وقد أسهب متى الرهاوي في الحديث عن أسر بوهمند، والمسعفي الحثيثة التي بذلها نفر من أمراء الأرمن لدى الدانشمند من أجل إطلاق سراح هذا الأمير الصليبي^(١).

خامساً: المصادر اليونانية:

حملت مجموعة من المصادر البيزنطية بين طياتها مادة علمية جيدة تتصل بموضوع هذا البحث ويأتي في مقدمة هذه المصادر كتاب الالكسياد The Alexiad للأميرة (آناكومنين) ابنة الإمبراطور الكسيوس.

ولدت (آنا) سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م وتوفيت بعد سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م والكتاب عبارة عن سجل شامل لتاريخ الإمبراطورية البيزنطية في الفترة ما بين ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م و٥١٢هـ / ١١١٨م. وقد وضعته ابنة الإمبراطور ليكون سجلاً حافلاً لحياة والدها.

وقد بدأت آنا كومنين تأليف كتابها سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م والكتاب وضع باللغة اليونانية وترجم إلى الإنجليزية والفرنسية عدة مرات^(٢) وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على الترجمة الإنجليزية التي قام بها سوتر E.R.A.Sewter. والمعلومات التاريخية التي أمدنا بها كتاب الالكسياد على درجة كبيرة من الأهمية خاصة وأنه أحد المصادر المعاصرة لفترة هذا البحث. فقد تطرق إلى بعض الثورات التي قامت داخل الإمبراطورية خلال فترة قيام امارة الدانشمنديين في سيواس مما ساعد هؤلاء على الظهور والاستقرار دون أن يواجهوا مشاكل من الإمبراطورية.

كذلك تطرقت المؤلفة إلى جوانب من علاقات الدانشمنديين مع الإمبراطورية البيزنطية في عهد والدها الإمبراطور الكسيوس كومنين. ويعتبر الالكسياد من

1) Matthieu d'edesse: Chronique Extrait Arm. I. PP.230,256.

(٢) عبدالغني محمود عبدالعاطي: السياسة الشرقية للإمبراطورية في عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين، القاهرة ١٩٨٣م، ص ١٤-١٥.

١- فتحية النبراوي: حياة الإمبراطور الكسيوس كومنينوس كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق الإسلامي والعرب المسيحي في القرن الثاني عشر الميلادي. مقالة في المجلة التاريخية المصرية، المجلد السابع والعشرون، سنة ١٩٨٠م، ص ٤٤.

المصادر الأصيلة التي تناولت الحملة الصليبية الأولى وموقف القوى التركية الإسلامية منها إبان اجتياحها للأناضول^(١).

□ والمصدر البيزنطي الآخر الذي رجعت إليه هو كتاب: «مختصر التاريخ للمؤرخ حنا كيناموس». وتأتي أهمية هذا المصدر من كون مؤلفه شغل وظيفة كاتب سر الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنين (٥٣٨-٥٧٦هـ / ١١٤٣-١١٨٠م). وعكف هذا المؤرخ على تأليف كتابه حوالي ثلاث سنوات من سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م إلى سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م بعد أن توافرت له الوثائق الرسمية، وشهد المعارك الحربية التي جرت بين سيده الإمبراطور مانويل وأتراك الأناضول (السلاجقة والدانشمنديين).

قسم حنا كيناموس كتابه إلى سبعة فصول. خصص الفصل الأول منها للحديث عن أعمال الإمبراطور حنا كومنين التي رواها باختصار شديد لأنه لم يكن معاصراً لها.^(٢) غير أنه بذل جهداً أكبر في كتابته عن مانويل، ويعتبر كيناموس مؤرخاً متزناً.^(٣) وقد اعتمدت على الترجمة الإنجليزية لهذا الكتاب التي أعدها Charies. M. Brand.^(٤)

وقدم المؤرخ كيناموس مادة غزيرة للفصل الأخير من هذا البحث وهو الفصل المخصص للعلاقات السياسية بين الدانشمنديين والبيزنطيين حيث أشار إلى الحملات البيزنطية في عهد الإمبراطور حنا كومنين ضد المناطق الدانشمندية، كما أسهب المؤلف في الحديث عن علاقات بعض أمراء سيواس كياغي بسان بن غازي، وذي النون بن محمد مع الإمبراطور مانويل، ومقام بين الجانبين من تحالفات سياسية ضد سلاجقة قونية.

سادساً: المصادر اللاتينية:

يأتي كتاب المؤلف المجهول (أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس) على

1) Anna Comnena: The Alexiad. Trans. by: (E.R.A.Sewter Great. New York 1979.) PP.265-342.

(٢) عبد الحفيظ علي: المسلمون والبيزنطيون، ط١، القاهرة ١٩٨٢م، ج٢، ص٩.

(٣) رشيمنان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٧٧.

4) Cinnamus (John): Epitome Historiarum (Translated by: Charles. M. Brand) New York 1976

رأس المصادر اللاتينية التي استقى الباحث منها مادته العلمية الخاصة بالفصل الخامس الذي يبحث في العلاقات السياسية بين الدانشمنديين والقوى الفرنجية. وعلى الرغم من قيام أكثر المؤرخين الصليبيين بالاعتباس من كتاب المؤلف المجهول، واعتماد الدراسات الصليبية المتأخرة الخاصة بالحملة الصليبية الأولى على هذا الكتاب فإنه لم يتمكن أحد من كشف القناع عن اسم هذا المؤرخ، وكل ما أمكن الوصول إليه بهذا الشأن لا يزال موضع جدل^(١). وكما خلا الكتاب من ذكر المؤلف فقد خلا كذلك من الإشارة إلى وقت كتابته أو إملائه. وقد استفاد الباحث من هذا الكتاب في بعض الأمور المتعلقة بالدعوة للحملة الصليبية الأولى، وزحف هذه الحملة في وسط الأناضول حيث أشار المؤلف إلى موقعة دوريليوم (اسكي شهر) سنة ٤٩٠هـ / ١٠٩٧م التي تحالف فيها السلاجقة مع الدانشمند وأمراء آخرين ضد القوات الصليبية.

لـ ومن أهم مؤرخي الحملة الصليبية الأولى كذلك يأتي فوشيه الشارترى نسبة إلى منطقة شارتر الفرنسية الذي ألف كتاباً عنوانه مطابقاً لعنوان الكتاب السابق وهو: «أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس» وقد اعتمدت على الترجمة الإنجليزية لهذا الكتاب التي أعدها: فرانسيس ريتاريان Frances Rita Ryan^(٢). ولقد عمل المؤرخ فوشيه في خدمة بلدوين الأول الذي تولى حكم إمارة الرها الصليبية (٩٢-٩٤هـ / ١٠٩٨-١١٠٠م)، وأقام فوشيه بعد ذلك في مدينة بيت المقدس حتى سنة ٥٢١هـ / ١١٢٧م حيث اختفى من مسرح الأحداث وتاريخه يتوقف عند هذا الحد^(٣). ويتميز فوشيه بأنه كان شاهد عيان على الحملة الصليبية الأولى منذ بدايتها ولهذا أصبح كتابه من المصادر الأساسية للبحث.

□ ويحتل كتاب رادولف كاين^(٤) مكانة خاصة بين تواريخ الحملة الصليبية

(١) المؤلف المجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة وتحقيق حسن حبشي، القاهرة ١٩٥٨م، ص ٩.

2) Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem (1095-1127) Trans. by Frances Rita Ryan (Sisters of st. Joseph) Knoxville. 1969.

(٣) قاسم عبده قاسم: الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٨٥م، ص ٢٩.

4) Radulph of Caen: Gesta Tancredi in Expeditione. Herosolymitana in (R.H.C.Occ.3. Paris 1866).

الأولى. وقد ولد رادولف بمدينة كان في فرنسا وذهب إلى الشرق سنة ٥٠١هـ / ١١٠٧م حيث لازم الأمير الصليبي تانكرد ابن أخت بوهمند أمير أنطاكية، وقد دَوّن رادولف كتابه بعد سنة ٥٠٦هـ / ١١١٢م وتوفي بعد سنة ٥٢٦هـ / ١١٣١م.^(١)

وأمدنا كتاب هذا المؤرخ المسمى «أعمال تانكرد» بمعلومات عن الاتفاق الذي جرى بين الدانشمند وسلاجقة الأناضول عند شعورهما بالخطر المشترك أثناء مقدم الجيوش الصليبية إلى الأناضول. كما زدنا ببعض البيانات المتعلقة بالحملة الصليبية اللومباردية التي اجتاحت الأناضول سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م.

□ وهناك مصدر لاتيني آخر ينبغي الإشارة إليه وهو كتاب البرت أكس Albert of Aix^(٢) الذي كان أحد رجال الدين في مدينة أكس لاشابل (آخن) La-chapelle الألمانية وعلى الرغم من أن البرت أكس لم يذهب أبداً إلى الشرق فإنه دَوّن تاريخ الحملة الأولى والأحداث التي أعقبتها حتى سنة ٥١٤هـ / ١١٢٠م اعتماداً على روايات شهود العيان والمصادر الأدبية الآخر وقد ألف كتابه تحت عنوان «تاريخ القدس»^(٣).

وقد قصرنا اعتمادنا على البرت أكس في الجزء الخاص بجهد الدانشمنديين مع القوى الإسلامية ضد الحملة الصليبية الأولى على الأناضول. إن تحدث المؤلف بأسهاب عن حصار نيقية وعن معركة دوريليوم الشهيرة التي أطلق عليها هذا المؤرخ اسم (ديجورجانهي Degorganhi).

□ أما المصدر اللاتيني الذي لا يمكن اغفاله ضمن مجموعة المصادر اللاتينية فهو كتاب: «تاريخ الأعمال التي تمت فيما وراء البحار» للمؤرخ وليم الصوري الذي ولد في مدينة بيت المقدس حوالي سنة ٥٢٥هـ / ١١٣٠م، وأصبح في سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م رئيساً لأساقفة كنيسة مدينة صور.^(٤)

وقدّم وليم معلومات تختص بعلاقات الدانشمنديين مع إمارة الرها، كما أنه

(١) جوزيف نسيم يوسف: العرب والروم واللاتين، ص ١٨.

(2) Albert of Aix: Historia Hierosolymitana. in (R.H.C.H.Occ.4. Paris 1879).

(٣) السيد الباز العريني: مؤرخو الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٦٢م، ص ٦٦.

□ قاسم عبده قاسم: الحروب الصليبية، ص ٣٢.

(٤) عمر كمال توفيق: المؤرخ وليم الصوري، مقال في مجلة كلية آداب جامعة الإسكندرية،

العدد ٢١ (١٩٦٧م) ص ١٨١.

تطرق إلى حادثة أسر أمير أنطاكية الصليبي بوهمند على يد القوات الدانشمندية. ويعد كتاب وليم الصوري الذي يتكون من جزئين من المصادر الهامة لأخبار الحملة الصليبية الثانية. وقد اعتمدنا على الترجمة الإنجليزية لهذا الكتاب التي أعدها كل من الأستاذين: إملي بابكوك وكراي^(١).

وبهذا العرض التحليلي لأهم المصادر التي رجعت إليها لايفوتني أن أشير إلى أن هناك مصادر ومراجع أخر أفدت منها. وسوف تتضح قيمتها العلمية أثناء مطالعة صفحات هذا البحث.

□ كما أنبه القارئ الكريم أنني اعتمدت خلال تعريفي بالمدن الواقعة داخل الأناضول على: (Turkiye Karayollari Haritasi Road Map of Turkey) وهي عبارة عن خارطة جغرافية صدرت لتركيا حديثاً تعرفنا على مسميات مدن الأناضول التي وردت ضمن هذا البحث في وقتنا الحاضر، وموقعها بالنسبة للعاصمة التركية أنقرة، والمسافة التي تفصل بين العاصمة وبين كل مدينة من هذه المدن.

وفي ختام هذه المقدمة أحمد الله الذي وفقني للقيام بهذا العمل، كما أشكر زملائي الذين قدموا لي العون والمساعدة أثناء دراستي لهذا الموضوع، وأخص بالذكر الدكتور محمد الزهراني أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض، الذي أفادني بآرائه العلمية خلال فترة إعدادي لهذا البحث. في صورته الأولى حينما تقدمت به لنيل درجة العالمية (الدكتوراة) من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والله ولي التوفيق.

المؤلف

د. علي بن صالح المحيميد

بريدة ١٤١٤/١٠/١٧ هـ

1) William of Tyre: A History of Deeds Done Beyond the Sea. (Translated and Annotated by Emily Atwater Babcock and A.C. Krey Columbia University Press 1943 Vols.2)

الفصل الأول

قيام الإمارة الدانشمندية

١٠٨٤ هـ / ١٧٧٧ م

① أولاً: أصل الدانشمنديين.

② ثانياً: بداية ظهور الدانشمنديين.

أولاً: أصل الدانشمندیين

(دانشمند) لفظ فارسي معناه عالم أو ذكي أو ماهر، وهو يتألف من الكلمة الفارسية «دانش» بمعنى علم، والمقطع «مند» بمعنى ذو أو صاحب^(١). ويطلق هذا اللقب على الفقهاء^(٢)، كما أنه يطلق على المدرسين في بلاد ماوراء النهر^(٣). وذلك خلال حكم الدولة السامانية (٢٦١-٣٨٩ هـ / ٨٧٤-٩٩٩ م). وأحياناً يُنطق محرفاً بعض الشيء وفقاً للهِجَة المحلية الدارجة في مناطق فارس فيقال للمعلم دانشومند^(٤).

وقد أشار ابن الأثير^(٥) إلى أن الدانشمند كان معلماً للتركمان، وتقلبت به الأحوال حتى ملك بعض البلاد. وتؤكد بعض المصادر^(٦) التركية هذا الرأي حيث تقول كان الأمير دانشمند شخصاً غزير العلم، وكان معلماً للصبيان.

وقد ورد لقب دانشمند في المصادر التاريخية بصيغ مختلفة، فبعضها^(٧) تطلق عليه الدانشمند، وبعضها الآخر^(٨) تسميه ابن الدانشمند، وأحياناً ابن دانشومند^(٩)، كما أن بعض المصادر تضيف إليه القاباً وأسماء أخرى مثل

(١) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، مصر ١٩٧٨م، ص ٢٨٧. علي أكبر بهخدا: لغت نامة، طهران ١٣٦١ هـ ش، ص ١٨٥.

(٢) نظام الملك: سياست نامه، ترجمة يوسف حسين بكار، ط ٢، قطر ١٩٨٧م، ص ١٣٥.

(٣) ماوراء النهر: يواد به ماوراء نهر جيحون شرقي إقليم خراسان، وقد كان يقال لها بلاد الهيماطلة. وفي الإسلام سموه ماوراء النهر. ومن أهم مدن بلاد ماوراء النهر بخارى وسمرقند وفرغانة والشاش وأشر وسنة. (يافوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٥-٤٧. القزويني: آثار البلاد، ص ٥٥٧).

(٤) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان، ط ١، الكويت ١٩٨١م، ص ٣٦٢.

- Setton Kenneth: A History of the Crusades. V.I. Philadelphia 1969. P.139.

(٥) الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٠٠.

(٦) منجم بلشي: منجم بلشي تاريخي، جلد ثاني، ص ٥٧٥. هزافن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ٩٩.

(٧) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ١٢٨. سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ط ١، حيدرآباد - الدكن - الهند. ١٩٥١م، القسم الأول من الجزء الثامن، ص ٢٩٤.

(٨) أبو الفدا: المختصر، ج ٢، ص ٢١٢. العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، مخطوط دار الكتب المصرية، رقم ٥٦٠ معارف عامة، ج ٢٧، القسم الأول، ص ٤٣.

(٩) العنطيمي: تاريخ العنطيمي، ص ٣٧٨.

كمشتكين بن الدانشمند طايلو^(١). أو طبلق كما ورد عند ابن خلدون^(٢). وأحياناً يأتي كمشتكين محرفاً في بعض المصادر فيكتب أنوشتكين الدانشمند^(٣) أو توشتكين الدانشمند^(٤).

ويرى أحد الباحثين^(٥) أن السلاجقة الأتراك كانوا يطلقون اسمين على الشخص الواحد بحيث يكون أحدهما اسماً تركياً والآخر إسلامياً، لذلك فهو يعتقد أن كمشتكين هو الاسم التركي للأمير دانشمند. أما اسمه الإسلامي فهو أحمد، ويرجح هذا الباحث أن اسم طايلو الذي ورد في بعض المصادر^(٦) هو الاسم التركي لوالد هذا الأمير، في حين أن اسمه الإسلامي هو علي.

ويقول أحد المتخصصين^(٧) في علم المسكوكات أن لقب طايلو الذي أشرنا إليه آنفاً ليس إلا من نسج خيال بعض المؤرخين، وقد استند في رأيه هذا إلى عدم وجود هذا اللقب في العملة الدانشمندية التي أمكنه العثور عليها وهي خاصة بأحد أحفاد الأمير دانشمند ومكتوب عليها اسم الدانشمند بالكامل هكذا (ملك دانشمند). ويورد لنا حسين حسام الدين^(٨) رأياً في غاية الأهمية يتفق بعض الشيء مع الرأي الأخير حيث يقول أن لقب طايلو هذا ليس إلا تحريفاً قام به بعض النساخ عن غير قصد لجد والد الأمير دانشمند وهو (حسين قوتلوبك) الذي يُذكر باسم حسين تارة وباسم قتلو تارة أخرى، وبعد ذلك حُرِفت كلمة قتلو إلى قاتلو وتابلو وطبلو وطلنو في عدد من المصادر التاريخية. ويرى هذا المؤرخ بأن الاسم الصحيح الكامل للأمير دانشمند هو «الملك المجاهد أحمد بن علي بن جعفر الب أرسلان بن حسين قوتلوبك».

وقد ذكرت بعض المصادر التاريخية المعاصرة لهذا الأمير لقبه دانشمند

(١) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٣٠٠.

- Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem. P.27.

(٢) العبر، ج٥، ص١٨٧.

(٣) ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سلمي الدهان، دمشق ١٩٥٤م، ج٢، ص٥٠٩.

(٤) ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، نشره وليد ناصيف، دمشق ١٩٨٤م، ص١٩٧.

(5) Osman Turan: Selcuklular Zamanina Turkiye Tarihi Istanbul 1984. P.117.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٢٠٠. أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٢٦٢.

(7) Casanova P.: la Numismatique des Danichmendites. P.32-33.

(٨) تاريخ أماسيا، استانبول ١٣٢٩-١٣٣٢م، ج٢، ص٢٨١.

دون أن تضيف إليه اسمه التركي كمشتكين، كما يأتي أحياناً مجرداً من لفظة (ابن) حيث ورد في أحد^(١) هذه المصادر هكذا تانيسمان Tanisman، وفي مصدر آخر^(٢) تانوسمان Tanousman. أما ملحمة دانشمندنامه^(٣) التي حاولت أن تحيط الأمير دانشمند بهالة إسلامية لتجعله ضمن أبطال الفتوحات الإسلامية فلم تذكر الأسماء التركية الخاصة بهذا الأمير بل اكتفت بذكر لقبه دانشمند وباسمه الإسلامي أحمد حيث ورد اسمه كاملاً هكذا ملك دانشمند أحمد.

وعلى ضوء ما سبق فإن الاسم الكامل لمؤسس الإمارة الدانشمندية هو كمشتكين أحمد دانشمند بن علي، ولكن رغم ذلك فقد اشتهر الأمير كمشتكين أحمد بلقب دانشمند الذي يعتقد أحد الباحثين^(٤) أنه في الأصل كان لقباً لأبيه دانشمند البخاري أحد علماء مدينة بخارى^(٥) المشهورين، وحسب هذه الرواية فإن الأمير كمشتكين أحمد ظل يحمل لقب أبيه دانشمند.

ولقد ورد ذلك في بعض المسكوكات الدانشمندية والنقوش المكتوبة، ومنها نص منقوش على حجر أسود مثبت على الأرض بالقرب من ضريح هذا الأمير في مدينة نيكسار^(٦)، وكانت آخر كلمة في هذا النص هي كلمة ملك دانشمند^(٧)، ويرد أحياناً اسم دانشمند وقد أضيف إليه لقب غازي حيث يقال له ملك دانشمند

1) Anna Comnena: The Alexiad. P.342.

2) Michel Le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.173.

٣) عارف علي: دانشمندنامه، ص ٢.

4) Osman Turan: Selseklular Zamanina Turkiye Tarihi. P.117.

٥) بخارى: من أعظم مدن ماوراء النهر، وقد كانت عاصمة للدولة السامانية. (ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٥٢). وكانت بخارى تضم خمس مدن كبيرة هي خجندة أو خجندة ومفكان وتمجكث والطواويس وزندنة وهي مدينة مازالت قائمة حتى الآن. (لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٦). ولا تزال مدينة بخارى تحمل هذا الاسم حتى وقتنا الحاضر وهي حالياً تقع في جمهورية أوزبكستان إحدى الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى (تركستان). (يسري عبدالرازق الجوهري ومحمد خميس: دراسات في جغرافية العالم الإسلامي، مصر، ص ٥٥٩).

٦) نيكسار: أصلها «نيك حصار» أي القلعة الجميلة (أوليا جلبي: سياحنامه، ايكنجي جلد، استانبول ١٣٦٤هـ، ص ٣٨٩). ويطلق عليها كذلك قيصرية الجديدة New-Caesarea، وهي إحدى مدن ولاية سيواس حالياً شمالي شرقي تركيا. انظر: (لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٧٩). (علي جواد: ممالك عثمانية، قسم أول، لغات جغرافية، ص ٨١٨).

7) Berchem Max Van: Epigraphie des Danishmendides. Zeitschrift Fur Assyriologie XXVII Strasbourg 1912. P.82.

أحمد غازي^(١). وقد أضيفت كلمة غازي للأمير دانشمند تقدير لفتوحاته التي اتصفت بطابع الجهاد الإسلامي داخل الأناضول. حيث جرت العادة بإطلاق هذا اللقب على المجاهدين في سبيل الله تشريفاً لهم^(٢) ويمكن الأمير دانشمند أحياناً بأبي الغازي وذلك على اعتبار أن أكبر أبنائه اسمه غازي وهو الذي خلفه في حكم إمارة نيسواس بعد وفاته^(٣).

هذا بالنسبة لبعض الألقاب الخاصة بالأمير أحمد دانشمند، أما فيما يتعلق بأصل الأسرة الدانشمندية فإنه لا يزال موضع خلاف بين المؤرخين وأغلب الظن أن ذلك يعود إلى الاختلاف القائم أساساً حول بداية ظهور مؤسس الإمارة الدانشمندية من جهة، وعدم تحديد المنطقة التي عاش فيها هذا الأمير قبل ظهوره على مسرح الأحداث السياسية في الأناضول من جهة أخرى.

فالمؤرخ ميخائيل السرياني^(٤) الذي كان معاصراً للدانشمندان قال لقد غزا أمير من أمراء الأتراك يدعى تانوسمان Tanousman أقليم كبادوكيا. وتؤكد بعض المصادر التركية^(٥) الأصل التركي لهذه الأسرة كما أنها تربط نسب الأمير دانشمند من جهة أمه بالقائد العربي عبدالله البطال الشهير ببطل غازي^(٦).

أما المؤرخ الأرمني متى الرهاوي^(٧) الذي عاصر الأمير دانشمند فترة من

(١) هزاردن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ٩٩.

(٢) سعد فؤاد كوبريلي: قيلم الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، مصر ١٩٦٧م، ص ٦٣.

3) Matthieu D'edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.256.

4) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.173.

(٥) عارف علي: دانشمندنامه، ص ١٢ علي: فصل حل وعقد، ورقه ٣٥ (ب)، منجم بلشي: منجم بلشي تاريخي، جلد ثلثي، ص ٥٧٥.

(٦) بطل غازي: هو عبدالله أبو الحسين الأنطاكي نسبة إلى مدينة انطاكية حيث كان يسكن فيها، بدأ في قيادة الجيوش منذ عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ / ٦٨٥-٧٠٥م) عندما أرسله هذا الخليفة في مقدمة الجيوش التي يقودها ابنه مسلمة بن عبدالملك، وقد استشهد عبدالله البطال في إحدى غزواته في بلاد الروم في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك، وذلك سنة ١٢٦هـ / ٧٣٩م وقيل ١٢٢هـ / ٧٤٠م الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ط ٢، بيروت ١٩٨٨م، المجلد الرابع، ص ٢٦٠ ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٤٨.

7) Matthieu D'edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.256.

الرمس فيشير إلى أنه ينحدر من أصل أرمني.

ولقد أشار أحد المؤرخين البيرنطيين^(١) إلى أن الدانشمندیين ينحدرون من الأسرة الأرشاكونية^(٢) Arsacides ذات الأصل الأرمني الفارسي Persarmenien. وعندما نتفحص الروايات السابقة نجد أنها قد استندت فيما ذهبت إليه على بعض الأدلة، فلو أخذنا مثلاً ملحمة دانشمندنامه^(٣) لوجدنا أنها تذكر بأن والد الأمير أحمد دانشمند هو علي بن مضراب أمير التركمان بالديار الرومية الذي تزوج من أميرة عربية الأصل تدعى نظير الجمال وهي ابنة عمر بن نعمان ابن زياد بن عمرو بن معد، وأمها هي أخت أبي محمد^(٤) جعفر بن السلطان حسين بن ربيع بن عباس أحد أحفاد القائد العربي عبدالله البطل. وحسب هذه الرواية يكون أصل الأمير أحمد دانشمند من أب تركي وأم عربية وحفيداً لبطل غازي العربي.

وهناك وقفية^(٥) مؤرخة سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م كتبت في عهد أحد أحفاد الأمير دانشمند، وقد ورد فيها نسب دانشمند كما يلي: «ملك إسماعيل بن ياغي بصر بن ملك غازي إبراهيم بن سيد ملك أحمد دانشمند غازي بن سيد علي بن سيد جعفر بطل غازي بن سيد حسين غازي». وقد جعلت هذه الوقفية بعض الباحثين^(٦) يقولون بأن دانشمند ينحدر من

1) Nicetas Choniates: Historia in Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae Boon 1835. P.45.

٢) الأرشاكونية: عائلة ملكية أقامها أرشاك الأول سنة ٢٥٥ قبل الميلاد في منطقة أرمينية الكبرى وملك حتى سنة ٢٢٦م، حيث قامت مكانها الدولة الساسانية، وكان آخر ملوك هذه الأسرة هو ارتابانوس الرابع، ويظهر أن هذه الأسرة تنحدر من الأسرة الأشغانية Ashganiiah وهي الطبقة الثالثة من ملوك الفرس الذين يسمون عند الفرنج بالبرشيين، وقد أطلق عليهم اسم الأشغانية نسبة إلى أول ملوكهم اشغا الذي يقال له أحياناً (اشك بن اشكان). (البستاني: دائرة المعارف، ج٣، ص٧٢٦، ١٠٦).

٣) عارف علي: دانشمندنامه، ص٣.

٤) يوجد قبر أبي محمد جعفر حفيد بطل غازي على رأس تل في قرية مسيحية بتركيا. (مزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص٩٩) كما أنه يوجد في مدينة قيسرية جامع يسمى جامع أبي محمد البطل. (الهاوي: الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص٥٩).

٥) هذه الوقفية مسجلة في صفحة ٣٤٦ من دفتر الرابع الخاص بالأناضول بين الدفاتر القديمة لمديرية أوقاف استانبول. انظر: رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص٩٨.

٦) رضوان نافذ وإسماعيل حقي: نفس المرجع والصفحة.

سلالة سيد بطل غازي، لكن أصحاب هذا الرأي قد أبدوا شكوكهم من هذا النسب حيث ذكروا في معرض حديثهم عن هذه الوقفية أن نسب الأمير دانشمند لبطل مشهور في الأناضول كسيد بطل غازي يعد ملائماً لإثارة الشعور الديني، ولتقوية نفوذ الحكم زمن ظهور الدانشمند. وأن كلمة السيادة التي أضيفت لنسب الأمير دانشمند قد جعلت يحكمه يستمر لفترة طويلة في الأناضول.

ويرى الباحث أن هذه الوقفية ولو أنه قد جرى تدوينها في عصر أحد أمراء الدانشمنديين في سيواس فإنها لاتعطي رأياً حاسماً بأن الدانشمند ينحدر من سلالة بطل غازي، ويكفي أن هذين المؤرخين^(١) قد ساقا أحد الأهداف التي كتبت بهذا الشكل من أجله وهو إثارة الشعور الديني في نفوس مسلمي الأناضول كي ينضموا تحت لواء الإمارة الدانشمندية وهذا كفيلاً بتقوية نفوذها سيما وأن هذه الوقفية جرى تدوينها في وقت أخذ فيه الحكم الدانشمندي بالاضمحلال. والأهم من ذلك أن هذه الوقفية لم تسلم من الخطأ فقد ورد فيها أن اسم الملك غازي هو إبراهيم، رغم أنه لم يثبت بصورة قاطعة في المصادر التاريخية وكذلك في المسكوكات والنقوش^(٢) الخاصة بالدانشمنديين أن اسم ملك غازي هو إبراهيم كما ورد ذكره في هذه الوقفية.

أما المؤرخ محمود آقسرائي^(٣) فإنه حينما يرى أن الدانشمنديين أصلهم أترك فهو يبني رأيه على أساس صلة القرابة التي تربط بين هؤلاء وبين السلالة الأتراك، وقد كشف أحد^(٤) الباحثين عن هذه القرابة، وقال بأن الأمير أحمد دانشمند غازي هو ابن أخت السلطان السلجوقي ملكشاه بن الب أرسلان^(٥)

(١) رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ١٨.

(٢) العظمي: تاريخ العظمي، ص ٤٩.

- Casanova (P.): La Numismatique des Danichmendites. P.3.

□ أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية قتالوغي، قسطنطينية ١٣٢١هـ، القسم الرابع، ص ٨٤.

(٣) محمود آقسرائي: مسامرة الأخبار ومسيرة الأخيار، ص ٢٧.

4) Osman Turan: Selcuklular Zamanina Turkiye. Tarihi. P.113.

(٥) أبو الفتح ملكشاه بن الب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب جلال الدولة. ولد سنة ٤٤٧هـ، وتولى أمر السلالة بعد وفاة أبيه السلطان الب أرسلان سنة ٤٦٥هـ بومية منه. وكان من أحسن الملوك سيرة حتى كان يلقب بالسلطان العادل، وكان منصوراً في الحروب، ومغرمًا بالعناثر، وهو الذي عمر جامع السلطان ببغداد سنة ٤٨٥هـ، وزاد في دار =

(٤٦٥هـ - ٤٨٥هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢م). وإذا صحت هذه الرواية يكون الأمير دانشمند حفيداً للسلطان السلجوقي الب أرسلان، وهي تتعارض مع الرواية السابقة التي مرت بنا والتي تجعل دانشمند حفيداً للغازي عبدالله البطل.
كما أن هناك رواية ثالثة تؤكد أن الأمير دانشمند ينحدر من سلالة تركية خالصة حيث أن الأمير توشتكين الدانشمند كان خالاً لمؤسس دولة سلاجقة الروم^(١) سليمان بن قتلмыш^(٢).

وقد أخذ بهذا الرأي مؤرخ آخر^(٣) غير أن هذا لم ينص على اسم الدانشمند بالتحديد بل اكتفى بقوله أنه في الوقت الذي فتح فيه سليمان بن قتلмыш أنطاكية^(٤) فتح خاله مدينة ملطية.

أما الرواية التي تقول بأن الدانشمندیين من أصل أرمني فإنها لا تستند إلى دليل يمكن الاعتماد عليه مما يدفعنا إلى القول بأن هذا المؤرخ أصدر حكمه على أساس المعاملة الطيبة التي عامل بها الأمير دانشمند الأرمن النصاري الذين دخلوا في تبعية - كما هي عادة الحكام المسلمين تجاه أهل الذمة - الأمر الذي جعل هذا المؤرخ يتخيل بأن الأمير دانشمند ليس إلا أرمنياً، لذلك أفاض في مدح سيرته حيث قال: «أن الأمير دانشمند رجل رحيم كريم مع (المسيحيين) ولقد حزنوا حزناً بالغاً على وفاته لأنهم كانوا يحبونه ويجلونّه»^(٥).

= السلطنة بها، ومنع بطريق مكة مملع وأبطل المكوس والخفارات في جميع البلاد. وكان مولماً بالصيد حيث قيل أنه خرج في آخر أيامه إلى ناحية جبيل لأجل الصيد فاصطاد وحشاً وأكل من لحمه فلبتدأت به العلة فعاد إلى بغداد مريضاً، فلما دخلها توفي في السادس عشر من شوال سنة ٤٨٥هـ. وقيل أنه سم في خلال تغلبه به وحمل تابوته إلى أصبهان ودفن بها. (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٨٣ - ٢٨٩).

(١) ابن الشعنة: الدر المختب، ص ٩٧.

(٢) سليمان بن قتلмыш بن إسرائيل بن سلجوق. (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٧٦. وقد لقي سليمان مصرعه في موضع يعرف بعين سلم يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر صفر سنة ٧٩٩هـ على يد زعيم سلاجقة الشام السلطان تاج الدولة تنش بن الب أرسلان عندما حاول كل منهما السيطرة على مدينة حلب. (ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ١١٨ - ١١٩).

(٣) ابن حمدون: حوادث السنين (مخطوط) مكتبة روان كوشكي، طوب قاضي سراي، استانبول، رقم ٢٩٨١، ورقة ١٥٦.

(٤) أنطاكية: مدينة عظيمة من أعيان المدن على طرف بحر الروم بالشام (القرطبي: أثار البلاد، ص ١٥٠)، وتقع أنطاكية في جنوبي تركيا حيث تبعد عن العاصمة أنقرة حوالي ٨٠٠ كلم. انظر:

- Türkiye Karayolları Haritasi (Road Map of Turkey).

5) Matthieu D'edesse: Chronique Extraite Arm I. P.256.

وليس من الواضح ما إذا كان هناك ثمة علاقة بين هذه الرواية والرواية البيزنطية الأخرى التي قالت بأن الدانشمندیين من سلالة الفرس الأرمن ويعتقد المستشرق إيرين ميلكوف^(١) وهو الذي أعد آخر دراسة نقدية للدانشمندیان أن وصف الفارسي الأرمني الذي ورد عند بعض المؤرخين الغربيين ليس له سوى الدلالة الجغرافية فلقد دأبوا على إطلاق لفظ فارسي على كل قادم إليهم من جهة بلاد فارس (إيران حالياً) أياً كان أصله^(٢)، لذا ليس من المستغرب أن يجعلوا الدانشمند الأتراك من أصل فارسي، أما بالنسبة للفظ أرمني فيبدو أنه إشارة من أولئك المؤرخين إلى الجزء الفارسي من أرمنية الذي كان يتبع الإمبراطورية الفارسية قبل الفتح الإسلامي لأرمنية.

ولقد أخذ كذلك أحد الباحثين^(٣) بوجهة النظر السابقة فأشار إلى أن ماورد في بعض المصادر عن الأصل الفارسي الأرمني للدانشمند إنما هو اسم جغرافي فقط، ولا يعبر عن أصول عرقية، ويرجح أن إقامة دانشمند بعضاً من الوقت في أذربيجان طبقاً لرواية منجم باشي^(٤)، ثم مجيئه من هناك إلى الأناضول أعطى المجال لتأكيد هذه الرواية. ولقد خُصّ كازانوف^(٥) بعد أن عرض روايات المؤرخين حول أصل الدانشمند إلى القول بأن هذا الأمير تركماني الأصل ولكنه مولود في منطقة أرمنية.

وطرحت إحدى الدراسات^(٦) رواية مشابهة حيث قالت أن الدانشمندیين مثل السلاجقة ينتمون إلى أصل تركي، وكان طيلو أول من أسس هذه الإمارة. ويميل المؤرخ حسين حسام الدين كذلك إلى أن الدانشمند أصلهم أتراك ويستدل على ذلك بثلاثة أمور أولها: أن الأمير دانشمند اشتهر بهذا الاسم وهذا يعني أنه

1) Irene Melikoff: la Geste de Melik Danismend tome LP.73.

٢) انظر مثلاً مقالته الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول في رسالته إلى هنري الثاني ملك إنجلترا.

- Manuel I, Empror of constantinople., Lettre to King Henry II of England CE Roger of Hovenden I PP.419- 423.

3) Osman Turan: Selcuklular Zamanina Turkiye Tarihi. PP.119- 120.

٤) منجم باشي: منجم باشي تاريخي، جلد ثاني، ص ٥٧٥.

5) Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P.36.

٦) تامارا تالبوت رايس: السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ص ٥٥.

تلقى علومه في خراسان بين اقربائه الأتراك لأنهم في هذه المنطقة يطلقون كلمة دانشمند على العالم. وثانيها: أن جده حسب رواية هذا المؤرخ نفسه هو «جعفر الب أرسلان» الذي كان مشهوراً باسم جعفر ويطلق عليه أحياناً جعفر الب، وبعد ذلك قام النساخ بتحريفه وكتبوه بأشكال مختلفة مثل ميتراب ومضراب ومغراب ونصر. وثالث هذه الأمور ما دلت عليه بعض القيود التاريخية بأن الأمير أحمد دانشمند من نسل أوغوزخان وكان رئيس شعبة القبيلة المشهورة باسم طوغاتلو وهم من فرع قينيق خان المنسوب للسلاجقة^(١).
ومما سبق يظهر لنا اختلاف المؤرخين حول أصل الأسرة الدانشمندية، ويمكن حصر هذا الاختلاف في ثلاثة آراء:

الأول: يقول بأن أصلهم من الأرمن، والثاني: يرى أنهم من الفرس الأرمن، والثالث: يشير إلى أنهم من أصل تركي.

ونحن نميل إلى الرأي الثالث حيث نعتقد بأن صلات القربى التي تربط بين الدانشمنديين والسلاجقة الأتراك تكفي بحد ذاتها لترجيحه.

ونستبعد أن يكون الدانشمنديون من الفرس أو الأرمن كما يزعم بعض المؤرخين وذلك لعدة أسباب منها أن الدانشمنديين إذا كانوا ينتمون إلى الفرس أو الأرمن فلماذا لم يبرزوا على مسرح الأحداث السياسية داخل الأناضول إلا بعد ظهور السلاجقة الأتراك وانتصارهم الكبير على البيزنطيين في معركة منازجرد، وبالأدوات في الوقت الذي تدفقت فيه جحافل الأتراك المسلمين على الأناضول؟

ولو كان الدانشمنديون فعلاً من الفرس أو الأرمن فهل من المعقول أن يختار التركمان رجلاً غريباً عن أصلهم ولا يعرف لغتهم ولاتقاليدهم وهو الأمير أحمد دانشمند غازي ليكون قائدهم بل وبطلاً يمثلهم^(٢)؟ ولو كانوا كذلك أيضاً فهل سوف تسمح لهم السلطات السلجوقية العليا في العراق وفارس بإقامة إمارة مستقلة لهم داخل الأناضول؟ خاصة وأن هذه الإمارة ظلت - كما سيتضح لنا - حاجزاً بين السلطات السلجوقية وبين كل من سلطنة سلاجقة الروم في

(١) حسين حسام الدين: تاريخ أماسيا، ج ٢، ص ٢٨١-٢٨٢.

(2) Cahen: Pre-Ottoman Turkey (London 1968). P.83.

قونية والإدارة البيزنطية في القسطنطينية.

ولو سلمنا كذلك بأنهم من الفرس فالواقع أن نفوذ العناصر الفارسية قد أخذ في الانحسار منذ سقوط الحكم البويهى في بغداد سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م وقيام الحكم السلجوقي مكانه هناك^(١).

وعلى أية حال يظل انتماءهم الفارسي أو الأرمني ضعيفاً للغاية بصورة أكثر وضوحاً أمام روايات بعض مؤرخي^(٢) الحملة الصليبية الأولى الذين أشاروا إلى أنهم واجهوا أثناء اجتياحهم وسط الأناضول قوات الأتراك المسلمين التي كانت مؤلفة من الدانشمنديين والسلاجقة، فلو كان الدانشمنديون غير أتراك لما أجمع معظم مؤرخي هذه الحملة على هذا القول.

* * *

(١) البتداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٢.

2) Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem. P.29.

□ المؤلف المجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص ٤٦.

ثانياً: بداية ظهور الدانشمنديين

اختلف المؤرخون بشأن أصل الدانشمنديين وكذلك لم يتفقوا على تحديد بداية معينة، أو تاريخ دقيق لظهور الأمير أحمد دانشمند غازي لأول مرة على مسرح الأحداث السياسية داخل الأناضول.

وبدا واضحاً أن المصادر العربية^(١)، والبيزنطية^(٢)، واللاتينية^(٣) أهملت مسألة بداية قيام الإمارة الدانشمندية، ولم تتطرق إلى ذكر أخبار الدانشمنديين إلا عند ظهور الصليبيين في الأناضول.

ونجد عكس ذلك تماماً في المصادر التركية والفارسية والسريانية التي أمدتنا بمعلومات عن بداية ظهور الأمير أحمد دانشمند. وقد تبين لنا بعد الاطلاع على هذه المعلومات أنها تفتقر إلى الدقة.

فقد ذهب الرواية الملحمية^(٤) ومن استند إليها من المؤرخين^(٥) إلى أن الأمير أحمد دانشمند وُلِدَ وعاش في ملطية إلى جانب السلطان طورسان بن علي بن السيد جعفر البطال، وبعد ذلك رغباً في إحياء سنة الجهاد فاستشارا الخليفة العباسي^(٦) في بغداد الذي وافق على طلبهما ومنحهما إذنًا بغزو بلاد الروم (الأناضول)، وأعطاهما الشارة والعلم، ومنشوراً بامتلاك البلاد التي يستطيعان السيطرة عليها. فجمع هذان الأميران أربعين ألف جندي،

(١) ابن القلائسي: نيل تاريخ دمشق، ص ١٢٨، العظيمي: تاريخ العظمي، ص ٣٧٢، ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٣٠٠، أبو الفداء: المختصر، ج ٢، ص ٢١٢.

(٢) Anna Comnena: The Alexiad, P.342.

(٣) Albert of Aix: Historia Hierosolymitana, P329.

(٤) المؤلف المجهول: أعمال الفرنجة، ص ٤٦٠.

(٥) عارف علي: دانشمندنامه، ص ٦.

(٦) عالي: فصول حل وعقد، ورقة ١/٣٥، هزافرن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ٩٩، القرماني: أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، بيروت، ص ٢٩٢.

(٦) لم تذكر المصادر التركية التي ساقته هذه الحادثة اسم الخليفة العباسي، إنما أشارت فقط إلى أن الأميرين طورسان وأحمد دانشمند طلبا الإذن من الخليفة العباسي وذلك سنة ٤٦٠ هـ، وطبقاً لهذا التاريخ يكون المقمود بالخليفة العباسي هنا هو القائم بأمر الله (٢٢٢ هـ ٤٦٧ / ١٠٣٠ - ١٠٧٤ م) (عارف علي: دانشمندنامه، ص ٦)، عالي: فصول حل وعقد، ورقة ١/٣٥، هزافرن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ٩٩.

وخرجوا من ملطية في رجب سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م إلى بلاد الروم سية الجهاد. وبعد ذلك انفصل طورسان بن علي مع نصف الجنود عن رفيق دربه الأمير دانشمند واتجه إلى ساحل البحر الأسود فوصل إلى بوغاز استانبول^(١)، وفيها شيد قلعا عالية أطلق عليها اسم علم طاغي، وخاض هذا الأمير حروبا مستمرة مع أهالي استانبول، اضطر في إحداها إلى طلب المدد من المسلمين، ولكن هذا المدد تأخر وصوله، فانهزم طورسان واستشهد ولم ينج أحد من أتباعه^(٢).

أما بالنسبة للأمير أحمد دانشمند فقد مضى إلى سيواس على رأس عشرين ألف مقاتل، وقام بتعميرها، وجعلها حاضرة ملكه^(٣).

ويرى منجم باشي^(٤) أن الدانشمندیين ظهروا لأول مرة سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م وكان والدهم دانشمند في أول أمره يعلم الصبيان في مقر إقامته في نواحي أذربيجان، وكان يصحب أمراء تلك النواحي أحيانا عند خروجهم للقتال وغزو بلاد الكفار. وكان أحد أمراء التركمان الذين خرجوا مع السلطان السلجوقي ألب أرسلان ٤٥٥هـ/١٠٦٣م لقتال البيزنطيين والكرج^(٥).

وقد حاز الأمير أحمد دانشمند على قبول ورضا السلطان ألب أرسلان لما أظهره من فطنة ودراية وفراسة وحسن تدبير في المهام التي كلفه بها، فمنحه السلطان ألب أرسلان ولايات توقات^(٦) وسيواس وأبلستين وملطية ونيكسار،

(١) وردت بهذا الاسم رغم أنها كانت تسمى آنذاك القسطنطينية (هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ٩٩).

(٢) القرماني: أخبار الدول، ص ٢٩٢. هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ٩٩.
- Irene Melikoff: la Geste de Melik Danismend Tome I P 122.

(٣) عالي: فصول حل وعقد، ورقة ٣٥(١).

(٤) منجم باشي تاريخي، جلد ثاني، ص ٥٧٥.

(٥) الكرج: قال ابن الأثير هم الخزر (الكامل، ج ١٠، ص ٥٦٧) ويرى ابن خلدون أنهم من الأرمن (العبر، ج ٥، ص ٥٨) وهناك من يقول أن الكرج هم الجورج ويزعمون أن اسمهم الأصلي قارقول نسبة إلى قارتلوس رأس الأمة الكرجية. (عفاف سيد صبره: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٥٨م، ص ٤٢١). ويرى ياقوت الحموي أنهم كانوا يسكنون في جبال القيق وبلد السدير فقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس بأرمينية سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م (معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٤٦).

(٦) توقات: مدينة في أرض الروم بين قونية وسيواس. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٩) وتقع حالياً شرقي العاصمة التركية أنقرة حيث تبعد عنها مسافة ٣٦١ كلم. انظر:

Turkiye Karayollari Haritasi Road Map of Turkey.

وتسلم الأمير دانشمند منشوراً يتضمن اعترافاً من السلطان بحكم كل ولاية يتمكن من بسط نفوذه عليها. وقد جرى إعفاء كل هذه الولايات من دفع الخراج ولم يتدخل أحد من أبناء السلطان في شئون تلك الولايات الدانشمندية وظل الأمير دانشمند هو المتصرف الوحيد فيها.

ومضى منجم باشي^(١) قائلاً: إن هناك آراءً للمؤرخين مخالفة لما ذكرها هنا حول بداية هذا الأمير ولكنه اختار أصحابها.

وتتفق رواية أخرى^(٢) مع رواية منجم باشي بأن الأمير أحمد دانشمند قد ظهر في عهد السلطان الب أرسلان، ولكن صاحب هذه الرواية حدد ظهوره بعد أن هزم السلطان السلجوقي البيزنطيين في معركة منازجرد سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م، حيث أعطى السلطان قادة جيشه المنتصر حرية الهجوم على الولايات البيزنطية داخل الأناضول، فاستولى الأمير أحمد دانشمند على سيواس ونيكسار وتوقات وأبلستين وغيرها من المدن.

ونخلص من هذه الرواية بأن الأمير دانشمند كان أحد قادة الجيش السلجوقي الذي هزم القوات البيزنطية في تلك المعركة الشهيرة، وقد تمكن من تأسيس إمارته المستقلة في السنة التالية لوقوع هذه المعركة سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧١م. ويرى بعض المؤرخين^(٣) أن قيام إمارة الدانشمند كان قبل مصرع الأمير السلجوقي سليمان بن قتلمش سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م في إحدى حروبه قرب مدينة حلب ضد زعيم سلاجقة الشام تاج الدولة تنش بن الب أرسلان^(٤) حيث إن الإمبراطور البيزنطي^(٥) بعد أن علم بنبا مصرع الأمير سليمان خرج قاصداً بعض الولايات الدانشمندية مثل توقات ونيكسار وغيرها^(٦) ووفقاً لهذه الرواية يحتمل أن الأمير دانشمند قد أسس إمارته المستقلة في سيواس قبل سنة

(١) منجم باشي تاريخي، جلد ثاني، ص ٥٧٦.

(٢) محمود أفسرائي: مسامرة الأخبار ومسامرة الأخبار، ص ١٧.

(٣) حمد الله مستوفي: تاريخ كزيدة، ص ٤٧٤ خرواندмир: حبيب السير، جلد دوم، ص ٥٣٨.

(٤) ابن العديم: زبدة الحلب، ج ٢، ص ٩٧.

(٥) ذكرت هذه الرواية أن الإمبراطور البيزنطي هو رومانوس وهذا خطأ فالإمبراطور رومانوس توفي - كما عرفنا - سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧٢م، ويبدو أن الإمبراطور المقصود بهذه الرواية هو الكيسوس كومنين (٤٧٤-٥١٢هـ / ١٠٨١-١١١٨م).

(٦) حمد الله مستوفي: تاريخ كزيدة، ص ٤٧٤. خرواندмир: حبيب السير، جلد دوم، ص ٥٣٨.

٤٧٩هـ / ١٠٨٦م.

ولقد أورد ميخائيل السرياني^(١) رواية تؤجل قيام حكومة الدانشمندان إلى سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م حيث قال إنه في هذه السنة غزا أمير من أمراء الأتراك يدعى تانوسمان Tanousman (يقصد دانشمند) بلاد كبادوكيا وحكم سياست Sebaste (يقصد سيواس) وقيصرية، والمناطق الأخرى في البلاد الشمالية، ومن هنا بدأت قوة أسرة الدانشمندان.

ويظهر أن المؤرخ ابن العبري^(٢) نقل عنه هذه الرواية حيث أشار إلى أنه في سنة ٤٧٧ هـ / تشرين الثاني ١٠٨٥م تولى الأمير إسماعيل بن دانشمند سبسطية (سيواس) وقيصرية والبنطس (بعض مدن البحر الأسود) وسمي ذلك المكان باسمه حتى يومنا.

ويلاحظ هنا أن ابن العبري قد ذكر أن إسماعيل بن دانشمند هو الذي تولى حكم هذه البلاد، وهو بذلك قد خلط بين الأمير أحمد دانشمند وبين ابنه إسماعيل الذي أشارت إليه بعض المصادر^(٣) على أنه أمير إحدى القلاع في إقليم كبادوكيا التي تعرضت للحصار من جانب الصليبيين سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠١م.

ولقد ساق لنا الأستاذ عثمان توران^(٤) رواية يرى أنها جديرة بالاعتبار حيث يقول أن الأمير أحمد دانشمند غازي هو ابن أخت السلطان السلجوقي ملكشاه بن الب أرسلان (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢م) وكان الأمير دانشمند رجلاً عظيم الخصال فتوجس منه هذا السلطان خيفة وفكر في قتله بعد أن أخذ السلطان تمرد عمه قاورد بن جفري بك سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢م^(٥) ولكن الوزير

1) Michel Le Syrien: Chronique de Michel Syrien. V.3. P 173.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١١٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ١، ص ٣٠٠. ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٣١٦.

4) Osman Turan: Selcuklular Zamanina Turkiye Tarihi. P.113.

(٥) عندما علم قاورد بن جفري بك بوفاة أخيه السلطان الب أرسلان سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢م طمع في السلطنة السلجوقية، وسار إلى العاصمة الري، ولكن ابن أخيه ملكشاه سبقه إليها وجرى بينهما قتال شديد قرب همذان انتصر فيه ملكشاه وتمكن رجاله من القبض على عمه قاورد فأمر بخنقه ومنح حكم ولاية كرمان لأبناء عمه قاورد. (ابن الأثير: الكامل، ج ١، ص ٧٨).

السلجوقي نظام الملك^(١) أشار على السلطان بأن يرسل ابن أخته الأمير دانشمند مثل أبناء قتلмыш إلى دار الجهاد أي بلاد الروم (الأناضول) فإن هو استشهد فقد استراح منه، وإن وفق في الفتح فقد رفع من شأن السلطان. وقد قبل ملكشاه مشورة وزيره فارسله إلى تلك البلاد ونزل الأمير دانشمند بالأناضول وفتح ماحول قيصرية ووسع من رقعة إمارته تدريجياً^(٢).

ومن ناحية أخرى يعتقد عثمان توران^(٣) أن مجي الأمير دانشمند إلى الأناضول مرتبط بالهجرة التركية الكبيرة التي حدثت عام ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م، ويستند في قوله هذا إلى رواية تذكر أنه جاء إلى بلاد الكرج أمير محارب اسمه أحمد كان على جانب كبير من القوة واستولى على مدينة قرص^(٤) وهاجم ملك الكرج جورج الثاني (٤٦٥ - ٤٨٢هـ / ١٠٧٢ - ١٠٨٩م)^(٥) وأجبره على الفرار إلى أحد الجبال واستولى الأمير أحمد على كثير من الذهب والفضة والعنادر، وأثناء عودته من بلاد الكرج محملاً بهذه الغنائم التقى في الطريق بأمرين عظيمين هما إياز وبوجكوب، وكانا يقودان هجرات كثيفة إلى بلاد الروم (الأناضول) فسألها مشيراً إلى مباحوزته من غنائم، لماذا تذهبان إلى بلاد الروم بينما الكرجستان (بلاد الكرج) تذخر بالخيرات؟ وهنا غيّر الأميران وجهتهما إلى بلاد الكرج وتمكنا من الاستيلاء على بعض المدن ومكثنا هناك إلى أن حل موسم سقوط الجليد، وكان ذلك أول وأكبر هجوم تركي وقد حدث سنة ٤٧٣هـ / يونيو ١٠٨٠م^(٦). ولقد ربط توران^(٧) بين الرواية السابقة وبين رواية أخرى تقول أن السلطان السلجوقي ملكشاه أرسل في جماد الأولى ٤٦٨هـ / أوائل ١٠٧٥م أميراً اسمه

(١) هو الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي وزير كل من السلطان السلجوقي الب أرسلان وابنه السلطان ملكشاه دامت وزارته سبعاً وعشرين سنة وكان قتله في رمضان ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م. (الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص ٦٧).

2) Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.113.

3) Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.115.

(٤) قرص: مدينة في أرمينية الكبرى من نواحي تخلص. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٢٢).

(٥) هنافس سيد صبرة: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ص ٤٤٤.

6) Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.116.

7) Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.116.

أحمد بن علي إلى دربند^(١) التي كان السلطان أقطعها لأمير العراقيين شاوتكين التركي، وعلى الرغم من أن عثمان توران قد حاول الربط بين الروايتين السابقتين فإننا نستبعد أن يكون رسول السلطان إلى دربند أحمد بن علي هو الأمير أحمد دانشمند لأن المصدر^(٢) الذي أورد لنا هذه المعلومة قد أشار إلى أن أحمد بن علي رسول السلطان هو غلام أمير العراقيين شاوتكين التركي. إذاً ليس من المعقول أن يكون مؤسس إمارة الدانشمنديين غلاماً في بلاط أحد الولاة، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار تلك الروايات التي أشرنا إليها قبل قليل ومعظمها تذكر بأن الأمير أحمد دانشمند استطاع تأسيس إمارته المستقلة داخل الأناضول في فترة قريبة جداً من السنة التي تم فيها إرسال أحمد بن علي إلى مدينة دربند.

وفي الوقت الذي قال فيه بعض المؤرخين المحدثين^(٣) بأنه ليس لديهم ثمة شك بأن الأمير دانشمند كان من أمراء السلطان السلجوقي الب أرسلان، نجد مؤرخاً آخر^(٤) يرجع بداية ظهور حكم الأمير دانشمند إلى عهد السلطان السلجوقي طغرلبيك (٤٢٩-٤٥٥هـ / ١٠٣٧-١٠٦٣م) حيث يعتقد بأن الدانشمنديين كانوا ضمن قبائل التركمان الرحل التي كانت تتخذ من مناطق شمال وشمال غربي إيران مكاناً تتجمع فيه خلال عهد هذا السلطان وقد آلت بهم الحاجة فلبأوا إلى السلب والنهب، حتى أن السلطان طغرلبيك عندما لم يستطع أن يكبح جماحهم فضل طردهم خارج بلاده (فارس) فراح بعضهم يعصف بالأرمن الموجودين على الحدود الإسلامية - البيزنطية، بينما قام بعضهم الآخر بشن غارات مدمرة على الأناضول عبر إقليم كبادوكيا.

ويرى جروسية^(٥) بأن الأمير دانشمند كان خلال الفترة (٤٧٩-٤٨٥هـ / ١٠٨٦-

(١) دربند: مدينة تقع على بحر قزوين في أقصى شمالي بلاد شروان، ويسمىها العرب باب الأبواب (ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٢٩١)، (لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢١٤).

(٢) مؤلف مجهول: فصول من تاريخ الباب وشروان، موجودة في كتاب منجم بلشي (جامع الدول) نشرها وعلق عليها (ومينورسكي)، لندن، ص ٢٧.

(٣) رضوان نازد وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ١٨.

4) Cahen Claudé: La Syrie de Nord au Temps des Croisades. 1940. P.178.

5) Grousset Rene: Histoire des Croisades. Paris 1934. Voi I. P.LVI.

١٠٩٢م) يعمل بصفته حاكماً مستقلاً في القطاع الشمالي الشرقي من الأناضول وكان هذا الأمير يرتبط مباشرة بالسلطان السلجوقي ملكشاه.

ولقد ببه بعض الباحثين^(١) إلى ضرورة الفصل بين ظهور الأمير دانشمند سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧١م كأحد الغزاة أو الولاة في الأناضول وبين قيامه بتأسيس حكومة ذاتية مستقلة هناك إبان فترة الحيرة والتشويش التي أعقبت وفاة مؤسس دولة سلاجقة الروم سليمان بن قتلмыш سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م^(٢).

ومما سبق يتبين لنا أن المؤرخين قد حددوا بدايات متفاوتة لقيام الإمارة الدانשמندية في سيواس، فقال بعضهم أن ذلك كان سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م، وذهب بعضهم الآخر إلى أن ذلك حدث سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧١م، في حين رأى فريق ثالث أن ذلك قد تم سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م.

وبالرغم من أننا لانستبعد إطلاقاً أن الأمير كمشتكين أحمد دانشمند كان بالفعل موجوداً داخل الأناضول منذ سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧١م حيث ظل منذ ذلك التاريخ يُعهد لتأسيس إمارة مستقلة في سيواس حتى توصل إلى ذلك رسمياً سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م تقريباً، أقول على الرغم من ذلك فإننا نعتقد أن رأي الفريق الثالث حول بداية هذه الإمارة هو الأرجح والأقرب إلى الصواب أكثر من بقية الروايات وذلك لعدة اعتبارات منها أنه بالنسبة للرواية الأولى التي تقول بخروج الدانشمند من ملطية سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م فيبدو أنها مجرد حكاية ليس لها علاقة بالحقيقة التاريخية ونتفق بذلك مع رأي مكرمين خليل^(٣) لأنه من غير الممكن أن يخرج جيش للغزو هكذا من ملطية التي كانت قد خرجت من حوزة المسلمين منذ سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م^(٤)، وإذا كانت ملطية واقعة تحت السيادة البيزنطية في تلك السنة التي زعم البعض بخروج الدانشمند منها، فإننا نتساءل كيف استطاع الدانشمند بناء هذا الجيش الضخم في مدينة تخضع لسيادة دولة غير إسلامية؟

1) The New Encyclopaedia Britannica. Chicago 1974. Vol.3. P.372.

- Buyuk Encyclopaedia. Istanbul 1980. Cilt I. P 523.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق فهد محمد شلتوت، مصر، ج ١، ص ١٢٤.

3) Danismendiler in Islam Encyklopedia. Istanbul 1977 Cilt 3 P 468

(٤) ابن الأثير الكامل، ج ٨، ص ٢٩٦

ولو افترضنا بأن جيش هذا الأمير يضم مقاتلين مسلمين من خارج ملطية فإليس من الأولى أن يبدأ هذا الأمير جهاده الإسلامي في نفس المدينة التي خرج منها ويقوم بتحريرها من الهيمنة البيزنطية؟ وذلك بدلاً من أن يغامر بجيشه الكبير في مناطق بعيدة داخل الأناضول.

أما بالنسبة للرواية الثانية التي تشير إلى أن الدانشمند كان أحد أمراء السلطان السلجوقي الب أرسلان الذين قام باقطاعهم أجزاءً من الأناضول فإننا كذلك نميل إلى رأي أحد^(١) الدارسين الذي يعتبرها مجرد أسطورة لأن كل الأسر التركية التي ظهرت في الأناضول كانت ترغب في أن يكون مبدأ ظهورها اعتباراً من ذلك اليوم المشهود الذي هزم السلاجقة فيه البيزنطيون في معركة منازجرد الشهيرة.

ثم إن هناك سبباً آخر يضاعف من شأن هذه الرواية وهو عدم وجود مسكوكات باسم الأمير كمشتكين أحمد دانشمند تثبت أن بداية حكمه كانت في سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧١م رغم أن بعض المؤرخين^(٢) يذكر أن هذا الأمير بعد أن اكتشف معدن الفضة في إحدى فتوحاته المبكرة قام بضرب المسكوكات الفضية باسمه، إلا أن تلك المسكوكات لم يُعثر عليها، ولم يظهر كذلك أي نوع من المسكوكات تحمل اسم هذا الأمير منفرداً^(٣).

وإذا دققنا النظر في الظروف السياسية السائدة داخل إقليم كبادوكيا خلال الفترة (٤٦٤ - ٤٧٧هـ / ١٠٧١ - ١٠٨٤م) يتضح لنا أن هذه الظروف لا تسمح إطلاقاً بقيام إمارة مستقلة داخل هذا الإقليم. وتأتي من بين هذه الظروف حركة القائد النورماني رسل بإيليول الذي اتخذ من هذا الإقليم ميداناً لحركته التمردية ضد الإمبراطورية البيزنطية، وقد بدأت هذه الحركة منذ هزيمة القوات البيزنطية في معركة منازجرد سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م حتى تمكن البيزنطيون من إخضاع حركته سنة

1) Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend. Tome I. P.72.

(٢) هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠٠.

- Mordtmann A.D: Die Dynastie der Danischmende. P.470.

(٣) أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية قتالوغي، القسم الرابع، ص ٨٣.

٤٦٦هـ / ١٠٧٣م، بعد أن ظل هذا التأثير يتنقل بين مدن سيواس واملسية^(١) وقيصرية داخل هذا الإقليم^(٢). فهل يعقل قيام حركتين إحداهما تركية إسلامية والأخرى نورمانية نصرانية ليس بينهما هدف مشترك في زمان ومكان واحد؟ ولو أننا سلمنا بهذا الأمر فلماذا لم تستجد السلطات البيزنطية بالأمير أحمد دانشمند للقضاء على هذه الحركة؟

لذا يرى الباحث أن هذا الأمير لو كان له ثقل سياسي يذكر في سيواس إبان هذه الفترة لذاع صيته خلال هذه الحركة إما بوقوفه في صف القائد النورماني، أو بوقوفه ضده إلى جانب البيزنطيين الذين لجأوا بالفعل إلى الاستعانة بقلعة تركي آخر يدعى توتاك Toutakh تمكنوا بواسطته من إخضاع هذه الحركة التي دامت قرابة ثلاث سنوات^(٣).

وإذا افترضنا كذلك أن قيام هذه الحركة التمردية في إقليم كبادوكيا لم يؤثر على مساعي الأمير دانشمند في تشييد صرح إمارته المستقلة فإن سيواس نفسها التي اتفق أغلب المؤرخين^(٤) على أنها أول مدينة بسط الأمير دانشمند نفوذه عليها كانت خلال الفترة التي نتحدث عنها عاصمة لحكومة أرمنية تخضع للسيادة البيزنطية على رأسها أميران أخوان هما آدم Adom وأبوسهل Abo Sahl إبنا الملك جان سيناخيريم أردزروني Jean Senakherim Ardzrouni. وظل هذان الأميران يحكما ذلك الإقليم حتى لقيّا حتفهما معاً سنة ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م^(٥)، وإلى جانب هذه الظروف التي أشرنا إليها قال المستشرق جوزيف لوران^(٦) بأنه لا يمكن قبل سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م أن يكون الدانشمنديون قد أقاموا حكماً ذاتياً لهم في سيواس. إذ أنه حتى هذا التاريخ

(١) املسية: مدينة في شمالي شرقي تركيا، تقع شرقي أنقرة وتبعد عنها مسافة ٢٢٦ كلم:

- Turkiye Karayollari Haritasi Road Map of Turkey.

2) Brehier Louis: The Life and Death of Byzantium. V.5. P.196.

3) Anna Comnena: The Alexiad. P.73; Brehier Louis: The Life and Death of Byzantium. V.5. P.196.

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١١٨؛ هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ٩٩.

5) Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend. Tome.I. P.71

6) Laurent Joseph: Sur Les Emirs Danichmendites Jusguen 1104 in Etudes D'histoire Armentenne Louvain 1971 P.171

سادت سيطرة الأمير السلجوقي سليمان بن قتلمش سلطان قونية على جميع أمراء الأتراك في الأناضول دون استثناء، ولكن يحتمل أنه بعد قتل هذا الأمير السلجوقي سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م توصل الدانشمنديون إلى إقامة حكم ذاتي لهم في سيواس منتهزين فرصة خلو الأناضول من زعيم قوي يملأ الفراغ السياسي الذي أحدثه رحيل هذا الأمير.

وإذا كان ميخائيل السرياني^(١) وهو المؤرخ الذي عاش في فترة زمنية قريبة جداً من الفترة التي عاش خلالها الأمير دانشمند قد أشار إلى أن ظهور الأمير دانشمند حدث سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م فإن روايته تصبح وسط هذه الروايات المتضاربة في غاية الأهمية، وتنسجم تماماً مع الظروف السياسية المحيطة في مدينة سيواس إبان الفترة التي تحدثنا عنها.

* * *

1) Michel Le Syrien: Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.173.

الفصل الثاني

إمارة الدانشمنديين في سيواس

❶ أولاً: عهد التأسيس والتوسع (٤٧٧هـ - ٥٦٠هـ / ١٠٨٤م - ١١٦٤م)

❷ ثانياً: عهد الانحدار والسقوط (٥٦٠هـ - ٥٧٠هـ / ١١٦٤م - ١١٧٤م)

إمارة الدانشمنديين في سيواس

٤٧٧ - ٥٧٠ هـ / ١٠٨٤ - ١١٧٤ م

ناقشنا أثناء الحديث عن بداية ظهور الدانشمنديين اختلاف المؤرخين بشأن قيام الإمارة الدانشمندية في سيواس، ورجحنا الرواية التي قالت بأن قيام هذه الإمارة كان سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م وذلك استناداً إلى بعض الأدلة والشواهد التي توفرت أمامنا.

وقيل أن نبداً بدراسة أحوال إمارة الدانشمنديين في سيواس حاولنا التعرف على الجهة التي قدم منها الأمير كمشتكين أحمد الدانشمند إلى سيواس وكذلك الظروف التي واجهته وهو في طريقه إليها، ولكننا لم نعثر إلا على معلومات قليلة وغامضة في نفس الوقت لا يعدو كونها وصفاً مختصراً للحالة التي وجد الأمير دانشمند مدينة سيواس عليها، وفوق ذلك كله فإن مصدر هذه المعلومات واحد وهو ملحمة دانشمندنامة، لذلك لانكاد نجد أية إضافات جديدة عما ورد في هذه الملحمة عند أغلب المصادر التاريخية التي اعتمدنا عليها أثناء دراستنا لهذا الجانب.

* * *

أولاً: عهد التأسيس والتوسع

٤٧٧ هـ - ١٠٨٤ / ١١٦٤ م

(١) الأمير كمشتكين أحمد الدانشمند

(٤٧٧ هـ - ٤٩٩ هـ)، (١٠٨٤ م - ١١٠٤) «١١٠٥» م

هو شمس الدين كمشتكين أحمد بن علي^(١) ويرى بعض المؤرخين أنه ولد وعاش في ملطية وقدم منها إلى سيواس^(٢)، وتمكن من دخولها بتدبير من سيواستوس حاكم مدينة توقات البيزنطي وذلك بعد أن أخبره الدانشمند أنه أحد قادة الخلافة العباسية القادمين من بلاد فارس^(٣). ويعزو بعض الباحثين^(٤) تواطؤ بعض حكام أقاليم الأناضول الشرقية الخاضعة للإمبراطورية والذين أغلبهم من الأرمن مع المسلمين إلى ما يكتفه هؤلاء الحكام من الكراهية للبيزنطيين والتي بلغت حدتها بعد هزيمة منازجرد، حيث أن هؤلاء الحكام لم يركنوا إلى الأباطرة البيزنطيين في الدفاع عنهم فصاروا يدبرون أمرهم مع السلاجقة، وقد جاء ذلك في نفس الوقت الذي أقامت خلاله بعض الحاميات العسكرية المرابطة على أطراف الأناضول الشرقية علاقات ودية مع جيرانهم المسلمين في أزمنة الهدوء والسلام، وامتزجوا بالتركمان في بعض الأحوال فليس من المستغرب إذاً أن تتحاز هذه الجماعات إلى القوات التركية الإسلامية وتقوم بتعريض الدفاع البيزنطي في هذه المناطق للاضطراب والتداعي. وعندما دخل الدانشمند سيواس وجدها في حالة خراب من أثر الهجمات السلجوقية المتكررة عليها في عهد السلطان الب أرسلان، وكذلك قيام الإمبراطور البيزنطي رومانوس بإحراق المدينة عندما كان في طريقه على رأس جيشه إلى معركة منازجرد وذلك إنتقاماً من سكانها الأرمن الذين انحازوا إلى جانب الأتراك المسلمين في بعض هجماتهم على الممتلكات البيزنطية^(٥).

(١) حمد الله مستوفي: تاريخ كزينة، ص ٤٧٤. علي أكبر بهمداني: لغت نامه، ص ١٨٦.

(٢) عالي: فصول حل وعقد، ورقة ٣٥ (١). هزافن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ٩٩.

(3) Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.124.

(٤) السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، ص ٨٥٥.

- Ali Sevim: Selguklu-ermenli Iliskileri. PP 18-21.

(5) Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend tome.I P.27.

ومما يجدر ذكره أن الدانشمند قد دخل سيواس دون أن يجد مقاومة تذكر، فبادر إلى تعميرها^(١)، وقام بتحصين قلعتها، وأنشأ فيها المساجد حتى أصبحت قاعدة ينطلق منها الأتراك المسلمون إلى أعماق الأناضول^(٢).

وقد حفظت لنا الرواية الملحمية^(٣) إلى جوار الدانشمند عدداً من القواد الذين صحبوه أثناء فتوحاته العسكرية داخل الأناضول، ويأتي في مقدمة هؤلاء شخص يدعى السلطان طوريسان الذي قاد نصف الجيش إلى القسطنطينية ولكنه لقي مصرعه بالقرب منها^(٤) ومن بين قواد الدانشمند كذلك أرتوخي الذي اعتبرته الرواية الملحمية أخوه في السلاح، وسليمان بن نعمان وأيوب بن يونس^(٥)، ولم تتوفر لنا المعلومات التاريخية الكافية التي تبين ما إذا كانت مثل هذه الشخصيات لها وجود حقيقي أم أنها مجرد شخصيات أسطورية؟، وقد ظلت بعض هذه الشخصيات مصاحبة للدانشمند حتى وفاته، غير أن بعضهم مثل أيوب بن يونس فإنه لقي حتفه قبل وفاة الدانشمند بوقت قصير وبُفن في مدينة نيكسار، أما سليمان بن نعمان فقد كلفه الدانشمند بالقيام ببعض الغارات على سواحل البحر الأسود وأرمينية الصغرى وبقي سليمان مع الدانشمند حتى النزاع الأخير وكان أحد الذين قاموا بدفنه^(٦).

والى جانب القواد الذين تقدم ذكرهم هناك شخص يدعى يحيى بن عيسى كان جاسوساً للدانشمند واستطاع بفضل إجادته لعدة لغات أن يفرق بين خصوم الدانشمند، كما أنه قدم لهذا الأمير معلومات قيمة عن أحوال البلاد المجاورة^(٧). ويعد عثمانجق من أشهر قادة الدانشمند وقد كلفه بشن غارات متعددة

(١) هزافن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ٩٩.

(٢) نجيب عاصم ومحمد عارف: عثمانلي تاريخي، برنجي جلد، ص ١٦٧، أحمد رفيق: تركيا تاريخي، استانبول ١٩٢٣م، برنجي جلد، ص ٦٤.

(٣) عارف علي: دانشمندنامه، ص ٢.

(٤) القرماني: أخبار الدول، ص ٢٩٢.

(٥) عارف علي: دانشمندنامه، ص ٣.

(6) Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend tome.I. P.126.

(٧) عالي: مرقات الجهاد، ورقة ٣٧(١).

- Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend tome.I. P.126.

ناحية إقليم قسطنطيني^(١) وبسبب وجود هذه الشخصية وماتج من التشابه في الأسماء فقد خلط أحد المؤرخين^(٢) بينه وبين عثمان بن أرطغرل^(٣) جد الأسرة العثمانية (٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) حيث قال إن الدانشمند أرسل مع الأمير عثمان أرطغرل جيشاً لفتح قسطنطيني، ولأنك أن هذه الرواية ضعيفة فالمعروف أن عثمان أرطغرل جد العثمانيين قد ظهر في فترة زمنية متأخرة جداً عن الفترة التي ظهر فيها الدانشمند وبالتحديد في عهد السلطان السلجوقي علاء الدين كيقيباذ الثالث^(٤) (٦٩٨ - ٧٠١هـ / ١٢٩٨ - ١٣٠١م)^(٥) ولهذا فإن عثمانجق الذي ورد اسمه في الرواية الملحمية لا يمت بأية صلة لعثمان بن أرطغرل.

ونجد كذلك من بين أقرب قواد الدانشمند إليه حسن بن أيوب حامل رؤية

(١) قسطنطيني: ولاية واسعة في شمالي الأناضول تقع على البحر الأسود الذي يحيط بها من كافة الجهات عدا جهة الشرق. (لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٩١).

(٢) القرمانلي: أخبار الدول، ص ٢٩٢.

(٣) عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه ينحدر من قبيلة قباي التركية إحدى قبائل الغز الذين تركوا آسيا الوسطى وجاموا إلى إيران، ثم غادروها في النصف الأول من القرن الخامس الهجري (النصف الأول من القرن ١١ م) ليستقروا في جوار مدينة (أخلاط) وبسبب زحف المغول تركوا سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١ م هذه المدينة وكان على رأسهم أميرهم سليمان شاه الذي مات غرقاً في نهر الفرات سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨ م، فاختر رجلاه أحد أولاده وهو أرطغرل رئيساً عليهم الذي جال بهم في بعض أنحاء الأناضول. وأقطعاه السلطان السلجوقي علاء الدين كيقيباذ الأول سنة ٦٢٨ هـ مكنياً بالقرب من أنقرة حول (قراجه طاغ). ولما مات أرطغرل سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨١ م قام مقامه أصغر أولاده عثمان بك الذي ولد في بلدة سكود سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨ م وقد نسبت إليه الدولة العثمانية التي تأسست في الأناضول حوالي سنة ٦٩٩هـ / ١٢٩٩ م. (ستانلي لين بول: الدولة الإسلامية، ترجمة محمد صبيحي فرزات، دمشق ١٩٧٣ م، ج ٢، ص ٤٧٣ - ٤٧٤).

(٤) السلطان علاء الدين كيقيباذ الثالث بن فرامرز. اعتلى العرش السلجوقي في الأناضول سنة ٦٩٨ هـ بعد السلطان غياث الدين مسعود الثاني، ويقول بعض المؤرخين أن كيقيباذ الثالث أسقط من الحكم خلال هذه الفترة، وأن العرش بقي شاغراً، ولكنه أعيد سنة ٦٩٩ هـ إلى عرشه تارة أخرى إبان قيام الإيلخان غازان خان بحملته الأولى على الشام. وتوجد كتابات مؤرخة لكيقيباذ الثالث في سني ٦٩٩ و ٧٠٠ هـ، كما توجد مسكوكات مؤرخة في سني ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠ هـ باسم غازان خان في حين يوجد له مسكوكات أخرى باسمه فقط مؤرخة في سني ٦٩٨ و ٦٩٩ هـ. وقد سبق كيقيباذ الثالث بين سنتي ٧٠١ - ٧٠٢ هـ بأمر الإيلخان غازان محمود إلى أصفهان وأعدم فيها. (ستانلي لين بول: الدولة الإسلامية، ج ١، ص ٣٦٦).

(٥) محمد فريد: تاريخ الدولة الحلية العثمانية، بيروت ١٩٧٧ م، ص ٤٠. ؛ ستانلي لين بول: الدولة الإسلامية، ج ١، ص ٣٢٤.

الأمير الذي لقي حتفه في معركة أمام أحد الجيوش الصليبية عند نهر يشيل إيرماق ودفن بالقرب من توقات^(١) وقره تكين الذي لا يزال ضريحه موجوداً في مدينة جانجرا Gangra^(٢).

وإلى جانب هذه الشخصيات هناك امرأتان كان لهما دور مميز في حملات الدانشمند التوسعية وهما: جلتوش زوجته النصرانية التي يبدو أنها ابنة حاكم أنقرة^(٣)، وأفروميا Efromiya زوجة أرتوخي الذي سبقت الإشارة إليه، وهي ابنة حاكم أماسيا شاه شداد^(٤).

وبعد استقرار الدانشمند وقواده في سيواس بدأ في توسيع نطاق إمارته على حساب النفوذ البيزنطي المنهار في مدن كبادوكيا حيث اتجه الدانشمند من سيواس ناحية مدينة قاشان (تورخال) في وسط الأناضول^(٥) وهناك التقى بقائده أرتوخي^(٦).

وكان أرتوخي على رأس جيش قوامه اثنا عشر ألف مقاتل فأمره الدانشمند بفتح المناطق الممتدة من نيكسار إلى حدود البلغار عند جبال بارهار^(٧)، أما الدانشمند نفسه فقد سار إلى حصن طوروس بالقرب من قاشان، وانطلق إلى مدينة توقات^(٨) فاستولى على بعض القلاع والأديرة المحيطة بها ومنها دير

1) Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend tome.I. P.127.

٢) جانجرا: مدينة أسسها البيزنطيون، وقد سماها الترك جانتقيري، وورد اسمها في التراخي العربية القديمة بمورة خنجرة، وهي حالياً تقع شمالي شرقي العاصمة أنقرة، وتبعد خمسين ميلاً جنوبي قسطنطيني (لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٩١).

3) Melikoff: La Geste de Melik Danismend tome.I. P.129-130.

□ حسين حسام الدين: تاريخ أماسيا، ج ٢، ص ٢٨٢.

٤) عالي: مرقاة الجهاد، ورقة ١٣٢(١).

- Sukru Akkaya: Kitab-i Melik Danismend Gazi - Danismendname Ankara. Uniuersitesi Tarih-Cogratya Fakultesi Dergisi VIII Ankara 1950. P.137.

٥) عالي: مرقاة الجهاد، ورقة ١١(١).

- Mordtmann: Die Dynastie der Danischmende. P.469.

6) Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend tome.I. P.145.

٧) تقع هذه الجبال جنوبي إقليم طرابزون، وتطلق عليها بعض المصادر اسم بارخال أما الرحالة الأوروبيون فيعرفونها باسم بارجار. انظر:

Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.126.

٨) محمود أقسرائي: مسامرة الأخبار، ص ١٧.

دريانوس ودير الصليب^(١). ثم اتجه لفتح مدينة كوماننا^(٢) التي لايفصلها عن توقات إلا جبل فيرينك داجي Firenk Dagi^(٣).

ولما أحكم الأمير دانشمند سيطرته على كوماننا عاد إلى توقات، وجعلها مقراً لقيادته العامة وذلك لقربها من مدن وقلاع كبادوكيا الشمالية، وكان الدانشمند عندما يبسط سيطرته على بعض البلدان لاينزل بقواته فيها، بل يأمر بإقامة معسكر بجوارها فيقيم فيه إلى جانب رجال جيشه^(٤)، وسبب ذلك إما لأن الأتراك بصفة عامة لم يألّفوا كثيراً حياة المدن والسكن في بيوتها، إنما اعتادوا على النزول في الخيام، وعلى حياة الترحال والتنقل في الصحاري من مكان إلى آخر. أو لأنهم أرادوا بذلك تجنب الهجمات المفاجئة التي قد يشنها الأعداء عليهم لاستعادة المدن التي سلبوها منهم، كما أن نزولهم في معسكرات خارج المدن لن يجعلهم عرضة للحصار الذي قد يفرضه المهاجمون عليهم، وفي الوقت ذاته فإن المعسكر خارج المدينة سيتيح لقائد الجيش ضبط تصرفات جنده أكثر مما لو كان داخل المدينة.

وبعد أن اتخذ الدانشمند مدينة توقات مقراً لقيادته، زحف إلى مدينة زيلة^(٥) Zela، وشن هجوماً مباشراً على القلعة الكبرى الموجودة داخلها، وكانت محاطة بتحصينات ضخمة، فهرع السكان للاحتماء بهذه القلعة التي لم تكن تتسع للجميع، فأصبح الاحتماء بها من نصيب الأغنياء دون غيرهم. أما الفقراء فقد هربوا إلى الأرياف المجاورة، وقد استعصى اقتحام هذه القلعة على الأمير، فطلب إحضار المنجنيق^(٦) من مقر القيادة في توقات، وأعطى أوامره بضرب

1) Melikoff: La Geste de Melik Danismend. Tome I. P 147.

٢) كوماننا: مدينة قديمة أسسها ايرج بن فريدون وكانت تعزف باسم «سيسية» انظر: هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ٩٩.

3) Melikoff: La Geste de Melik Danismend Tome.I. P.147.

4) Melikoff: Op. Cit. P.149.

٥) زيلة: مدينة في شمالي شرقي الأناضول، تقع غرب مدينة توقات (لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٧٩).

٦) المنجنيق: لفظ أعجمي معرب وهو آلة للقذف استخدمت في حروب الحصار منذ القرن الخامس قبل الميلاد حتى القرن الخامس عشر الميلادي وخُلعت في العصور الوسطى. من أنواعه مايرمي السهام أو الحجارة أو قدور الحشرات. وقد بطل استخدامه في أعقاب اختراع البارود والمدفعية. (الموسوعة العربية الميسرة، ط ٢، القاهرة ١٩٧٢ م، إشراف محمد شفيق غربال، مادة المنجنيق، ص ١٧٥).

القلعة، فدمرت عن آخرها وسقطت المدينة بيد القوات الدانشمندية^(١)، التي اتجهت على اثر ذلك صوب مدينة جوروم^(٢) وفرضت عليها حصاراً شديداً حتى تمكنت من اقتحامها بعد متاعب جمّة^(٣) وغنمت القوات الدانشمندية من فتح مدينة جوروم أموالاً كثيرة وأخذت العديد من الأسرى^(٤).

وبعد أن تغلب الدانشمند على جوروم اتجه ناحية أماسيا فطلب من أميرها شاه شداد الذي كان خاضعاً للبيزنطيين أن يزوجه من ابنته ولكنه رفض أول الأمر، فدعاه إلى اعتناق الإسلام ووافق على هذا الطلب، ومنذ ذلك الوقت أصبح حاكم أماسيا تابعاً للدانشمنديين، كما أنه وافق على أن يزف ابنته إلى الأمير دانشمند واحتفل هذا بزواجه في سهل أماسيا^(٥) وعلى إثر هذه التطورات قرر الدانشمند اتخاذ أماسيا مقراً لقيادته العامة بعد سيواس وتوقات، وأسكن زوجته الجديدة داخل حصن في هذه المدينة^(٦) وأغلب الظن أن سكان مدينة جوروم حاولوا الاستفادة من انشغال الدانشمند بترتيب أمور زواجه في أماسيا وإقامته الطويلة هناك ففعلوا الخروج عليه، وعند ذلك أرغم الدانشمند على العودة إلى جوروم مرة أخرى حيث تمكن من ضبطها وتأييد المتمردين بها. وبعد وقت قصير تعرضت هذه المدينة لهزة أرضية دمرت ما بقي من معالمها فاضطر الدانشمند إلى الخروج منها، واتجه إلى مدينة سلمان رباطي^(٧) الواقعة على طريق جوروم - أماسيا.

1) Melikoff: La Geste de Melik Danismend. Tome.I P 150.

٢) جوروم: مدينة تقع شمالي شرقي العاصمة التركية أنقرة، وتبعد عنها مسافة ٤٧٠ كلم تقريباً. انظر:

- Turkey Karayollari Haritasi (Road Map of Turkey).

٣) علي: فمول حل وعقد، ورقة ٣٥(١).

- Nihad Sami: Turk Edebiyatı Tarihi Istanbul 1972. Cilt.I P 302.

٤) هزافن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠٠.

5) Osman Turan: Selcuklular Zamanında Turkey Tarihi. P.125.

6) Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend Tome.I. P.151.

٧) رباطي: الرباط نوع من المباني العسكرية يأوي إليه المجاهدون، وكانت الأربطة منتشرة في صدر الإسلام وخاصة في شمال أفريقيا، وهو عبارة عن مبان ذات تخطيط مستطيل مزودة بأبراج في الأركان يتوسطها فناء في الداخل تحف به حجرات صغيرة ذات نوافذ ويلحق به مسجد صغير. (الموسوعة العربية الميسرة، مادة الرباط، ص ٨٦١)

ويبدو أن الدانشمند لم يواجه مقاومة تذكر عند دخوله هذه المدينة^(١). وفي الوقت الذي أخذ فيه الدانشمند يتأهب للهجوم على مدينة نيكسار أرسل قائده عثمانجق على رأس خمسة آلاف مقاتل لضم إقليم قسطنطيني^(٢). وفي الطريق إلى قسطنطيني تمكن عثمانجق من السيطرة على قلعة افلنوس^(٣) Eflonis واستولى على مكان جموش مادن (مناجم الفضة) وسكت العملة باسم الأمير^(٤)، وتم تغيير اسم المدينة إلى عثمانجق^(٥) نسبة إلى فاتحها. وبعد أن استقر عثمانجق في قلعة افلنوس أخذ يهاجم قسطنطيني وضرب عليها حصاراً يسر له سقوط بعض القلاع المجاورة في حوزته^(٦).
 أما بالنسبة للدانشمند فقد أنجز في هذه الفترة عملاً عسكرياً كبيراً حيث استولى على مدينة نيكسار التي كان اسمها آنذاك سالوسية^(٧) وذلك بعد قتال ضار اندلع بين قواته وبين قوات دوق طرابزون ثيودور جابراس^(٨) الذي دافع عن المدينة دفاعاً مستميتاً غير أن الدانشمنديين حملوه على الانسحاب والعودة إلى طرابزون^(٩).

وبعد أن اطمأن الدانشمند إلى وقوع نيكسار تحت سيطرته زحف إلى جانك Ganik^(١٠) وهو الاسم الذي أطلقه الأتراك على المنطقة الواقعة غربي

1) Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend tome.I. P 153.

2) Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P 472.

٣) عالي: مرقاة الجهاد، ورقة ٨٥ (ب).

4) Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P 26.

٥) عثمانجق: مركز على نهر قزل ايرملق في ولاية سيواس على بعد عشر ساعات من أماسيا (علي جواد: ممالك عثمانية، قسم أول، ص ٥٣٧).

6) Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.472

٧) هزار فن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠٠.

٨) ثيودور جابراس: أحد قادة الجيش البيزنطي وكان بعض الأباطرة لا يأمروا جانبه أبداً لذلك تم طرده من القسطنطينية بعد ترقيته إلى وظيفة دوق Duke وعين في إقليم طرابزون الذي كان خاضعاً لسيطرة الأتراك فلنترعه جابراس منهم وأعلن هناك استقلاله عن الإمبراطورية واستمر يحكم هذا الإقليم حتى لقي مصرعه سنة ٩٢٢هـ / ١٠٩٨م.

- Anna Comnena: The Alexiad. P.265.

9) Osman Turan: Selcuklular Zamanında Türkiye Tarihi. P.125.

١٠) جانك: مدينة غربي إقليم طرابزون الواقع على البحر الأسود (علي جواد: ممالك عثمانية، قسم أول، ص ٢٧٣، ٢٧٤).

طرابزون وشمالى سيواس، وعندما كان فى الطريق إليها مر بقلعة حلكبند إحدى قرى نيكسار^(١) فمضى لحصارها وإثناء ذلك واجه تحالفاً عسكرياً تشكل ضده بزعامة جابراس دوق طرابزون الذى جمع جيشاً من الأرمن والكرج إلى جانب البيزنطيين^(٢) وحدثت مواجهة عسكرية بين الجانبين حيث إن الدانشمند أصيب بسهم فى ركبته فاضطر إلى رفع الحصار عن قلعة حلكبند^(٣) وعاد فوراً إلى نيكسار ولكنه وجد المدينة قد انقلبت عليه حيث أعلن الأهالي تمردهم على الدانشمنديين وقتلوا المسلمين الموالين لهم داخل المدينة، فانضم المتمردون إلى القوات البيزنطية التي وصلت إلى نيكسار قبل عودة الدانشمند إليها بوقت قليل وكانت هذه القوات بزعامة حاكم جانيك تارونيتس Taronites الذي يعتقد أحد الباحثين^(٤) بأنه ابن جابراس دوق طرابزون حيث استعان بقوة من قوات أبيه وفرساناً من الأرمن وجمع جيشاً مؤلفاً من ثمانين ألف مقاتل عسكر بهم داخل نيكسار، فاضطر الدانشمند إلى ضرب الحصار عليها، وقد طال أمد هذا الحصار مما نتج عنه سقوط العديد من القتلى في صفوف الدانشمنديين أمام المقاومة البيزنطية التي يقودها حاكم جانيك^(٥).

وبعد أن يئس الدانشمند من سقوط نيكسار بيده، وتأكد له أنها على شفا الوقوع بأيدي أعدائه البيزنطيين، انسحب عنها، وبدلاً من أن يتركها لهم أشعل فيها النيران، ولحق بها من جراء ذلك دمار كبير^(٦).

ويعود سبب قيام هذا التمرد داخل نيكسار ضد الدانشمند إلى أن النصارى القاطنين شمال الأناضول كانوا يعتبرون نيكسار مدينتهم المقدسة الأولى بحكم أنها كانت منذ القرون الأولى مكاناً لإقامة الرهبان^(٧).

رحل الدانشمند بعد ذلك إلى قلعة حلكبند التي يبدو أن حاميتها قد

1) Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.125.

2) Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend tome.I. P.108.

3) Casanova.P.: La Numismatique des Danichmendites. P.27.

4) Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.131.

5) Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.125.

(٦) هزافن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠٠.

(٧) إسماعيل حقي: كتابه لر، استانبول ١٩٢٧م، ص ٥٨.

استعدت بشكل كاف من أجل التصدي للقوات الدانشمندية، وبينما كان الأمير يجهز قواته لشن هجوم على القلعة أطلق عليه مقاتل كرجي من القلعة سهماً أصابه في صدره، ففارق الحياة في الحال، ودُفن بالقرب من نيكسار. وشيّد ابنه غازي فيما بعد قبة عالية فوق قبره^(١).

ومثلما سيطر الغموض على أصل الدانشمند، وبداية ظهوره، وتاريخ فتوحاته العسكرية في الأناضول فإن وفاته ظلت كذلك موضع خلاف بين المؤرخين حيث تذكر بعض المصادر المعاصرة السريانية^(٢)، والأرمينية^(٣) أن وفاته كانت سنة ٤٩٩هـ / ١١٠٤م (١١٠٥م).

أما بالنسبة للرواية الملحمية «دانشمندنامه» التي كان ينتظر منها أن تعطي تاريخاً دقيقاً لوفاة الدانشمند فإنها لم تقدم شيئاً حول ذلك بل إنها أشارت عند وفاة الدانشمند إلى حادثة أضافت غموضاً جديداً إلى هذه المسألة الشائكة، ونقلت عنها ذلك بعض المصادر^(٤) فقد أفادت بأن الدانشمند خلف وراءه ابناً صغيراً يدعى غازي لم يكن مؤهلاً لتصريف شئون الإمارة، فاضطر أرتوخي أحد قواد أبيه ومعه أفروميا التي يقال بأنها زوجته^(٥) إلى أخذ الأمير غازي والهروب به ناحية بغداد لطلب المساعدة من الخليفة العباسي المقتدي بأمرالله. فاستناداً إلى هذه الرواية تكون وفاة الدانشمند قد تمت ما بين سني ٤٦٧هـ / ١٠٣١م - ٤٨٧هـ / ١٠٧٥م وهي فترة خلافة المقتدي.

وعلى الرغم من وجود الروايات المعاصرة لهذه الإمارة التي أشارت إلى تاريخ وفاة زعيم البيت الدانشمندي فإن بعض المؤرخين المحدثين^(٦) قد أخذوا

(١) هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠٠.

- Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.471.; Osman Turan: Selduklular Zamanında Türkiye Tarihi. P.126.

2) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.192.

لـ ابن العبري: تاريخ الزمن، ص ٢٨.

3) Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.256.

(٤) عالي: نمول حل وعقد، ورقة ٣٥ (ب). هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠٨.

5) Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend tome.I. P 130.; Sukru Akkaya: Kitab-1 Melik Danismend. Gazi- Danismendname. P.137.

(٦) أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ٨٢. خليل أنعم: نول إسلامية، استانبول ١٩٢٧م، ص ٢٢٠.

- Grousset: Histoire des Croisades. V.I. P.LVII.

برواية أخرى تقول إن الأمير دانشمند قد توفي سنة ١٠٨٤هـ / ١١٧٧م وهذا التاريخ
أشرنا إليه من قبل بأنه يعني بداية قيام إمارة الدانشمديين على أرجح
الروايات وليس وفاة مؤسس هذه الإمارة.

ونحن نميل إلى الرواية التي تقول إن الأمير دانشمند قد توفي سنة ١١٩٩هـ /
١٢٨٥م (١١٥م) مستنديين في ذلك إلى بعض الاعتبارات التي منها إجماع المؤرخين
المعاصرين (٨) لهذه الإمارة على هذا التاريخ. وكذلك وجود معلومة أوردها مؤرخ
لاتيني (٩) من مؤرخي الحملة الصليبية الأولى ذكر فيها أن الأمير الصليبي
بوهمند اقتيد بعد أسره ليُمكّل بين يدي الملك الدانشمندي كمشتكين.

ومن بين الاعتبارات التي جعلت الباحث يرجح وفاة الأمير دانشمند سنة
١١٩٩هـ / ١٢٨٥م أنه ليس من المعقول أن يحكم ابنه وخليفته «ملك غازي» لمدة
نصف قرن من الزمان إذا أخذنا بالرواية التي تقول أن وفاة الدانشمند كانت سنة
١١٧٧هـ / ١٢٨٤م ومعنى هذا أن «ملك غازي» حكم منذ ذلك التاريخ حتى وفاته
المتفق عليها عند معظم المؤرخين (٣) سنة ١٢٥٩هـ / ١٣٣٥م وهذه في الواقع فترة
حكم طويلة من الصعب أن تتحقق في زمن مضطرب لا يتيح استمرارية حكم
الأمراء (٤).

ولا يزال قبر كمشتكين الدانشمند قائماً بين المعالم الأثرية التي تزار في
قلعة نيكسار وقد نقشت عليه بعض العبارات إلا أنه ليس فيها ما يرشد إلى
تاريخ وفاته كما جرت العادة بذلك في قبور كثير من الأمراء والسلاطين.
ويوصف قبر هذا الأمير بأنه مبني من الحجر الأسود لكنه ليس من المرمر (٥)
ومكتوب عليه بعض العبارات بخط الثلث تقع في أربعة أسطر مرتبة بالإضافة
إلى سطر خامس في الركن الأيسر ومع أن خطها ليس جيداً إلا أنه يقرأ

1) Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.256.; Michel le Syrien:
Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.192.

2) Radulph of Caen: Gesta Tancredi. P.705.

3) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.237.

□ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤٧.

• Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P.7.

4) Laurent Sur les Emire Danichmendites Jusguen 1104. P.170.

٥) إسماعيل حقي: كتابه لر، ص ٥٩.

بسهولة والكتابة هي: «أمر بإنشاء هذه البقعة المباركة الملك العادل نظام الدنيا والدين أبوالمظفر ياغي بسان بن ملك غازي بن ملك دانشمند ظهير أمير المؤمنين سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة»^(١). ويتضح من هذا النص أنه كتب بأمر من رابع أمراء الدانشمنديين في سيواس ياغي بسان بن ملك غازي بن دانشمند (٥٣٧هـ / ١١٤٢-١١٦٤م)^(٢). ورغم أن هذه الكتابة بجانب الباب الداخلي لقبر الدانشمند في نيكسار فإن هناك من يقول باحتمال أن تكون تلك الكتابة خاصة بأحد المبنيين اللذين يطلق عليهما جامع ومدرسة ياغي بسان في جزء من قلعة نيكسار وهما الآن في حالة خربة حيث لم يبق منهما إلا الجدران^(٣).

وقد أشار باحث تركي^(٤) إلى أن القاضي برهان الدين^(٥) بعد سيطرته على قلعة نيكسار زار قبر الدانشمند وأثناء ذلك انغرست شوكة في أحد أصابعه سألت على إثرها قطرات من الدماء فقال القاضي برهان الدين لا بد أن الغازي دانشمند يريد أن يقول: أن دماك سألت من أجل هذه البلاد كما سألت دمائي من قبل.

ويضيف الباحث^(٦) نفسه بأن أحد الرحالة الأجانب قد زار هذا القبر وذكر بأنه يوجد فيه ملحمة دانشمندنامه التي تحكي غزواته وبطولاته وتشيد بشمالته وصفاته وكان حارس ضريح الأمير دانشمند يقرأ له من هذه الملحمة بكل أدب ووقار.

1) Berchem Max Van: Epigraphie des Danichmendides. PP.86-87.

[١] إسماعيل حقي: كتابه لر، ص ٥٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣١٧. العمري: مسالك الأبحار، ج ٢٧، ص ٤٣.

(٣) إسماعيل حقي: كتابه لر، ص ٦٠.

4) Osman Turan: Selseuklular Zamanında Türkiye Tarihi. P.118.

(٥) برهان الدين أحمد القاضي: والي سيواس ولد في قيصرية عام ١٧٤٥هـ / ١٣٤٤م من أسرة جلها من القضاة، أتم دراسته في حلب، ثم استقر بمدينة أرزنجان في شرقي الأناضول ونشأت بيته وبين أمير هذا البلد حلة ومودة فتزوج القاضي ابنته، ولكن سرعان ما دب الخلاف بينهما فقتله برهان الدين، ونصب نفسه مكانه واستولى على سيواس وقيصرية ولقي برهان الدين حتفه عام ٧٩٩هـ أو ٨٠٠هـ / (١٣٩٧-١٣٩٩م) أثناء نضاله مع قره عثمان الملقب بقره يولق من تركمان القطي الأبخري. انظر (دائرة المعارف الإسلامية، مادة برهان الدين، ج ٣، ص ٦٠٥).

6) Osman Turan: Selseuklular Zamanında Türkiye Tarihi. P.118.

ولقد وصف متى الرهاوي^(١) سيرة الأمير دانشمند قائلاً: «لقد كان رجلاً مصناً لشعبه رحيماً كريماً مع (المسيحيين) الذين حزنوا حزناً بالغاً عند وفاته فقد كانوا يحبونه ويجلونهم».

ووفقاً لبعض الروايات^(٢) فإن الدانشمند توفي تاركاً وراءه اثني عشر ولداً فخلفه على العرش أكبر أبنائه ويدعى غازي.

ونحن نعتقد أن هذا العدد الكبير يمثل أولاده وأحفاده معاً الذين كانوا موجودين عندما حضرته الوفاة حيث إننا لم نجد في المصادر التي أتت لنا الاطلاع عليها كل هذا العدد من الأبناء، وقد أمكننا التعرف على ثلاثة منهم أهمهم غازي وهو أكبر أخوته سنأ الذي يبدو أن أباه أسند إليه قيادة بعض الحملات العسكرية التي بعث بها إلى ملطية، والثاني إسماعيل الذي كان يحكم إحدى القلاع الدانشمندية داخل الأناضول ويبدو أنها أماسيا، وذلك أثناء اجتياح بعض القوات الصليبية هذه المنطقة سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م^(٣). ويظهر أن رواية أبي الفرج بن العبري^(٤) التي خلط فيها بين الأمير أحمد دانشمند وبين ابنه إسماعيل في بعض الحوادث خاصة التي وقعت في ملطية خلال الفترة (٤٩٧-٥٠٠هـ / ١١٠٣-١١٠٦م) هي التي جعلت أحد المستشرقين^(٥) يعتقد بأن إسماعيل قد حكم فعلاً في ملطية نيابة عن أبيه، وأنه عندما توفي إسماعيل سنة ٤٩٩هـ / ١١٠٥م تولى ابنه سنجر مكانه في ملطية. ولكن إحدى الروايات التاريخية المعاصرة^(٦) لهذه الفترة تفند هذا الرأي وتشير إلى أن هناك ابناً ثالثاً هو أغوسيان بن دانشمند الذي كان على رأس السلطة في هذه المدينة أثناء وقوع الهجوم السلجوقي عليها سنة ٤٩٩هـ / ١١٠٥م.

ولمى جانب غازي وإسماعيل وأغوسيان أبناء الدانشمند يضيف إليهم أحد

1) Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.256.

2) Matthieu d'Edesse: Op. Cit. P.256.

□ عالي: فصول حل وعقد، ورقة ٣٦(١).

Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.478.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٣٠٠. ابن خلدون: المعبر، ج ٥، ص ١٨٨.

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١١٨.

5) Casanova La Numismatique des Danichmendites. P.49.

6) Michel le Syrien Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.192.

الباحثين^(١) كلاً من إبراهيم وكمشتكين.

وهناك رواية^(٢) تشير إلى أن كمشتكين الدانشمند هو كمشتكين القيصري الذي استدعاه السلطان السلجوقي بركيارق بن ملكشاه (٤٨٧-٤٩٨ هـ / ١٠٩٤-١١٠٤ م) ليتولى شحنة^(٣) بغداد وذلك سنة ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م^(٤).



1) Mokrimin H. Yinang: Danismendiler. in: Islam Encyclopedia. Cilt.3. P.469.

(٢) رضوان نافع وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٢٣.

(٣) كان شحنة بغداد صاحب إحدى الوظائف الكبرى إبان العصر السلجوقي ويقعد به نائب السلاجقة العظام أو ممثلهم لدى الخليفة العباسي في بغداد، ويعتبر صاحب الشحنة هو الحاكم الفعلي في العاصمة ولديه من القوات ما يمكنه بها من دفع أي خطر خارجي والقضاء على أي فتنة داخلية. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، القاهرة ١٩٧٦ م، ج ٤، ص ٦٥).

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٣٥٥.

(٢) ملك غازي بن دانشمند

(٤٩٩ - ٥٢٩ هـ / ١١٠٥ - ١١٣٥ م)

ولد ملك غازي بن دانشمند أثناء محاصرة أبيه لقلعة جوروم^(١)، غير أنه لم يتم تحديد تاريخ فتح هذه القلعة كي نتمكن من معرفة السنة التي ولد فيها. وطبقاً للإحدى^(٢) الروايات فإن ملك غازي كان صغيراً في السن حينما ارتقى عرش الإمارة عقب وفاة أبيه مباشرة. وذلك بعد أن تلقى دعماً عسكرياً ومعنوياً من الخلافة العباسية في بغداد^(٣).

ويقول بعض^(٤) الدارسين أن ملك غازي قضى على جميع اخوانه يوم توليه العرش، وإذا صحت هذه الرواية فإن ملك غازي في اعتقادنا لم يكن صغيراً وقت وفاة أبيه لأنه ليس بمقدوره أن يقوم بالتخلص من اخوانه وهو في هذه المرحلة من العمر.

ولقد التبس اسم ملك غازي على عدد من المؤرخين حيث خلط بعضهم بينه وبين أبيه تارة، وبينه وبين ابنه محمد تارة أخرى، كما أن أحد المؤرخين يعتقد بأن الاسم الحقيقي لملك غازي هو إبراهيم. أما بالنسبة للذين خلطوا بينه وبين أبيه فهؤلاء^(٥) قد نسبوا إليه الاسم التركي لأبيه «كمشتكين» وهو ما أشرنا إليه من قبل، الأمر الذي جعل بعض الباحثين يتصور بأن ملك غازي هذا كان على رأس إمارة سيواس عندما احتدم الصراع بين القوات الدانשמندية وقوات الأفرنج قرب ملطية سنة ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م^(٦).

أما بالنسبة لمن لم يفرقوا بينه وبين ابنه محمد فقد أطلقوا عليه اسم ملك

(١) هزافرن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠٠.

- Sukru Akkaya: Kitab Melik Danismend. Gazi Danismendname. P.142.

(٢) عالي: فصول حل وعقد، ورقة (١) ٣٥.

3) Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.471.

4) Umit Hassan. re Baskalari: Turkiye Tarihi.I. P.196.

□ رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٢١.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٣٠٠. أبو الفدا: المختصر، ج ٢، ص ٢١٢. ابن الوردي: تنمة

المختصر في أخبار البشر (تحقيق أحمد رفعت) ط ١، بيروت ١٩٧٠ م، ج ٢، ص ٢١.

(٦) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ١٣٧ - ١٣٨.

غازي محمد وقالوا بأن تاريخ وفاته كان سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م، والواقع أن ابنه محمد هو ثالث أمراء سيواس وهو الذي توفي في هذا العام^(١).

أما من يرى بأن إبراهيم هو الاسم الحقيقي لملك غازي فقد بنى رأيه على أساس بعض الوقفيات التي لاتزال موجودة حتى الآن، ومنها وقفية مؤرخة عام ٥٠٩هـ / ١١١٥م ومحركة باسم السلطان إبراهيم دانشمند في الصفحة التاسعة والثلاثين بعد المائة من دفتر الخامس الخاص بالقيود القديمة في إستانبول، ويبدو أنه كتب فيها وصفاً لملك غازي أثناء حياته حيث ورد في هذه الوقفية: «...أما بعد ثم إن السلطان الأعظم الأعدل الأكرم مالك رقاب الأمم السلطان إبراهيم بن المرحوم المغفور السعيد المبرور... بيك خلد الله مملكته وزاد إنصافه ودام عمره ورحم أسلافه...»^(٢).

وهناك وقفية أخرى خاصة بالملك إسماعيل بن ياغي بسان مؤرخة عام ٥٦٠هـ / ١١٦٤م وقد ورد فيها (ملك إسماعيل بن ياغي بصل بن ملك غازي إبراهيم بن سيد ملك أحمد دانشمند غازي...)^(٣).

وعلى الرغم من وضوح نص الوقفية الثانية فإن الوقفية الأولى خلت تماماً - كما هو واضح - من ذكر اسم والد السلطان إبراهيم المشار إليه في السطر الأخير، مما يجعلها لاتصلح أن تكون سنداً للباحث لكي يثبت أن الاسم الحقيقي لملك غازي هو إبراهيم.

وعلى أية حال هناك بعض المسكوكات والنقوش التي تؤكد بأن ملك غازي بن أحمد دانشمند شخص مستقل، وقد تولى إمارة سيواس عقب وفاة أبيه سنة ٤٩٩هـ / ١١٠٤م^(٤) ويعتبر أول أمير من أمراء الدانشمند يحظى بتأييد وثقة الخلافة العباسية لما أظهره من ولاء شديد للخلافة خلال فترة حكمه^(٥)، إذ منحت له لقب «ملك» فصار لقباً رسمياً من بعده لخلفائه أمراء الدانشمنديين في

1) Sallet Alfred Van: Munzen Und Medaillen (Berlin 1898), P.140.

٢) رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٢٣.

٣) المرجع نفسه، ص ٢٣.

4) Berchem Max Van: Epigraphie des Danielmendes. P.87.

٥) طالع المبحث الخامس بالعلاقات السياسية بين الدانشمنديين والخلافة العباسية في الفصل الرابع.

سيواس^(١).

ولقد حمل ملك غازي القاباً آخر عديدة منها «ملك العالم العادل ناصر الدنيا والدين أبوالمظفر ملك غازي»^(٢)، ومنها «الأمير المعظم أمير غازي»^(٣)، ومنها «ملك غازي وسلطان الشمال»^(٤).

وكانت الخلافة العباسية قد دأبت على منح الألقاب لبعض القادة والسلاطين الذين يكون لهم دور بارز في ميدان الجهاد الإسلامي والذود عن حياض الخلافة العباسية. وكان ملك غازي حينما اعتلى عرش الإمارة جعل شخصاً اسمه خلفت بن التكين وزيراً له، وكان والده تكين أحد وزراء الأمير أحمد دانشمند غازي^(٥).

ويذكر أحد^(٦) المؤرخين عن ملك غازي أنه كان حاكماً جسوراً قوي البنية محباً لجنده فكان يأمر بنزولهم كل يوم ليأكلوا من مائدته، وكان رجلاً مزواجاً حتى أنه قبل وفاته بمدة يسيرة كان على وشك الزواج، فأمر سكان ملطية بإقامة الزينة وإطلاق الأهازيج في الشوارع والميادين، وقد تميز حكم الأمير غازي بالعدالة والسماحة تجاه أهل الذمة - شأنه في ذلك شأن الحكام المسلمين -. ويذكر عنه أنه سمع ذات يوم رجلاً فارسياً يقيم في ملطية جلس على الصليب ساخراً من النصارى، فأمر بتفنيه خارج الحدود^(٧).

وكان ملك غازي شجاعاً وقوياً حيث كان اللصوص وقطاع الطرق يهابونه كثيراً، ولهذا فقد عم الأمن، وساد الرخاء والاستقرار معظم أرجاء إمارته، وتبوات إمارة سيواس في عهده مقام الصدارة في الأناضول^(٨).

وكان ملك غازي قد مرض وهو يقيم بين عساكره داخل ملطية، ولقي حتفه

1) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.233.

2) Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.478.

٣) أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ٨٥.

٤) رضوان نافع وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٢٢.

٥) هزافن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠١.

6) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.237.

7) Osman Turan: Selduklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.172.

8) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.237.

سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٥م^(١)، وهناك من يشير إلى أن وفاته كانت سنة ٥٢٨هـ / ١١٣٤م^(٢)، ولكن هذا الرأي ضعيف استناداً إلى التواريخ المنقوشة على المسكوكات الخاصة بابنه وخليفته الأمير محمد بن غازي التي نشرها عدد من الباحثين^(٣) في علم المسكوكات وهي تدل على أن وفاة ملك غازي وتولي ابنه محمد من بعده قد حدثت سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٥م.

ولقد تم نقل جثمان ملك غازي إلى وسط الأناضول حيث دفن في قرية عرفت باسمه، وتقع بين قيصرية وسيواس^(٤).



1) Michel le Syrien: Op. Cit. P.237.

٢) العظيمي: تاريخ العظمي، ص ٤٠٩.

3) Casanova: La Numismatique des Danichmendites P.50., Sallet: Munzen Und Medaillen. P.140.

٤) أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ٨٦.

4) Özguc (Tahsin) Ve Akok (Mahmut): Melik Gazi Turbesti Ve Kalest Belleten XVIII. Ankara 1954 PP(331 - 335).

(٣) ملك محمد بن غازي
(٥٢٩ - ٥٣٧ هـ / ١١٣٥ - ١١٤٢ م)

عندما توفي ملك غازي بن دانشمند في ملطية خلف وراءه عدداً من الأبناء قيل أن عددهم أربعة وهم محمد الذي أوصى له والده بالإمارة من بعده ويأغي بسان أو (يعقوب أرسلان)^(١) وعين الدولة وياجان Yagan^(٢)، ويضيف البعض إلى هؤلاء أخاً خامساً اسمه بالدوق أو بالدوخ Baldoukh، الذي كان يحكم قلعة سميساط^(٣) حوالي سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م^(٤)، ويرى الباحث أن بالدوخ لا ينتمي إلى أسرة الدانشمنديّة، بل إنه من أمراء الأراتقة حكام بلاد الجزيرة الفراتية، بدليل أن المؤرخ ابن العديم^(٥) أشار إلى أن قلعة سميساط كانت سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م تتبع الأمير الأرتقي سليمان بن إيلغازي.

وكان الأمير محمد بن غازي خارج مدينة ملطية وقت وفاة أبيه، ولما علم بالخبر عاد إليها مسرعاً خوفاً من اتفاق زعمائها مع أحد أخوته فيبأيعوه أميراً عليهم^(٦). ويذكر ابن العبري^(٧) الذي أطلق على الأمير محمد اسم محمود أنه قد حمل معه بعض الهدايا، وقام بتسليمها إلى أعيان مدينة ملطية محاولة منه لكسبهم إلى جانبه. وفي هذه الأثناء تمرد شقيقا الأمير محمد ياجان وعين

1) Schlumberger. G: Une Nouvelle Monnaie a Legende Grecque des Emirs Danischmendides de Cappadoce (Monnaie de Cuivre Bilingue de d'Soul-Karnein Emir de Melitene Vers le Milieu du XII S.) Rev Num 1887 P.6.

2) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.238.

٣) سميساط: مدينة على شاطئ الفرات الغربي في طرف بلاد الروم (ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٢٥٨).

٤) المؤرخ السرياني المجهول: (الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية)، ترجمة وتحقيق سهيل زكار، الحروب الصليبية، ط١، دمشق ١٩٨٤ م، ج٢، ص٤٥٨. عليه الاجتزوري: إمارة الرها الصليبية، القاهرة ١٩٧٥ م، ص٧٣.

Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P.54.

٥) زبدة الحلب، ج٢، ص١٢٦.

٦) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٤٧.

٧) نفسه.

الدولة عليه، وطالبها باقتسام أملاك إمارة سيواس فيما بينهم، ولكن الأمير محمد بحكم أنه ولي عهد أبيه رفض ذلك، وعندئذ أعلن الحرب على أخويه، وقد تمكن من القبض على عين الدولة فسجنه، ثم وثب على أخيه الآخر ياجان وقتله^(١).

ومما يلفت الانتباه هنا أن ميخائيل السرياني الذي ساق حادثة مقتل ياجان على يد أخيه محمد نجده قد ناقض نفسه في موضع آخر حيث ذكر بأن الأمير ياجان لقي مصرعه بواسطة الأمير السلجوقي عرب بن قليج أرسلان^(٢) حينما نشب النزاع بين عرب ووالد ياجان غازي بن دانشمند سنة ٥٢١هـ / ١١٢٧م^(٣).

ونحن إزاء هذا التناقض الواضح في رواية تلك الحادثة لدى المؤرخ السرياني ليس بوسعنا إلا تأييد ما طرحه فرديناند شالندون^(٤) إذ يقول أن الأمير الدانشمندي ياجان لم يقتل في عهد أبيه خلال نزاعه مع عرب، إنما جرى أسره فقط، ثم أطلق سراحه، ولقي مصرعه فيما بعد على يد أخيه محمد.

ظل عين الدولة سجيناً لدى أخيه الأمير محمد، وبعد وقت قصير عفا عنه، ومنحه حكم مدينة أبلستين ونواحيها^(٥). ورغم ذلك يبدو أن هذا الإقطاع لم يشبع رغبة عين الدولة الذي كان يتطلع إلى الاستقلال بحكم ملطية، ولما اكتشف الأمير محمد نوايا أخيه قرر طرده إلى خارج حدود الإمارة الدانشمندية، وانتزع من يده المدن التي سبق أن منحها إياه، وكان ذلك سنة ٥٣١هـ / ١١٣٧م^(٦).

وفي الوقت الذي سعى خلاله الأمير محمد إلى حرمان بعض أخوانه من الحصول على المدن التي كانوا يرغبون في الانفراد بحكمها، نجده قد خص

1) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.238.

٢) عندما توفي سلطان سلاجقة الأناضول قليج أرسلان بن سليمان بن قتلмыш سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٧ م ترك وراءه أربعة من الأبناء وهم (ملكشاه ومسعود وعرب وطفول أرسلان). فقام ملكشاه وسجن أخويه مسعوداً وعرباً، وقد خاض الأمير عرب حروباً عديدة ضد أخيه مسعود والأمير غازي بن دانشمند، وسيطر عرب على مدينتي كوماننا وأنقرة، ولكنه انهزم أخيراً ولجأ إلى البيزنطيين. (ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٣٢).

- Michel le syrien: OP. cit. PP.194,224.

3) Michel le Syrien: Op. Cit. P.224.

4) Les Comnene.II Jean Comnene et Manuel Comnene. New York. P.80.

5) Schlumberger: Une Nouvelle Monnaie a Legendre Grecque des Emirs Danischmendides de Cappadoce. PP 6 7

٦) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٥٣

أبناءه الأربعة ببعض الإقطاعيات والمناصب الهامة. فقد عيّن ابنه الأكبر أبا المظفر ذا النون ولياً للعهد من بعده^(١). وأقطع ابنه يونس قلعة مسارا Macara (المنشار)^(٢)، في حين جعل ابنه إلياس نائباً عنه في سيواس، وابنهم إبراهيم في ملطية^(٣).

وقبل أن يغادر الأمير محمد ملطية خشي من قيام اتصال بين أهلها وبين بقية إخوانه سواء الذين فضلوا البقاء في ملطية، أو من كان منهم في المنفى، ولهذا أمر أشراف ملطية بأن يسلموه أبناءهم كرهائن يحتجزهم لديه.

وقد زعم ميخائيل السيرياني^(٤) بأن الأمير محمد أقدم على هذا الإجراء في وقت كان أهالي ملطية ينتظرون منه أن يقوم بتخفيف الضرائب الباهظة التي كان أبوه ملك غازي قد فرضها عليهم قبل رحيله.

وما إن اطمأن ملك محمد على استتباب الأمور في ملطية حتى قرر العودة إلى إقليم كبادوكيا حيث نزل في مدينة قيصرية، وشرع في تعميرها، وكانت قد تهدمت منذ أمد طويل حيث أزال جزءاً منها، وأقام فيها مباني من أحجار المرمر التي انتزعها من الكنائس المتهمة في قيصرية، وحينما فرغ من تشييدها اتخذها عاصمة لإمارته^(٥).

وكان ملك محمد قد فعل هذا لأن قيصرية أقرب إلى ملطية من سيواس، الأمر الذي سيمكنه من ضبط الأمور الداخلية في ملطية التي كانت هدفاً لأطماع أخيه عين الدولة التوسعية.

وقد حملت المسكوكات الخاصة بالأمير محمد بعض الألقاب التي كان يتلقب بها ومنها لقب «محمد ملك عموم الروم والأناضول»^(٦).

1) Turk Ensiklopedisi Cilt XII. P.274.

□ أحمد رفیق: تركيا تاريخي، ص ٦٦.

٢) المنشار: حصن قريب من نهر الفرات (ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢١).

3) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.253; Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P 54; Mokrimin H.: Danismendliler. in: Islam Encyclopedia. Cilt.3. PP.469-471.

4) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique V.3. P.237.

5) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.237.

□ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤٧.

٦) أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ٨٦.

ويرى ميخائيل السرياني^(١) الذي كان معاصراً لملك محمد أنه كان يتسم بالفتنة والحكمة، وكان رجلاً متديناً وفاضلاً. وزعم هذا المؤرخ بأن ملك محمد قد عامل النصارى من رعاياه معاملة غير مرضية، حيث قام بتدمير بعض كنائسهم.

وإذا صحت تلك الرواية فإن الأمير محمد كان يلجأ إلى هذا حينما يواجه ضغوطاً عسكرية من جانب البيزنطيين كما حدث أثناء حصار هؤلاء لمدينة قيصرية سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م^(٢).

وقد حاول الأمير محمد إنعاش الحركة العلمية إبان عهده داخل الأناضول، حيث أنه جذب إلى قيصرية بعض العلماء^(٣) من مختلف البلاد الإسلامية وكان من أبرز هؤلاء عبدالمجيد بن إسماعيل الهروي^(٤). وكانت قرية كرمير إحدى قرى قيصرية من أوقاف هذا الأمير، حيث شيد فيها الجامع الكبير المعروف بأولو جامع الذي يُنسب إليه^(٥).

وقد توفي ملك محمد سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م^(٦) إثر مرض خبيث ألم به^(٧). وقيل أنه قُتل على يد ابن عمه سنجر بن إسماعيل بن دانشمند^(٨)، ويرى أن وفاته كانت سنة ٥٣٦هـ / ١١٤١م^(٩) وقد دفن في قيصرية، ويوجد قبره في المبنى الذي يعرف باسم مدرسة ملك غازي^(١٠).



1) Extrait de chronique de Michel le Syrien. V.3. P.237.

٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٥٥.

- Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P.119.

- Brehier Louis: The Life and Death of Byzantium. V.5. P.226.

3) Mokrimin H. : Danismendliler. in: Islam Encyclopaedia. Cilt.3. P.471.

٤) عبدالمجيد بن إسماعيل الهروي: قلضي قضاة بلاد الروم، وقد ذاع صيته خلال حكم الأمير محمد بن غازي (٥٢٩. ٥٣٧هـ / ١١٣٥-١١٤٢م) وقد رحل سنة ٥٣٥هـ / ١١٤٠م إلى الشام، وأقام فيها ثلاثة أشهر، عاد بعدها إلى قيصرية، وتوفي فيها سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م وهو نفس العام الذي توفي فيه الأمير محمد. (حسين حسام الدين: تاريخ أماسيا، ج ٢، ص ٣٢٢).

٥) رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٢٥.

٦) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٩٢؛ أبو الفدا: المختصر، ج ٣، ص ١٦؛ العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، مخطوط ميكروفيلم مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، رقم ٨٣٩ف، ج ١٢، ورقة ٤٧(١).

٧) سهيل زكار: الحروب السلجوقية، ج ٢، ص ٤٩٧.

٨) رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٢٦.

٩) ابن القلاسي: نيل تاريخ دمشق، ص ٢٧٥؛ العظمي: تاريخ العظمي، ص ٤٢١.

١٠) رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٢٥.

(٤) ملك نظام الدين ياغي بسان بن ملك غازي

(٥٣٧ - ٥٦٠ هـ / ١١٤٢ - ١١٦٤ م)

اختلف عدد من المؤرخين حول اسم هذا الأمير الدانشمندي فقال بعضهم^(١) إنه يعقوب أرسلان، وقال بعضهم^(٢) إنه ياغي أرسلان، بينما ذهب أحدهم^(٣) إلى أن اسمه ياغي بسان، وهناك من يؤيد صحة الاسم الأخير غير أنه يورده هكذا «ياغي باصان»^(٤). أما الباحثون^(٥) في علم المسكوكات والنقوش فيرون بأن اسمه ياغي بسان طبقاً لما ورد في بعض المسكوكات والنقوش الخاصة بالأسرة الدانشمندية، ومنها نص منقوش على ضريح مؤسس الإمارة الدانشمندية في مدينة نيكسار جرى تدوينه في عهد حفيده ياغي بسان سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م وقد ورد فيه: «أمر بإنشاء هذه البقعة المباركة الملك العالم العادل نظام الدنيا والدين أبوالمظفر ياغي بسان بن ملك غازي بن ملك دانشمند ظهير أمير المؤمنين»^(٦).

و«ياغي بسان» مجتمعة عبارة تركية معناها المنتصر، أما كلمة «ياغي» مفردة فتعني العدو، و«بسان» اسم فاعل من الفعل باصمق وتعني: ساحق^(٧)، وكان ياغي بسان قد ولد أثناء معركة - لم تذكر المصادر اسمها - نشبت بين قوات أبيه ملك غازي وأحد الجيوش البيزنطية، وعندما حقق ملك غازي النصر على خصومه أطلق على ابنه اسم «ياغي بسان» الذي يعني كما أشرنا ساحق العدو^(٨). وثمة من يرى^(٩) أن ياغي بسان كلمة تركية واحدة معناها «الثائر».

وكان ياغي بسان بن ملك غازي قد استلم زمام السلطة في سيواس بعد

1) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.253.

□ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٥٥ - ١٥٦.

٢) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣١٧. أبو الفدا: المختصر، ج ٣، ص ٤٢. ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ١٩٠. العيني: عقد الجمان، ج ٢٧، ورقة ١٢٠ (ب). أحمد مدحت: مفصل قرون جديدة تاريخي، استنبول ١٣٠٣ هـ، جلد أول، ص ١٤٣.

٣) هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠١.

٤) ابن بيبی: تواريخ آل سلجوق، نشره هوتسما ١٩٠٢ م، أوجنحي جلد، ص ٦٢.

5) Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P 4.

□ أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ٨٨.

6) Berchem Max Van: Epigraphie des Danichmendites. P.87.

٧) أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ٨٩.

٨) هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠١.

9) Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende P.481

وفاة أخيه ملك محمد مباشرة سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م، رغم أن هذا قد أوصى بالإمارة من بعده لابنه ذي النون^(١) ولكن زوجة ملك محمد التي يبدو أنها ليست والدته ذي النون بادرت فور وفاة زوجها باستدعاء أخيه ياغي بسان واقترنت به، وأعلنت عن توليه عرش الإمارة في سيواس، وبذلك سلبت من ابن زوجها ذي النون أحقيته في الإمارة^(٢)، فاضطر عند ذلك إلى الفرار ناحية قلعة صامانتي^(٣)، ولم يشر ميخائيل السرياني^(٤) الذي ساق هذه الحادثة إلى اسم حاكم قلعة صامانتي الذي لجأ إليه الأمير ذوالنون، ولكن الذي يغلب على الظن أنه حصل منه على دعم عسكري بدليل أنه انطلق منها صوب قيصرية، وبسط سيادته عليها.

وقد واجه ياغي بسان في بداية حكمه متاعب جمة فقد انقسمت إمارته إلى عدة أقسام حيث أقام أخوه عين الدولة بن غازي إمارة مستقلة في ملطية سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م، وأعلن ابن أخيهما ذوالنون بن محمد استقلاله في قيصرية^(٥).

ووسط هذا الجو المشحون بالانقسامات ظهرت في شمالي ولاية سيواس حركة عصيان قادها سنجر بن إسماعيل بن دانشمند ضد ابن عمه أمير سيواس ياغي بسان^(٦)، ولكن على الرغم من تعدد القوى الداخلية التي نافست هذا الأمير على السلطة فإنه استطاع التغلب على أكثرها بالقوة تارة، وباتباع سياسة الاحلاف تارة أخرى. ذلك أنه بعدما أخمد حركتي ذي النون وسنجر وافق على استقبال أخيه عين الدولة صاحب ملطية عند حضوره إلى سيواس، واتفقا على

1) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.253.

(٢) العظمي: تاريخ العظمي، ص ٤٢٦. ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٥٥.

(٣) صامانتي: قلعة على ساحل نهر ماملنتي داخل ولاية قيصرية وسط الأناضول ويصب ذلك النهر في سيجان. ويكتبها بعض الباحثين زامانتي وأحياناً ضاملنتي. انظر: (رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٢٥). وقد كتبت بغير هذا الشكل عند بعض المؤرخين، حيث ورت هكذا (سيمنادا) عند:

- Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.253.

أما ابن العبري فقد كتبها (سينادو) انظر: تاريخ الزمان، ص ١٥٥.

4) Extrait de chronique de Michel le Syrien. V.3. P.253.

(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٥٦.

(٦) رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٢٧.

إقامة تحالف بينهما، وكافأ ياغي بسان أخاه على مبادرته بأن منحه أبلستين وبلاد نهر^(١) جيحان^(٢).

وبعد هذه الأحداث ظل مصير سنجر بن إسماعيل غامضاً حيث اختلف تماماً، ويرى أحد المؤرخين المحدثين^(٣) بأن المقبرة الموجودة حالياً في نيكسار التي تسمى صونغورية تخص هذا الأمير الدانشمندي، حيث لقي مصرعه خلال حربه الأخيرة التي خاضها عام (٥٣٧هـ / ١١٤٢م) ضد ابن عمه ياغي بسان أمير سيواس. أما بالنسبة للأمير ذي النون بن ملك محمد فقد قبل الخضوع لسيادة عمه ياغي بسان مقابل تعيينه نائباً عنه في قيصرية، حيث فضل أمير سيواس أن يكون ذوالنون الذي أظهر كثيراً ميله للسلاجقة على مقربة منه حتى يستطيع أن يكبح جماحه إذا ما حاول الاستنجاد بالسلاجقة الذين دخلوا في نزاع مستمر مع ياغي بسان استمر أغلب فترة حكمه^(٤).

ولقد توفي ياغي بسان فجأة في جانتقيري أثناء عودته من زيارة قام بها لصهره الأمير شاهنشاه السلجوقي حاكم جانتقيري وقسطموني^(٥). وعلى الرغم من إجماع معظم المؤرخين^(٦) على أن وفاته كانت سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م فإن بعضهم^(٧) قد جعل تاريخ وفاته سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٦م. وهذا في نظرنا رأي ضعيف لأنه يتجاهل فترة حكم ابنه جمال الدين الذي تولى إمارة سيواس عقب وفاة أبيه مباشرة^(٨). وهناك وقفية باسم الأمير جمال الدين غازي مؤرخة سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م

(١) الخلفاء العباسيون والحروب الملبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ٨٦.

(٢) نهر جيحان: يقع في منطقة جنوبي شرقي الأناضول (تركيا الحالية) وهو ينبع من مرتفعات شمالي أرمينية المغرى ويمصب في بحر الروم (البحر المتوسط) وتقع على هذا النهر مدن أبلستين والحدث ومرعش والمصيصة. وكان اسمه نهر بييرامس، ويسميه العامة (جهان). لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٦٣.

(٣) رضوان نافع وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٢٦.

(٤) رضوان نافع وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٢٦.

(5) Turk Ensiklopedisi. Cilt XII. P.274; Chalandon.F.: Les Comnene II. P.243.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣١٧. أبو الفداء: المختصر، ج ٣، ص ٤٢. ابن الوردي: تنمة المختصر، ج ٢، ص ١٠٦. العمري: مسالك الأبحار، ج ٢٧، ص ٤٣. العيني: عقد الجمان، ج ١٢، ورقة ١٢٠ (ب).

(٧) هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠٢. القرماني: أخبار الدول، ص ٢٩٢.

(8) Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P.29.

تثبت أن وفاة أبيه كانت في نفس هذا العام^(١). ولقد تم نقل جثمان ياغي بسان من جانقيري (جانجرا) إلى نيكسار حيث دفن في هذه المدينة إلى جانب قبر جده الأمير أحمد دانشمند غازي^(٢).

ويعد الأمير ياغي بسان من أقوى حكام الدانشمندیين، وقد نجح خلال عهده (٥٣٧ هـ - ١١٤٢ / ١١٦٤م) في الحد من نفوذ أقاربه الذين خرجوا عن طاعته، ولقد اثنى بعضهم على قدرة هذا الأمير التي أظهرها في إدارة شئون إمارته، وإقدامه وشجاعته التي لم تتوافر في غيره من باقي أفراد الأسرة الدانشمندیة^(٣).
ويظهر أن سيادة آل دانشمند قد وصلت في عهد ياغي بسان إلى ذروتها وإلى نهايتها في نفس الوقت حيث أصبحوا منذ وفاة هذا الأمير يحكمون حكماً اسمياً تحت إمرة سلاطين سلاجقة الأناضول^(٤).



(١) رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٣٠.
(٢) يوجد قبر الأمير ياغي بسان ناحية القبلة في المدرسة التي قام بإنشائها داخل قلعة نيكسار، وتعرف باسمه، وإلى جانبها هناك جامع ينسب كذلك إلى هذا الأمير الدانشمندی، ولكنه حالياً لم يبق منه إلا جدرانه، وهو مشتمن الشكل وعلى هيئة برميل تماماً، وله ثمانية نوافذ، وقد شيد من الحجر، ويبتعد عن المدرسة حوالي ثمانية إلى عشرة أمتار. وبالإضافة إلى جامع ومدرسة نيكسار هناك مدرسة في مدينة توقات تنسب كذلك إلى ياغي بسان، وقد تم تجديد بنائها سنة ١٢٤٥ هـ / ١٢٤٧م في عهد السلطان السلجوقي عز الدين كيكاوس الثاني (٦٤٤ - ٦٤٧ هـ / ١٢٤٦ - ١٢٤٩م) ولكنها الآن في حالة بمار كامل. انظر: Mordtmann: Die Dyanstie der Danschmende. P.483.; Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.263.

١- إسماعيل حقي: كتابه لر، ص ٦٠.

(٣) هزافس. تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠٢.

- Turk Ensiklopedisi Cilt XII. P 274

٢- رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٣٠.

4) Mordtmann Die Dynastie der Danschmende P 483

ثانياً: (عهد الانحدار والسقوط)

(٥٦٠ هـ - ٥٧٠ هـ / ١١٦٤ - ١١٧٤ م)

(٥) الملك مجاهد أبوالمحامد

جمال الدين إسماعيل غازي

(٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م)

خلف الأمير ياغي بسان عند وفاته أربعة أبناء هم «جمال الدين غازي، ومظفرالدين محمود، وظهير الدين إيلي، وسنان الدين يوسف»^(١) وأضاف أحد المؤرخين المحدثين^(٢) ابناً خامساً هو بدرالدين كيخسرو.

وكان هؤلاء الأبناء جميعاً غير مؤهلين للقيام بأعباء الحكم لعدم بلوغهم سن الرشد^(٣)، الأمر الذي جعل والدهم لا يقدم على مبايعة أحدهم بالإمارة من بعده. ولهذا فقد تشتت شمل هؤلاء الأخوة عدا جمال غازي عقب وفاة والدهم، ولم يعد لهم شأن يذكر إلا بعد سقوط الإمارة الدانשמندية حيث إنهم دخلوا بعد ذلك في خدمة السلطان السلجوقي غياث الدين كيخسرو الأول^(٤) (٦٠١ - ٦٠٧ هـ / ١٢٠٤ - ١٢١٠ م)^(٥). أما بالنسبة لأخيهم الأكبر جمال غازي فإن وحدات الجيش الدانشمندي التي كانت ترافق جنازة أبيه الأمير الراحل ياغي بسان أثناء حملها إلى نيكسار قد قامت بمبايعته وأخذت تسانده حتى جلس على كرسي الحكم في

(١) هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠٢.

- Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.484.

(٢) رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٣٠.

(٣) Turk Ensiklopedisi. Cilt XII. P.274.

(٤) غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قتلش بن سلجوق. كان والده قليج أرسلان لما كبر سنة فرق بلاده على أولاده فاستضعفوه ولم يلتفتوا إليه، وصار يتحول من ولد إلى ولد وكل منهم يتخلى عنه حتى مضى إلى ولده غياث الدين كيخسرو صاحب مدينة برغلوا ففرج به وجمع العساكر وسارا معاً إلى مدينة قونية فملكها غياث الدين، ثم مالبث أن توفي والده فبقي غياث الدين في قونية مالئاً لها. وفي سنة ٦٠١ هـ ملك غياث الدين البلاد التي كانت بحوزة أخيه ركن الدين سليمان. واستفحل ملك غياث الدين وعظم شأنه إلى أن توفي سنة ٦٠٧ هـ فتولى بعده ابنه كيكلوس. (ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٨٧ - ٨٨ و ٢٠٠: ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ١٩٤).

(٥) ابن بيبی: تواريخ آل سلجوق، ص ٦٢.

نيكسار التي تعتبر العاصمة الثانية لإمارة الدانشمندیين في سيواس^(١).

وعندما بدأ الأمير الصغير جمال غازي يباشر سلطاته في نيكسار، أعلن حاكم قيصرية الأمير ذوالنون بن ملك محمد استقلاله، ورفض الاعتراف بإمارة ابن عمه جمال غازي في نيكسار^(٢)، وذلك بتشجيع من السلطان السلجوقي قلیج أرسلان الثاني^(٣) (٥٥٠ هـ / ١١٥٥ - ١١٩٢ م)^(٤) الذي كان وقتئذ يطمع في السيطرة على ممتلكات الدانشمندیين^(٥). فلجأ إلى الإيقاع بينهم لأن هذا أمضى سلاح لتحقيق مآربه. ثم تبعه أخوه إبراهيم بن ملك محمد^(٦) الذي كان وقت وفاة عمه يافعي بسان متواجداً في العاصمة سيواس، فانتهز الفرصة وسيطر على مقاليد الأمور فيها^(٧).

كما ظهر في هذه الفترة مناقس جديد للدانشمندیين في مدينة أبليستين، حيث انتخب أهالي هذه المدينة أحد رؤسائهم ويسعى محمود بن معادي Maadi الذي كان والياً على أبليستين في عهد ملك يافعي بسان بن غازي، ولكن بعد وفاة ملك يافعي وظهور بعض الحركات الاستقلالية داخل الإمارة الدانشمندية رغب محمود في إعلان استقلاله أسوة بالآخرين بعد أن لقي تجاوباً كبيراً من أتباعه في أبليستين^(٨). ويرى كازانوف^(٩) أن محمود بن معادي هو أحد أمراء الدانشمندیين إلا أننا لا نتفق معه في ذلك لعدم وجود ما يؤكد ذلك سواء في

1) Abdulhaluk. Gay: Anadolunun. Turkler me. inde. Donu r. Noktesi Istanbul 1984. P.39.

(٢) هزارفن: تنقيح توارين المملوك، ص ١٠٢.

(٣) رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٣١.

(٤) قلیج أرسلان بن مسعود بن قلیج أرسلان بن سليمان بن قتلش بن سلجوق السلجوقي. كان له من البلاد قونية وأعمالها، وأقصر، وسيواس، وملطية، وغير ذلك من البلاد، وكانت مدة ملكه نحو تسع وعشرين سنة، وكان ذا سياسة حسنة، ومهابة عظيمة، وعدل وافر، وغزوات كثيرة إلى بلاد الروم. فلما كبر قسم بلاده على أولاده وحجر عليه ولده قطب الدين. وقد توفي سنة ٥٨٨ هـ بمدينة قونية وبغ عن هناك. (ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٨٧ - ٨٨).

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣١٧.

(٦) العمري: مسالك الألبصار، ج ٢٧، ص ٤٣.

(٧) المعيني: عقد الجمان، ج ١٢ - ورقة ١٢٠ (ب). رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٣١.

(٨) رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٣١.

9) Casanova. La Numismatique des Danichmendites. P 54

المصادر أو النقوش والمسكوكات الخاصة بالدانشمنديين، ثم إن تزامن قيام حركته مع ظهور الحركات الاستقلالية الآخر لا يكف أن يكون دليلاً مقنعاً حتى نقوم بتصنيفه ضمن أفراد الأسرة الدانشمندية.

وهكذا انقسمت إمارة سيواس بعد وفاة ياغي بسان إلى عدة أقسام ظهرت في نيكسار وقيصريّة وسيواس، إضافة إلى حركة التمرد الأخرى التي قامت في مدينة أبلستين. وقد احتل الأمير إبراهيم بن ملك محمد الذي نصب نفسه أميراً في سيواس مكانة مرموقة في هذه الولاية حتى أن بعض المصادر^(١) تجاهلت ذكر ابن عمه صاحب نيكسار جمال الدين إسماعيل غازي، ويعود ذلك إلى قصر المدة التي مكثها جمال الدين في الحكم واختياره لمدينة نيكسار مقراً لحكومته في الوقت الذي أحسن منافسه إبراهيم في اختيار سيواس مركزاً لإقامته وهي العاصمة الرسمية للدانشمنديين.

كل هذه الأسباب أدت إلى تقوية موقف الأمير إبراهيم وجعلته يقدم على عزل ابن عمه جمال الدين. ورغم أن أحد المؤرخين^(٢) قد أشار إلى أن الأمير جمال الدين لم يمكث في الحكم طويلاً إذ أن ابن عمه إبراهيم قد استولى على أملاكه فإن هناك من يرى^(٣) بأن جمال الدين غازي استطاع أن يمسك مقاليد السلطة في أطراف توقات وأماسيا ونيكسار لمدة سنتين حيث جرى إبعاده عن منصبه سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٦م.، وقد أشار حسين حسام الدين^(٤) إلى المشكلة التي واجهت الأمير جمال الدين وأجبرته على التنازل عن السلطة وهي أنه تعرض لهجوم عنيف من جانب الأمير السلجوقي شاهنشاه حاكم أنقرة^(٥)، فطلب المساعدة من ابن عمه إبراهيم ولكن هذا رفض تلبية طلبه فتمكن شاهنشاه من احتلال أماسيا، ولما رأى جمال الدين عدم قدرته على مجابهة قوات شاهنشاه وافق على الخضوع له وذلك سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٦م^(٦)، ونحن

(١) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص ٣١٧.؛ ابن الوردي: تنقطة المختصر، ج ٢، ص ١٠٦.؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ١٩٠.؛ العيني: عقد الجمان، ج ١٢، ورقة ١٣٠ (ب).

(٢) هزافن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠٢.

(٣) رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٣٦.

(٤) تاريخ أماسيا، ج ٢، ص ٣٣٩.

(٥) أبو الفدا: المختصر، ج ٣، ص ٤٢.

(٦) حسين حسام الدين: تاريخ أماسيا، ج ٢، ص ٣٣٩.

من جانبنا نرى أن الأمير جمال الدين لم يستقر في الحكم طويلاً حيث تمت تنحيته عن منصبه في نفس السنة التي تولى فيها، وذلك لأن عدداً من المؤرخين^(١) أجمعوا على أن الأمير إبراهيم بن محمد خلف عمه ياغي بسان على إمارة سيواس بعد وفاته مباشرة سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م.

ولقد التبس على بعض المؤرخين^(٢) اسم الأمير جمال الدين إسماعيل غازي، لدرجة أنهم لم يفرقوا بينه وبين إسماعيل بن إبراهيم حفيد عمه ملك محمد، فذكروا أن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد هو الذي خلف ياغي بسان في إمارة سيواس. ويحتمل أن يكون سبب ذلك أحد أمرين: إما أن هؤلاء اطلعوا فقط على الرواية التي ساقتها إحدى^(٣) المصادر والتي أشارت إلى أنه بعد وفاة ياغي بسان تزوجت أرملته بحفيد أخيه محمد الأمير إسماعيل بن إبراهيم حيث فضلت على أبيه إبراهيم وكان إسماعيل شاباً صغيراً في السادسة عشرة من عمره وأعلنته حاكماً على سيواس، وإما أن أصحاب هذا الرأي لم يعرفوا بأن الاسم الحقيقي لجمال الدين غازي هو إسماعيل. وذلك طبقاً لإحدى الوقفيات المؤرخة عام ٥٦٠هـ / ١١٦٤م في الأناضول وتحمل هذه الوقفية النص التالي: «ملك إسماعيل بن ياغي بسان بن ملك غازي إبراهيم»^(٤).

ويكنى الأمير جمال الدين إسماعيل غازي بأبي المحامد وتاريخ وفاته ليس معروفاً، ويقال أنه مدفون بجانب أبيه، وتوجد في مدينة توقات بساتين جمال التي تنسب إليه^(٥).



(١) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣١٧. العمري: مسالك الأبحار، ج ٢٧، ص ٤٣. العيني: عقد الجمان، ج ١٢، ورقة ١٢٠ب.

(٢) منجم بلشي: منجم بلشي تاريخي، جلد ثاني، ص ٥٧٥. أحمد حلمي: تاريخ عمومي، ص ١٦٢. - Turk Ensiklopedisi. Cilt XII. P.274.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٧٦.

(٤) رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٣١. زامبارو: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة محمد حس بك وجسن أحمد محمود وآخرون، بيروت ١٩٨٠م، ص ٢٢١.

(٥) رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٣٢.

(٦) الملك إبراهيم بن محمد بن غازي

(٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م)

هو إبراهيم بن ملك محمد بن ملك غازي^(١) أعلن استقلاله في سيواس عقب وفاة عمه ياغي بسان، وأصبح يحكم جزءاً مهماً من الإمارة الدانشمندية في سيواس. وقد استمر إبراهيم معارضاً لحكم ابن عمه جمال الدين إسماعيل غازي^(٢)، وأخذ يعمل على إسقاطه حتى أنه بعد توليه الحكم اصطلع مع السلطان السلجوقي قليج أرسلان الثاني^(٣) الذي كان يعد من أشد خصوم الدانشمنديين في الأناضول.

وقد سبقت الإشارة إلى أن إبراهيم تمكن من السيطرة على مناطق نفوذ ابن عمه جمال الدين إسماعيل في نفس العام الذي حاول فيه الأخير أن يرث أملاك أبيه^(٤)، وهذا يعني أن حكم إبراهيم في سيواس قد بدأ منذ سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م. وفي الوقت الذي كان فيه الأمير إبراهيم يبسط سيطرته على سيواس كان أخوه ذوالنون بن ملك محمد يحكم في قيصرية^(٥)، وهذا يكشف عن وجود أميرين من أفراد الأسرة الدانشمندية يحكمان في ولايتين متجاورتين في زمن واحد. ويرى بعض المؤرخين^(٦) أن كلاً من أمير سيواس إبراهيم بن محمد وحاكم قيصرية أخيه ذي النون بن محمد والأمير السلجوقي شاهنشاه بن مسعود حاكم أنقرة وأخيه قليج أرسلان الثاني سلطان قونية قد اصطلحوا بعد وفاة ياغي بسان، واتفقوا على اقتسام هذه البلدان فيما بينهم. ولعل الشيء الذي يلفت النظر هنا أن أولئك المؤرخين^(٧) الذين ساقوا هذه الرواية أشاروا إلى أن إبراهيم بن محمد قد حكم ملطية بعد وفاة عمه ياغي

(١) شمس الدين سامي: قاموس الأعلام، استانبول ١٣٠٨هـ، أوجنجي جلد، ص ٢١٠٣.

(٢) أحمد رفيق: تركيا تاريخي، ص ٦٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣١٧.

4) Chalandon: Les Comnène II. P.493.

(٥) العيني: عقد الجمان، ج ١٢، ورقة ١٣٠(١).

(٦) ابن الوردي: تنمة المختصر، ص ١٠٦؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ١٩٠.

(٧) أبو الفدا: المختصر، ج ٣، ص ٤٢؛ العمري: مسالك الأبصار، ج ٢٧، ص ٤٣.

بسان وهذا بجانب الصواب لأن ملطية في ذلك الوقت كانت تخضع لسيطرة حكومة دانشمندية مستقلة ومنفصلة تماماً عن إمارة سيواس. ولكن يبدو أن سبب الخطأ هو اعتقاد هؤلاء المؤرخين بأن سيواس وملطية كانتا عبارة عن إمارة واحدة في ذلك الوقت يحكمها أمير دانشمندي واحد هو إبراهيم بن محمد. كذلك يعتقد هزارفن^(١) وبعض المستشرقين^(٢) أن الأمير إبراهيم عم لجمال الدين إسماعيل غازي والواقع أن إبراهيم ابن عم الأمير جمال الدين^(٣). وقد أخطأ زامباور^(٤) حينما قال إن إبراهيم هذا هو ابن ملك غازي والحقيقة أنه ابن ملك محمد بن ملك غازي، وبناءً على هذا يكون إبراهيم حفيداً لملك غازي^(٥).

وأغلب الظن أن من بين أسباب غموض فترة الأمير إبراهيم وكذلك سلفه جمال الدين قصر فترة حكم كل منهما، وعدم وجود مسكوكات خاصة بهما^(٦). ولقد وقع اختلاف بشأن نهاية الأمير إبراهيم بن محمد، فالمصادر العربية^(٧) اكتفت بالإشارة إلى تاريخ اعتلائه عرش إمارة سيواس بعد وفاة عمه ياغي بسان سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م ولم تبين كيف كان مصير هذا الأمير وهل طرد عن الإمارة أم أنه توفي وهو على رأس الحكم؟

أما المؤرخ ابن العبري^(٨) فإنه تجاهل بداية حكم هذا الأمير وكذلك نهايته حيث جعل ابنه إسماعيل هو الذي خلف عم أبيه ياغي بسان في حكم إمارة

(١) هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠٢.

2) Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.484.; Chalandon: Les Comnene II. P.493.

3) Turk Ensiklopedisi. Cilt XII. P.274.

□ شمس الدين سامي: قاموس الأعلام، أوجنحي جلد، ص ٢١٠٣.

(١) معجم الأنساب، ص ٢٢١.

(٥) منجم بلشي: منجم بلشي تاريخي، جلد ثاني، ص ٥٧٦.

6) Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P 44.; Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.484.

□ أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ٤٤.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣١٧. + العمري: مسالك الأبحار، ج ٢٧، ص ٤٣. + العيني: عقد الجمان، ج ١٢، ورقة ١٢٠ (ب).

(٨) تاريخ الزمان، ص ١٧٦.

سيواس سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م، ونعتقد أن عدم بقاء إبراهيم سوى شهور قليلة في الحكم بعد عزله ابن عمه جمال الدين في نفس العام الذي تولى فيه ٥٦٠هـ / ١١٦٤م هو الذي حدا بهذا المؤرخ إلى تجاهل حكم كل من الأميرين جمال وإبراهيم. وإزاء الغموض الذي يكتنف نهاية هذا الأمير ليس أمام الباحث سوى النظر في آراء بعض الباحثين الذين تطرقوا إلى هذا الجانب حيث يرجح بعضهم^(١) بأن وفاته كانت سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٦م، ويرى شالندون^(٢) بأن وفاته كانت سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م، أما كازانوف^(٣) المتخصص في علم المسكوكات فقد حدد حكم كل من الأمير إبراهيم وابنه إسماعيل في فترة معينة تبدأ من سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م وحتى ٥٦٨هـ / ١١٧٢م، ويعتقد هذا المستشرق بأن فترة حكم إبراهيم كانت جد محدودة. ونحن نرى أن هذا الأمير قد عُزل بالفعل عن منصبه في نفس العام الذي تولى فيه وهو سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م وذلك لأن المصادر العربية^(٤) التي أشارت إلى تولي هذا الأمير في تلك السنة لم تورد له أخباراً بعد ذلك مما يعني أنه فقد منصبه بعد توليه بفترة جد قصيرة، ولهذا السبب نفسه أغفل ابن العبري^(٥) ذكر بداية ونهاية حكم هذا الأمير، وأشار إلى تولي ابنه إسماعيل مكان عم أبيه الأمير الراحل ياغي بسان بعد وفاته مباشرة سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م، أضف إلى ذلك أنه بعد تفحص الروايات السابقة التي أشارت إلى وفاة الأمير إبراهيم وجدناها لا تستند إلى دليل قوي ومقنع ولهذا لا يمكن الأخذ بها.

* * *

1) Mokrimin H. Yinang: Danismendililer. in: Islam Encyclopedia. Cilt.3. P.473.

□ ستانلي لين بول: الدول الإسلامية، ج ١، ص ٣٣١.

2) Chalandon: Les Comnène II. P.493.

3) Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P 43.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣٦٧.؛ أبو الفدا: المختصر، ج ٣، ص ٤٢.؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ١٩٠.

(٥) تاريخ الزمان، ص ١٧٦.

(٧) الملك إسماعيل بن إبراهيم

(٥٦٠ - ٥٦٨ هـ / ١١٦٤ - ١١٧٢ م)

هو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن غازي بن أحمد دانشمند^(١)، حمل عدة القاب منها: ملك العالم شمس الدنيا والدين ظهير أمير المؤمنين أبي الفدا إسماعيل^(٢). تولى إمارة سيواس عقب وفاة أبيه إبراهيم مباشرة^(٣)، وجاء في رواية^(٤) ثانية أنه تولى الحكم بعد وفاة عم أبيه ياغي بسان سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م عندما تزوجت أرملة (ابنة السلطان السلجوقي مسعود) من الأمير إسماعيل وكان صغيراً في السادسة عشرة من عمره وأعلنته حاكماً مكان زوجها في سيواس.

وقد أعطت هذه الحادثة الفرصة لبعض الأمراء لإعلان استقلالهم نهائياً عن الدانشمنديين حيث رفض أمير أبلستين ونواحيها محمود بن معادي الاعتراف بإمارة إسماعيل. وفي الوقت نفسه نشب النزاع بين الأمير إسماعيل وبين عمه حاكم قيصرية ذي النون بن محمد الذي رأى أنه أحق بالإمارة من ابن أخيه لفارق السن بينهما، فانتهز السلطان السلجوقي قليج أرسلان ذلك وأعلن تدخله لحماية حليفه القديم الأمير ذي النون^(٥)، وعلى الرغم من أنه قد تم العثور على العملة الخاصة بالأمير إسماعيل، إضافة إلى بقاءه في الإمارة عدة سنوات^(٦)، فإن أغلب المصادر العربية^(٧) لم تذكر شيئاً عن هذا الأمير عند وفاة أبيه، بل إن

(١) شمس الدين سامي: قلموس الأعلام، ص ٢١٠٣. أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ٩١.

2) Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.484.

(٢) هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠٢. منجم باشي: منجم باشي تاريخي، جلد ثاني، ص ٥٧٦.

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٧٦.

- Chalandon.F.: Les Comnene II. P.493; Buyuk Ensiklopedi. Istanbul 1980. Cilt.I. P.524.

5) Mokrimin H. Yinang: Danismendliler. in: Islam Encyciopedia. Cilt.3. P.473.

(٦) أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ٩١.

- Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P.44.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣١٧. أبو الفدا: المختصر، ج ٣، ص ٤٢. العمري: مسالك الأبصار، ج ٢٧، ص ٤٣. العيني: عقد الجمان، ج ١٢، ورقة ١٣٠ (ب).

أحد^(١) هذه المصادر أشار إلى أنه بعد وفاة إبراهيم بن محمد تولى مكانه أخوه ذوالنون. وهذا في نظرنا رأي غير صائب حيث إن ذا النون - كما سيأتي - حكم سيواس بعد ابن أخيه إسماعيل بن إبراهيم.

ويظهر أن إسماعيل كان حاكماً مستبداً يعامل أتباعه معاملة سيئة ولكنه دفع ثمن سوء معاملته وذلك عندما تعرضت سيواس لموجة صقيع قارسة البرودة تسببت في تدمير المحاصيل الزراعية حتى عم القحط الشديد أرجاء الولاية فتضايق الأهالي وظهروا تدمرهم الشديد من أهوال الشتاء القارس والقحط الشديد واتجه بعض زعمائهم إلى قصر الأمير إسماعيل يطلبون منه أن يقدم لهم طعاماً يسدون به رمقهم إلا أنه رفض إعطاءهم شيئاً رغم وجود كميات كبيرة من القمح في مخازن الغلال لديه، ولم يكتف بذلك بل إنه أخذ يسخر بهم وطردهم عن قصره فاشتد حنقهم عليه، وأخذوا يتربصون به حتى أتاحت لهم الفرصة فوثبوا عليه وقتلوه، ثم الحقوا به زوجته أخت السلطان السلجوقي قليج أرسلان، وقتلوا كذلك خمسمائة شخص من أقرباء الأمير وحاشيته، واستولوا على كل محتويات قصره^(٢).

وبسبب نزول الجليد بكثافة غير معهودة في تلك السنة (٥٦٨هـ / ١١٧٢م) فإن خبر هذه الحادثة لم ينتشر بشكل سريع خارج سيواس^(٣).

وتشير بعض^(٤) المصادر التاريخية بطريق الخطأ أن إسماعيل هو ابن ذي النون وخليفته، في حين يذكر بعضهم^(٥) الآخر أن الأمير إسماعيل قد توفي سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م. وهذا أيضاً خطأ ففي هذا التاريخ توفي والده إبراهيم^(٦).

* * *

- (١) ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ١٩٠.
- (٢) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ١١٠؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٨٦.
- (٣) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ١١٠؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٨٦.
- (٤) حمد الله مستوفي: تاريخ كزيدة، ص ٤٧٥؛ ميرخواند: روضة المفاء، جلد چهارم، ص ٣٥٤؛ محمود أفسرائي: مسامرة الأخبار، ص ٣٠.
- (٥) هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠٢؛ منجم باشي: منجم باشي تاريخي، جلد ثاني، ص ٥٧٦؛ أحمد حلمي: تاريخ عمومي، ص ١٦٢.

6) Chalandon: Les Comnene II. P 493

(٨) الملك ذوالنون بن محمد

(٥٦٨ - ٥٧٠ هـ / ١١٧٢ - ١١٧٤ م)

هو ذوالنون بن محمد بن غازي بن أحمد دانشمند^(١)، بدأ في الظهور على المسرح السياسي داخل الأناضول حينما أصدر والده ملك محمد بن غازي مرسوماً بتعيينه ولياً للعهد من بعده وذلك سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٧ م^(٢). ولكن زوجة أبيه التي أشرنا فيما سبق إلى أنها ليست والدته حالت بينه وبين جلوسه على العرش عقب وفاة أبيه سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م وذلك عندما وجهت الدعوة إلى عمه ياغي بسان بالحضور إلى سيواس فتزوجت منه وأعلنته حاكماً مكان أخيه ملك محمد^(٣). ولقد بذل الأمير ذوالنون محاولات عدة لاسترداد إمارته، غير أن جميع محاولاته باءت بالفشل. ورغم أنه استنجد بأخيه يونس بن محمد أمير مسارا (المنشار) فإنه لم يستطع في نهاية الأمر سوى فرض سيادته على مدينة قيصرية^(٤)، التي قام والده قبل وفاته بتعميرها وجعلها قاعدة لحكومته^(٥). وقد واجه الأمير ذوالنون ضغوطاً شديدة من جانب عمه ياغي بسان فوافق سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م على الخضوع لطاعته مقابل استمراره نائباً عنه في قيصرية^(٦).

وعندما توفي عمه ياغي بسان سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م^(٧) راودته نفسه بأن يعيد الكرة ويطالب بالإمارة من جديد وكان يرى أن الفرصة أمامه باتت مواتية لتحقيق ذلك، إذ أن عمه ترك وراءه عدداً من الأبناء غير مؤهلين لتولي دفة الحكم^(٨).

(١) خليل انعم: نول إسلامية، ص ٢٢٣.

2) Turk Ensiklopedisi. Cilt XII. P.274.

[] أحمد رفيق: تركيا تاريخي، ص ٦٦.

3) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.253.

4) Chalandon: Les Comnene II, P.243.

(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤٧.

(٦) رضوان ناغد وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٣٥.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣١٧. العيني: عقد الجمان، ج ١٢، ورقة ١٣٠ (ب).

(٨) ابن بيبلي: تواريخ آل سلجوق، ص ٦٢.

- Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende P.484.

ولكن تطلعات هذا الأمير أصيبت أيضاً هذه المرة بخيبة أمل حيث بادر قادة الجيش إلى مبايعة ابن عمه جمال الدين إسماعيل غازي وإقاموه حاكماً في مدينتي أماسيا ونيكسار^(١) وفي نفس الوقت استولى إبراهيم بن محمد أخو ذي النون على مقاليد السلطة في سيواس^(٢).

ووسط هذه الانقسامات الداخلية قامت أرملة ياغي بسان وتزوجت من إسماعيل بن إبراهيم^(٣) ويبدو أنها خلعت أباه إبراهيم وابن عمه جمال الدين عن الحكم وأقامت إسماعيل مكان أبيه إبراهيم على عرش إمارة سيواس.

وعند ذلك لم يجد ذوالنون بداً من الاقتناع بوضعه السابق كأمر مستقل في قيصرية^(٤). وبعد فترة سنحت أمامه فرصة أخرى لتوسيع نطاق إمارته لتشمل أماسيا ونيكسار وغيرهما من المناطق الدانشمندية الأخرى شمالي ولاية سيواس، حيث تلقى دعوة من أرملة عمه ياغي بسان التي كانت تقيم في أماسيا وعرضت عليه تسليمه هذه المدينة إلا أنها لم تنجح في ذلك بعد أن رفض سكان أماسيا مبايعة ذي النون وطردوه وقتلوا أرملة ياغي بسان فعاد ذوالنون من هناك دون أن يحقق شيئاً^(٥).

ولقد ذهب أحدهم^(٦) إلى أن حادثة أماسيا هذه مؤكدة إلا أنه ليس من المعروف أية زوجة من زوجات ياغي بسان التي قامت بهذه المحاولة مع الأمير ذي النون؟ ولانستبعد أن تكون هذه هي خالة ذي النون زوجة أبيه ملك محمد التي حرمتها من الوصول إلى الحكم عقب وفاة أبيه واقتربت بعمه ياغي بسان ومكنته من الجلوس على كرسي الإمارة في سيواس^(٧)، وفي نفس الوقت نرى أنه من غير المعقول أن تكون زوجة ياغي بسان هذه هي التي تزوجت الأمير إسماعيل بن إبراهيم لأن هذه الزوجة ظلت في ذمة زوجها حتى لقيت حتفها

1) Abdulhaluk. Gay: Anadolunun. Turklesmesinde Donum Noktasi. P.39.

٢) العمري: مسالك الأبحار، ج٢٧، ص٤٣.

٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٧٦.

٤) أبو الفدا: المختصر، ج٣، ص٤٢؛ ابن خلدون: العبر، ج٥، ص١٩٠.

5) Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.484.

٦) رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص٣٥.

7) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.253.

معه عندما هاجم الثوار في سيواس قصر زوجها الأمير إسماعيل سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م^(١). وأغلب الظن أن هذه الحادثة وقعت سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م لأن السلطان السلجوقي قليج أرسلان انتهر فرصة غياب ذي النون عن قيصرية فهاجمها ووضعها تحت سيطرته^(٢). وبعد أن فشل ذوالنون في دخول أماسيا وخرجت قيصرية من تبعيته هرب إلى دمشق وطلب الحماية من الأتابك نورالدين محمود (٥٤١-٥٦٩هـ / ١١٤٦-١١٧٤م)^(٣). وبعد مرور بضع سنوات على إقامته في الشام أرسل إليه أهالي سيواس يطلبون منه القدوم ليكون أميراً عليهم مكان ابن أخيه إسماعيل بن إبراهيم الذي لقي مصرعه إثر اندلاع الثورة ضده سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م^(٤)، فوافق ذوالنون وزحف إلى سيواس واضطر إلى قطع مسافة طويلة من الطريق سيراً على الأقدام لأن الأرض وقتئذ كانت مغطاة بالثلوج، وحينما اقترب من سيواس خرج الأهالي لاستقباله، ويأيعوه بالحكم، ولكن ذوالنون لم يحفظ لأهالي سيواس هذا الصنيع، وأخذ بعد أن أحكم قبضته على السلطة يعمل على الانتقام من قتلة ابن أخيه، وقتل بالفعل أعداداً كبيرة منهم^(٥).

ولم يعمر الأمير ذوالنون في الحكم طويلاً إذ سرعان ما انتقض عليه السلطان السلجوقي قليج أرسلان سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م فانتزع منه سيواس وقيصرية وكومانا وجرده من جميع أملاكه فهرب ذوالنون إلى شمالي الأناضول ناحية المناطق الخاضعة للإمبراطورية البيزنطية وهناك تم أسره وجرى تسليمه للإمبراطور مانويل (٥٣٨-٥٧٦هـ / ١١٤٣-١١٨٠م)^(٦).

وقد أشار أبو الفرج بن العبري^(٧) إلى أن ذوالنون هرب إلى القسطنطينية لكي يطلب النجدة من الإمبراطور البيزنطي.

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٨٦.

2) Chalandon: Les Comnène II. P.493.; Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.484.

3) Mokrimin H.: Danismendiler. in: Islam Encyclopedia. Cilt.3, P.473.

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٨٧.

(٥) الخلفاء العباسيون والحروب الملبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ١١١.

(٦) الخلفاء العباسيون والحروب الملبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ١١٨.

ابن الجوري: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٢٩٤.؛ العمري: مسالك الأبصار، ج ٢٧، ص ٦٠.

(٧) تاريخ الزمان، ص ١٩٠.

وتذكر بعض المصادر^(١) بأن هذا الأمير ذهب إلى نيكسار وتوفي هناك ثم خلفه ابنه الملك إسماعيل وكان لا يزال صغيراً وذو شخصية ضعيفة فأوعز السلطان قليج أرسلان إلى بعض رجاله أن يقتلوه، فقتلوه وقلموا بتسليم أملاكه إليه. وفي اعتقادنا أن هذه الرواية قد جانبها الصواب، إذ أن الأمير إسماعيل ليس ابناً لذي النون إنما هو ابنٌ للأمير إبراهيم بن محمد. وطبقاً لما يقوله أحد^(٢) المستشرقين فإن السلطان السلجوقي قد أمر بدس السم لأخر حاكم دانتشمندي وهو ذوالنون، وقد أورد بعض المؤرخين المحدثين^(٣) رواية أخرى تشير إلى أن الأمير ذوالنون هرب من بلاده إلى شمال الأناضول ونزل بولاية أماسيا، وأن مدينة ذي النون أباد التابعة لمركز مجيد أوزي الواقعة في أماسيا كانت تعرف باسم ذي النون أوزي حتى سنة ١٩٣٠هـ / ١٥٢٤م وسميت بذلك نسبة إلى الأمير ذي النون الدانتشمندي، الذي قضى فيها السنوات الأخيرة من حياته.

ونتيجة لعدم استقرار الوضع السياسي للأمير ذي النون بين الاستقلال تارة وبين التبعية للغير تارة أخرى فقد تمكن من سك مجموعة متنوعة من العملات الخاصة به، كما أنه اتخذ لنفسه عدداً من الألقاب التي نقشت بوضوح على مسكوكاته. ولقد درس بعض المتخصصين في علم المسكوكات الكتابات التي كانت تحملها مسكوكات هذا الأمير، وذكروا بعض الألقاب التي تلقب بها، ومنها لقب «السيد الكبير عماد الدين الملك ذو النون بن محمد سيف أمير المؤمنين»^(٤) وكذلك «الأمير المعظم ذوالنون بن ملك محمد» ولقب «نصير الإسلام وقائد الجيش الأمير والفارس الماهر ملك الأمراء أبوشجاع»^(٥).

ويذكر كازانوف^(٦) أن إحدى العملات التي تخص هذا الأمير تحمل كلاماً

(١) حمدالله مستوفي: تاريخ كزيدة، ص ٤٧٥؛ ميرخواند: روضة المفاء، ص ٣٥٤؛ خواندمير: حبيب السير، جلد دوم، ص ٥٣٩؛ أقسرائي: مسامرة الأخبار، ص ٣٠.

(٢) Von Hammer: Osmanli Devleti Tarihi. Istanbul 1983. P.45.

(٣) حسين حسام الدين: تاريخ أماسيا، ج ٢، ص ٣٣٥؛ رضوان ثلاث وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٣٧.

(٤) Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.486.

(٥) أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ٩٤٩٣.

(٦) Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P 72.

منقوشاً باللغة العربية، وقد دوت بين دائرتين عريضتين عبارة «الملك الأجل» وفي مركزها توجد عبارة «ناصر الدنيا والدين شرف الإسلام ذوالنون بن الملك محمد».

وكانت مسكوكات الأمير ذوالنون التي تحمل لقب «عمادالدين» خاصة بفترة حكمه الأولى^(١) حينما كان حاكماً مستقلاً في قيصرية سنة ٥٣٧هـ-٧٠٠م. أما المسكوكات التي تحمل لقب «ناصر الدنيا» فهي خاصة بفترة حكمه الثانية عندما تولى إمارة سيواس (٥٦٨-٥٧٠هـ / ١١٧٢-١١٧٤م)^(٢) حيث يعد هو آخر أفراد الأسرة الدانشمندية الحاكمة في سيواس.

ولقد اختلف المؤرخون فيما بينهم بشأن سقوط إمارة سيواس، فيرى بعضهم^(٣) بأن ذلك حدث سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م. وهذا يتناقض مع إجماع المصادر العربية^(٤) التي ساقَت حادثة لجوء الأمير ذوالنون سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م إلى نورالدين محمود في بلاد الشام، فالرواية الأخيرة تدل على أن سقوط إمارة سيواس حدث بعد وفاة نورالدين محمود سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م^(٥) وهي بذلك تتفق مع رأي ميخائيل السرياني^(٦) الذي يقول بأن نهاية الحكم الدانشمندي في سيواس كانت سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م.

ولقد اختلفت آراء الدارسين حول تقويم الدور الذي قامت به الإمارة الدانشمندية التي كانت لها السيادة في وسط الأناضول قرابة قرن من الزمان فقد

(١) أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ٩٥.
- Schlumberger: des Emirs Danischmendides de Cappadoce. P.2; Casanova: La Numismatique des Danichmendites. PP.72-76.

(٢) هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠٢.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٨٧.

(٤) كاتب جليبي: تقويم التواريخ، استانبول ١١٤٦هـ، ص ١٦٤؛ منجم بلشي: منجم باشي تاريخي، جلد ثلثي، ص ٥٧٦.

(٥) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتليكية، تحقيق عبدالقادر طليعات، بغداد ١٩٦٣م، ص ١٦٠؛ أبوشامة: كتاب الدواوين في أخبار الدولتين، تحقيق محمد حلمي، القاهرة ١٩٦٢م، ج ١، ص ٥٤٢؛ العيني: نقد الجبان، ج ١٢، ورقة ٧٥ (ب).

(٦) ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٢٩٤؛ العمري: مسالك الأبحار، ج ٢٧، ص ٦٠.

(٧) الخلفاء العباسيون والحروب المليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ١١٢.

رأى بعضهم^(١) أن هذه الإمارة لعبت دوراً رئيساً في استيطان الأتراك المسلمين النازحين إلى هذه المنطقة بعد استعادتها من البيزنطيين. كما كان لها دور مهم في إسلام النصاري المستوطنين هناك، ويشير هؤلاء إلى أن الأمير أحمد دانشمند وابنه ملك غازي وحفيده ملك محمد قاموا بأعمال ظل الناس يتذكرونها بعدهم بضعة قرون، ولذلك أصبحت قبور هؤلاء الحكام الثلاثة في نيكسار وقرية ملك غازي وفي أولو جامع بقيصرية أماكن زيارة باستمرار. وكان أغلب سكان الأناضول يرفعون مرتبة دانشمند غازي إلى درجة ولي، أما الأمراء الذين تولوا قيادة هذه الإمارة بعد ملك محمد فقد فتحوا الطريق أمام تفتيت وحدة الأناضول من أجل إرضاء رغباتهم الشخصية، مما أدى إلى تقويض أركان هذه الإمارة فتشتت شمل اتباعها في كل نواحي الأناضول.

ويرى دارس آخر^(٢) أن الدانشمندیين في بداية أمرهم ظهروا أقوياء وكان الأمل معلقاً عليهم في خدمة السياسة الإسلامية داخل الأناضول ولكنهم مع الأسف انصرفوا إلى منازعة بعضهم بعضاً وكانوا سبباً في تأخير سيطرة الأتراك المسلمين على الأناضول.

* * *

1) Turk Ensiklopedisi. Cilt XII. P.275.

[رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٣٨.

٢) نجيب عامر، محمد عارف: عثمانلي تاريخي، برنجي جلد، ص ١٦٩.

الفصل الثالث

إمارة الدانشمنديين في ملطية

٥٣٧-٥٧٣هـ / ١١٤٢-١١٧٧م

□ إمارة الدانشمنديين في ملطية:

أعلن القائد البيزنطي الأرمني الأصل فيلاريتوس براخامبيوس: «قُب هزيمة البيزنطيين في معركة منازجرد تمرده وعدم اعترافه بالإمبراطور البيزنطي الجديد ميخائيل السابع (٤٦٤-٤٧١هـ / ١٠٧١-١٠٧٨م) واتجه إلى تأسيس حكومة أرمنية مستقلة عن البيزنطيين»^(١) ضم إليها مدينة ملطية بعد أن استعادها من السلطات السلجوقية^(٢)، ويظهر أن اتساع إمارة فيلاريتوس بعد ذلك جعلها تتعرض للتهديد المستمر من الجانب السلجوقي مما دفعه إلى تعيين بعض أعوانه من الأرمن على أنحاء مختلفة من إمارته فأُسند حكم ملطية إلى جبريل الأرمني وذلك سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م^(٣). ومع بداية حكم جبريل هاجم خال الأمير السلجوقي سليمان بن قتلмыш ملطية^(٤). وقد أشار أحد^(٥) المؤرخين إلى أن المقصود بخال سليمان بن قتلмыш هو الأمير أحمد دانشمند غازي، الذي يبدو أنه انتهز فرصة انشغال الزعيم الأرمني فيلاريتوس بحروبه ضد الأمير سليمان بن قتلмыш في أنطاكية من ناحية^(٦)، وكراهية سكان ملطية لأمرهم جبريل من ناحية أخرى^(٧).

وعلى الرغم من هذه الظروف الصعبة المحيطة بإمارة ملطية فإن الأمير أحمد دانشمند الذي أشرنا إلى قيامه بالهجوم عليها لم يتمكن من دخولها، ولكنه في نفس الوقت لم يعد خاوي الوفاض فقد تعهد له حاكمها جبريل بدفع جزية سنوية، ووافق على بقاء حامية دانشمندية قرب حدود ملطية^(٨)، وما من

1) Brehier Louis: The Life and Death of Byzantium. V.5. P.197.

(٢) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ١٠٥.

3) Franz Tinnefeld: Die Stadt Melitene. in Hirer. Späteren Byzantinischrn. Epoche (934 - 1101) in: Actes du XIV Congres International des Etudes Byzantines Bucarest. 1971 II. P.439.

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١١٨ ؛ ابن حمدون: حواشي السنين، ورقة ٥٦(١).

(٥) ابن الشحنة: الدر المنتخب، ص ١٩٧.

(٦) العظيمي: تاريخ العظيمي، ص ٣٦٥.

7) Setton: A History of the Crusades. V.II. P.632.

8) Irene Melikoff La Geste de Melik Danismend tome.I. P 81

شك ان هذه القوة الدانشمندية التي اخذت ترابط خارج ملطية باتت تشكل خطراً على استمرار خضوع هذه المدينة للسيطرة الأرمنية. ولقد أصبح الموقف أكثر صعوبة بعد وفاة زعيم الأرمن فيلاريتوس سنة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م^(١) حيث ازداد احتمال قيام الأمير دانشمند بشن هجوم على ملطية، لذلك بادر جبريل بإعلان إستقلاله في ملطية، وأرسل زوجته إلى بغداد لكي تطلب من الخلافة العباسية ان تعترف بهذا الاستقلال، وقد حظي طلبها بالموافقة حيث أصدرت الخلافة منشوراً رسمياً بذلك^(٢) وكان جبريل يعتقد ان تأييد الخلافة لإمارته كفيل بمنع الأمير دانشمند من مهاجمته.

وحينما علم أمير سيواس بحصول جبريل على هذا الاعتراف أخذ يجهز قواته للزحف بها ناحية ملطية.

ولما تسربت هذه الأنباء إلى سلطان قونية قليج أرسلان بن سليمان أمر قواته بالتحرك وسبق الدانشمند إلى ملطية وحاصرها سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م^(٣) وعند ذلك اتضح لجبريل ان منشور الخلافة لن يحميه من مطامع الأتراك المسلمين في مدينته، فلجأ إلى الاستعانة بزعماء الأرمن المجاورين وقد أبدى أمير الرها ثوروس بن هيثوم^(٤) استعداداً لمناصرته^(٥) وقد أثار وصول القوات السلجوقية إلى ملطية حفيظة الأمير دانشمند فأتى مسرعاً من سيواس للحيلولة دون سيطرة السلاجقة عليها، وقد استطاع أن يعقد تحالفاً مع أميرها جبريل ضد السلاجقة ليضمن بذلك عدم قيامه بتسليم المدينة إليهم^(٦).

وكان السلطان قليج أرسلان لم يحضر على رأس قواته إلى ملطية إنما أوكل قيادة قواته لفارج Faridg وهو أحد أقربائه، فأوقع به جبريل بأن سمه

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٢٠؛ رنسيان: تاريخ الحروب الصليبية، ج ١، ص ٢٧٧.
(2) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.179.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٢٢.

(٤) ثوروس بن هيثوم قائد أرمني كان أبوه هيثوم من رجال الزعيم الأرمني فيلاريتوس براخامبوس. وقد استطاع ثوروس ان يحكم مدينة الرها باستثناء فترة قصيرة (١٠٨٧-١٠٩٤م) استولى خلالها الأمير التركي بوزان على هذه المدينة. (سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ١٠٥).

(5) Osman Turan: Selduklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.135.

(6) Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend tome.I. PP 90-91.

في شراب قدمه له فمات،^(١) وعندما اكتشف الجيش السلجوقي تورط جبريل بهذه الحادثة أسرعوا إلى تعيين قائد جديد اسمه تاويت Tawit وأعلنوا الحرب على ملطية، كما قاموا بسلب ونهب القرى المجاورة، ولكن الأمير دانشمند تدخل في هذا النزاع وأصلح بين الطرفين.^(٢)

وظلت القوات الدانشمندية والسلجوقية تحاصر ملطية حتى علم زعمائها باجتياح القوات الصليبية للأناضول وهجومها على العاصمة السلجوقية نيقية سنة ٤٩١هـ / ١٠٩٧م^(٣)، وعند ذلك أمر السلطان السلجوقي قواته برفع الحصار عن ملطية ودعا خصمه الأمير دانشمند إلى وقف العمليات الحربية بينهما والاتحاد معاً ضد الصليبيين^(٤) وهكذا أسهم قدوم الصليبيين في إنقاذ ملطية من السقوط وتأجيل انتقالها من سيطرة الأرمن إلى الأتراك المسلمين. ولكن حينما اطمأن الدانشمند إلى زوال الخطر الصليبي عن بلاده وسط الأناضول عاد مرة أخرى إلى ملطية وظل على مدار ثلاث سنوات بدءاً من عام ٤٩١هـ / ١٠٩٧م يعسكر بقواته خلال فصل الصيف قرب هذه المدينة ويرحل عنها عند حلول فصل الشتاء، وأثناء ذلك كان يتيح لرجاله فرصة نهب المدينة وتدمير محاصيلها^(٥). ويبدو أن الأمير دانشمند قد وجد نفسه في حل من اتفاقه السابق مع جبريل بعد بجلاء الخطر السلجوقي، مما أوجب على أمير ملطية ضرورة البحث بشكل سريع عن قوة مجاورة تساعده ضد القوات الدانشمندية التي فرضت حصاراً شديداً على ملطية سنة ٤٩٣هـ / ١١٠٠م، فاستنجد بأمير أنطاكية الصليبي بوهمند وأغلق له الأيمان بتسليمه ملطية إذا مكّنه من إزاحة الخطر الدانشمندي عنها^(٦)، فلبى بوهمند النداء ولكنه انهزم ووقع أسيراً بأيدي القوات الدانشمندية^(٧). ورغم الانتصار الكبير الذي حققه الدانشمند قرب ملطية، فإنه مالبث أن فك الحصار

1) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.179.

2) Michel le Syrien: Op. Cit. P.179.

3) Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem. P.9.

4) Radulph Caen: Gesta Tancred. P.617.

5) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.187.

6) Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.230.

7) Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem. P.135.

عن ملطية وعاد إلى حاضرة إمارته سيواس^(١) وانتهاز صاحب ملطية جبريل الفرصة فاستنجد بأمير الرها الصليبي بلدوين دي بورج ٤٩٤-٥١٢هـ / ١١٠٠-١١١٨م^(٢) وقام هذا بتزويد جبريل ببعض المساعدات العسكرية^(٣). وربما تساءل بعض الباحثين لماذا انصرف الدانشمند عن ملطية ثم تأخر كذلك في العودة إليها مرة أخرى رغم خروجه منها منتصراً على حاكمها جبريل؟

نرى أن هذا يرجع إلى عدة أسباب يأتي في مقدمتها تحالف جبريل مع صهره بلدوين وانشغال الدانشمند بعد عودته إلى سيواس بالتصدي للحملة الصليبية اللومباردية^(٤) سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م^(٥). ثم قضى بعد ذلك فترة طويلة في تعبئة جيشه وتنظيم صفوفه، وتزويده بالمؤن والعتاد الكافية لمواجهة التحصينات القوية الموجودة في ملطية والتي حالت بينه وبين السيطرة عليها في محاولاته السابقة^(٦).

وبعد أن تمكن الدانشمند من دحر الفرنج اتجه بقواته إلى ملطية^(٧) وحينما اقترب منها أرسل إلى أميرها جبريل يطلب منه تسليم المدينة دون إراقة دماء. ولكن الأخير رفض ذلك معتمداً على مساعدة صهره أمير الرها^(٨).

وعندئذ شدد الدانشمند حصاره على ملطية، الأمر الذي أدى إلى حدوث قحط ومجاعة شديدة وارتفاع في الأسعار حتى نفد صبر سكانها، فأرسلت

1) Stevenson: The Crusaders in the East, Beirut 1968. P.73.

١- رشيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص٤٥٤.

2) William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sae. V.I. P.412.

3) Isin Demirkent: Urfa Hacli Kontlugu Tarihi (1098- 1118) Istanbul 1974. P.64.

٤) اللومبارديون: أحد قبائل الشعوب الجرمانية الشمالية التي عاشت في أحد السواحل الجنوبية لشبه جزيرة اسكندنيك. ثم نزحت منه حوالي القرن الأول أو الثاني قبل الميلاد إلى إحدى مناطق نهر الألب. ثم استقرت في منطقة وسط الدانوب. ولقد رحل اللومبارديون في منتصف القرن السادس الميلادي إلى إيطاليا بقيادة زعيمهم البوين، واتخذوا مدينة بافيا عاصمة لهم، حتى قضى شارلمان على مملكتهم حوالي سنة (٧٧٤م). انظر: محمود الحريري: اللومبارديون في التاريخ والحضارة (٥٦٨- ٧٧٤م) ط١، مصر ١٩٨٦م.

5) Oldenbourg: The Crusades. New York 1965. P.177.

6) Osman Turan: Seleuklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.137.

٧) ابن الشحنة: الدر المنتخب، ص٩٧.

8) Grousset: Histoire des Croisades. V.I. P.381.; Isin Demirkent: Urfa Hacli Kontlugu. Tarihi. P.75.

إحدى الطوائف النصرانية فيها الأسقف بار صابوني Bar Sabuni إلى جبريل لعله يستطيع إقناعه بطلب الصلح من الدانشمند، ولكن جبريلاً أساء فهم مقصد هذا الأسقف واتهمه مع أتباعه بالخيانة والتآمر ضده، ومن ثم فتك بهم^(١). وظل جبريل يمارس أعماله العدوانية ضد الأهالي دون شفقة أو رحمة مما أثار غضب جنوده عليه، وبالتالي تم القبض عليه وسُلم إلى الدانشمند^(٢). فأمر هذا بعض رجاله بحمله إلى قلعة قاطيا Qatya التي تقع داخل ملطية حيث كانت تقيم فيها زوجة جبريل، فطلب الدانشمند منه أن يوجه ندماً إلى زوجته بتسليم القلعة إلى رجاله، فأرسل جبريل إلى زوجته رسالة كتب فيها: (هذه رسالة أرسلتها إليك مع فتى اسمه ميداس الصغير فسلمي القلعة)، ولكن كلمة ميداس Midas لفظ أرمني يراد به (لأُسلمي) وهو بذلك قد حث زوجته بشكل غير مباشر على الصمود والمطالبة، وكان على ما يبدو ينتظر وصول مدد عسكري من صهره أمير الرها. ولكن قادة الدانشمند حينما اتضح لهم مكر وخداع جبريل قتلوه^(٣).

ولقد فتحت هذه الاضطرابات التي نشبت داخل ملطية أبواب المدينة أمام الجيش الدانشمندي فتمكن من دخولها سنة ٤٩٥هـ / ١٨ سبتمبر ١١٠٢م^(٤)، وأصدر الدانشمند الأوامر إلى جنوده بعدم التعرض لممتلكات الأهالي، وحث الأهالي على مواصلة أعمالهم بكل أمن واطمئنان، واتجه الدانشمند إلى السجون فأطلق سراح جميع السجناء، وكذلك أمر بجلب الحنطة والحبوب واللحوم وأدوات الزراعة والملابس من سيواس وقام بتوزيعها على سكان ملطية الذين عانوا كثيراً من ظلم واستبداد زعيمهم جبريل^(٥).

(١) سهيل زكار: الحروب الصليبية (الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية من كتاب المؤرخ السرياني المجهول)، ج ٢، ص ٤٦٢.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٢٦.

(٣) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.189.

□ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٢٦.

(٤) ابن العبري: نفس المصدر والمفحة. و ابن الشحنة: الدر المنتخب، ص ٩٧.

(٥) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.188.

وطبقاً لبعض الروايات^(١) فإن الدانشمند قد بذل جهوداً واضحة لتحقيق رفاهية شعب ملطية الذي يتكون معظمه من السريان والأرمن النصارى. وكان لهذا السلوك العادل من قبل الدانشمند صداه في بعض المصادر^(٢) التي عبرت عن ذلك بوضوح واثنت كثيراً على سيرة هذا الأمير.

وبعد أن اطمأن الدانشمند على استقرار الأوضاع داخل ملطية بعد خضوعها لسيطرته ترك عليها من جانبه والياً يدعى باسيل. وكان رجلاً عادلاً. ثم ارتحل الدانشمند وعاد إلى سيواس^(٣).

وقد أثارت سيطرة الدانشمند على ملطية السلطان قليج أرسلان الذي كان يأمل في الاستيلاء عليها بصفته سلطاناً على الأناضول^(٤)، فشن عليها هجوماً ساحقاً سنة ٤٩٩هـ / ١١٠٥م وانتزعها من السيطرة الدانشمندية^(٥).

ومنذ ذلك التاريخ ظلت ملطية خاضعة للنفوذ السلجوقي، واستمر ذلك حتى سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م عندما هاجمها أمير سيواس غازي بن الدانشمند الذي آلت إليه السلطة بعد وفاة أبيه. وعقد العزم على التوسع نحو الشرق، فأصبح الاستيلاء على ملطية أمراً حيوياً بالنسبة له. فالمدينة تهيمن على تقاطع حيوي لمجموعة أنهر حيث نهر توشما Tochma في الغرب، والفرات في الجنوب، والنهران اللذان يشكلانه في الشمال وهما نهر مراد أرسناس^(٦) Arsanias، ونهر قارا kara، أضف إلى ذلك أن طرق قيصرية وكومانا وطريق ساتالا Satala كلها تلتقي في ملطية، وتصل وادي الفرات بوادي طرابزون^(٧).

وكان الأمير غازي حينما اقترب من ملطية وجدها تعيش في وضع يسمح له

1) Ali Sevim: Selguklu - Ermeni. I. Iskileri. P.27.; Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P.211.

2) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.188.; Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.256.

٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٢٦.

4) Osman Turan: Selcuklu Zamarinda Turkey Tarihi. P.141.

5) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.192.

٦) أرسناس: نهر في بلاد الروم يوصف ببرود مائه (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ١٥١). وأشار إليه لسترنج فقال: إنه منبع الفرات الأصلي، ويعرف باسم نهر (أرسيناس قنومن Arsanias Flumen)، انظر (بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٤٧).

7) Chalandon: Les Comnene II. P.78.

بالسيطرة عليها إذ اشتد النزاع عليها بين حاكمها السلطان السلجوقي طغرل أرسلان^(١) وبين أمير حصن زياد^(٢) سليمان بن ارتق^(٣) (٥١٦-٥١٨ هـ / ١١٢٢-١١٢٤ م)^(٤) فانتهز ملك غازي هذه الفرصة، وحاصر ملطية حوالي شهراً كاملاً لكنها لم تسقط بيده رغم سيطرته على القرى المحيطة بها، وأثناء الحصار اضطر ملك غازي إلى العودة ناحية سيواس، فترك ابنه وولي عهده الأمير محمد مع جيش كثيف عسكر به في قرية سامن القريبة من ملطية، وأمره بتضييق الحصار عليها. وقد اشتد الضيق فعلاً بأهلها نتيجة للحصار، وقلت المواد الغذائية، وارتفعت أسعار ماوجد منها وهو قليل جداً، وفتك الجوع بالناس، فاضطروا إلى أكل ماكان يقع تحت أيديهم من الأشياء مثل أوراق الشجر وجلود الحيوانات وماشابه ذلك^(٥).

أما الأغنياء والأشراف داخل ملطية فكانوا يُعذبون في السجون بأوامر السلطان السلجوقي ووالدته بعد أن أثقلوا عليهم الضرائب فعجزوا عن دفعها، واستمر هذا الوضع السيئ حوالي ستة أشهر، لم يستطع خلالها السلطان السلجوقي أن يفعل شيئاً سوى أنه حينما أدرك قرب سقوط ملطية بيد

(١) طغرل أرسلان بن قليج أرسلان بن سليمان بن قتلмыш، تولى السلطة عقب وفاة أبيه سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٧ م بتدبير من بزميش أحد رجال أبيه عندما نقل امرأة السلطان الراحل قليج أرسلان وابنه الصغير طغرل أرسلان من الموصل إلى ملطية، ونادى بطغرل أرسلان سلطاناً في ملطية، حيث ظل في السلطنة حتى أرسل سلطان سلاجقة خراسان غياث الدين محمد أحد أخوة طغرل أرسلان وهو ملكشاه إلى ملطية ونادوا به ملكاً فخلع أخاه الصغير طغرل أرسلان. (ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٣٦ - ١٣٢).

(٢) حصن زياد: يقع بأرمينية الصغرى بين آمد وملطية ويعرف حالياً باسم خربوط (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٦٤؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص ١٤٩).

(٣) شمس الدولة سليمان بن نجم الدين أيل غازي بن ارتق. تولى إمارة ميافارقين بعد وفاته والده سنة ٥١٦ هـ ومات شمس الدولة سنة ٥١٨ هـ فاستولى أخوه حسام الدين تعرتاش على أملاكه من بعده. (ابن القلاسي: نيل تاريخ دمشق، ص ٢٠٨، حاشية رقم ١).

(٤) ابن العديم: زبدة الحلب، ج ٢، ص ٢٢٠.

(٥) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ٦٩.

C'halandon: Les Comnene II. P.78.; Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P.173.

المحاصرين تمكن من التسلل، وهرب عن ملطية^(١).

ولما وصل أمير سيواس ملك غازي إلى ملطية لم يجد هو وابنه محمد أية مصاعب تعترض سبيل دخولهم إلى ملطية التي وجدوها خالية من سكانها عدا فئة قليلة منهم خرجوا وكأنهم بعثوا من قبورهم لاستقبال القوات الدانشمندية^(٢)، فارتاع ملك غازي من أشكالهم، وأخذ يهدئ من روعهم، ويشد من أزهم، وأعلن لهم أنه سوف يحذوا في معاملتهم حذو أبيه. وأهاب بهم العودة إلى أراضيهم ومزارعهم. وأمر بتوزيع البذور والغلال عليهم، وأعاد تعمير مدمرته الحروب المتواصلة على ملطية التي عادت من جديد إلى حوزة الدانشمنديين^(٣). ويظهر أن ملك غازي بعد سيطرته الأخيرة على ملطية أخذ يتنقل بينها وبين سيواس بقية فترة حكمه حيث قضى نحبه في ملطية، بعد صراع مرير مع المرض وذلك سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٥م^(٤).

ويبدو أنه حينما توفي ملك غازي كان ابنه وولي عهده الأمير محمد يقيم خارج ملطية، فلما بلغه خبر وفاة أبيه أتى مسرعاً إلى ملطية وذلك خشية أن يتفق زعماء المدينة مع أحد إخوانه الثلاثة: ياغي بسان وعين الدولة وياجان^(٥) ويبايعوه بالإمارة مكان أبيه، وقد صدقت توقعات الأمير محمد حيث وجد كل واحد من إخوانه يرغب في بسط نفوذه على هذه المدينة. وقد تمكن الأمير محمد من إقناع أخيه ياغي بسان بالعدول عن فكرة الاستقلال في ملطية التي من شأنها أن تؤدي إلى تفتيت وحدة الإمارة الدانشمندية، وقضى في الوقت نفسه على تمرد أخيه الأصغر ياجان، غير أن الأخ الثالث عين الدولة رفض الاستجابة لنداء أخيه، واتخذ ملطية مركزاً لتمرده^(٦).

(١) الخلفاء العباسيون من مخطوطة ميخائيل، ص ٦٩ - ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤٠.
- Chalandon: Les Comnène II. P.78.

(٢) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ٦٩.
3) Chalandon: Les Comnène II. P.78.; Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.93.;
Brehier Louis: The Life and Death of Byzantium. V.5. P.224.; Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P.173.

4) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.237.

لـ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤٧.

5) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.238.

(٦) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤٧.

ويبدو أن الأمير محمداً قد استطاع بعد وقت قليل الوصول إلى حل سلمي مع أخيه عين الدولة تعهد هذا فيه أن يترك ملطية لمحمد مقابل منحه إقطاعاً يشمل مدينة أبلستين ونواحيها^(١). ولكن يظهر أن هذا الإقطاع لم يحقق طموح عين الدولة فاستغل خروج أخيه الأمير محمد إلى قيصرية، وكرر من جديد تمرده عليه. وعند ذلك تبين للأمير محمد أن أخاه بات مصدر خطر عليه ينبغي إستئصاله قبل استفحال أمره، فقرر تجريده من مناطق نفوذه وطرده من حدود إمارته سنة ٥٣١هـ / ١١٣٧م، فصار عين الدولة يتنقل من بلد إلى آخر^(٢)، حيث أنجحه في بادئ الأمر إلى مدينة هِنْزِيْط^(٣)، ومنها سار إلى أَمْد^(٤)، وأخيراً اتصل بأمير الرها الصليبي جوسلين الثاني Joscelyn II^(٥) (٥٢٦ - ٥٣٩هـ / ١١٣١ - ١١٤٤م)^(٦).

ومن المحتمل أن الأمير عين الدولة لم يكن هدفه من وراء تنقلاته بين هذه البلدان الواقعة بجوار ملطية هو الهروب فقط من أخيه، بل يبدو أنه يسعى للحصول على بغض الإمدادات لتقوية جيشه، ومن ثم مهاجمة ملطية. وربما كان ذلك محاولة لمعرفة موقف حكام هذه المناطق منه إذا استقل بحكم ملطية. ظل عين الدولة خارج ملطية قرابة ست سنوات حتى بلغه خبر وفاة أخيه ملك محمد في قيصرية سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م^(٧)، وعند ذلك أخذ يعد العدة من جديد لتحقيق طموحه الكبير بإنشاء إمارة دانشمندية مستقلة خاصة به في ملطية.

* * *

1) Schlumberger: Une Nouvelle Monnaie a Legende Grecque Emirs Danischmendides de Cappadoce. PP 6-7.

٢) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ٨٣.

- Chalandon: Les Comnene II. P.243.

٣) هِنْزِيْط: مدينة من مدن الثغور الرومية. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤١٨).

٤) أَمْد: بلد قديم حصين من أعظم مدن نياربكر (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٥٦).

٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٥٣.

- Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.96.

٦) عاطف مرقص بطرس: الأرمن وعلاقاتهم بالبيزنطيين والإسلاميين (٤٦٣ - ٥٦٧هـ / ١٠٧١ - ١١٧١م)

رسالة ماجستير غير منشورة - كلية آداب جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٨٦م، ص ٣١٦.

7) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.253.

□ ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٩٢. + أبو الفدا: المختصر، ج ٣، ص ١٦.

(١) الأمير عين الدولة بن ملك غازي

(٥٣٧ - ٥٤٧ هـ / ١١٤٢ - ١١٥٢ م)

ظلت ملطية ترتبط إدارياً بإمارة الدانشمنديين في سيواس طيلة فترات خضوعها للدانشمنديين (٤٩٥ - ٤٩٩ هـ / ١١٠٢ - ١١٠٥ م) ومن (٥١٨ - ٥٣٧ هـ / ١١٢٤ - ١١٤٢ م) (١). ولقد حرص أمراء الدانشمنديين الأوائل في سيواس (أحمد دانشمند وابنه ملك غازي ومحمد بن غازي) على وحدة إمارتهم وعدم تقسيمها، فقد كان ملك غازي يقوم بالتنقل خلال فترة حكمه بين سيواس وملطية، حتى أن مرضه الأخير قد داهمه في ملطية وتوفي بها (٢). وكذلك كانت سياسة ابنه الأمير محمد تجاه ملطية فقد هرع إليها فور تلقيه نبأ وفاة أبيه خشية أن يعلن أحد أخوته الموجودين في ملطية استقلاله فيها (٣). ورغم أن ملطية حافظت على وحدتها السياسية مع سيواس وبقية الولايات الدانشمندية الأخرى فإن بعض المؤرخين (٤) كانوا يوافقون لقب أمير ملطية على بعض أمراء سيواس وكان السبب في ذلك هو قيام بعض حكام سيواس بقضاء فترة طويلة من وقتهم داخل ملطية. ولكن عندما توفي الأمير محمد بن غازي سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م عمل أفراد البيت الدانشمندي على تفتيت هذه الوحدة، وظهرت الانقسامات التي شملت معظم أرجاء الإمارة الدانشمندية وذهب ضحيتها الأمير ذوالنون بن محمد الذي كان والده قد أوصى له بالحكم من بعده (٥). وذلك عندما استدعت أرملة الأمير محمد أخاه ياغي بسان بن غازي واقتربت به ونصبته حاكماً في سيواس (٦)، فانهزم ذوالنون ولاذ بالفرار إلى قلعة صامانتي (٧).

أما بالنسبة للأمير عين الدولة بن غازي شقيق الأمير الراحل فقد اتفق مع

(١) ابن الشحنة: الدر المنتخب، ص ١٩٧؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ١٩٠.

- Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. PP.192.

2) Michel le Syrien: Op. Cit. P.237.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٩٢؛ أبرالفدا: المختصر، ج ٣، ص ٨.

5) Chalandon: Les Comnene II. P.243.

(٦) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٥٥.

(٧) رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٢٧.

ابن أخيه يونس بن محمد صاحب قلعة مسارا (المنشار) وزحفاً معاً إلى ملطية وفرضاً عليها حصاراً شديداً، ورغم ذلك فقد تمكنت حامية المدينة من الصمود حتى اضطر الأمير عين الدولة وحليفه يونس إلى رفع الحصار بسبب قلة مأمعها من الجند، وقرراً التوجه إلى بلدة (١) عَرَقَة (٢).

ويبدو أن الخاتون أرملة محمد زوجة ياغي بسان أدركت الضغوط العسكرية التي تتعرض لها ملطية فبادرت إلى إرسال قوة عسكرية قوامها ألفا جندي لحراستها والدفاع عنها (٣)، وعند وصول هذه القوة أحس سكان ملطية بالخطر، وظنوا أنها قدمت لإجلائهم عن مدينتهم وترحيلهم إلى العاصمة سيواس، فاقتبأ بعضهم في آبار المياه وفي الملاجئ، وأخذ بعضهم الآخر أسلحتهم استعداداً للقتال وقام هؤلاء بتقسيم أنفسهم إلى ثلاث مجموعات، إحداها وقفت على امتداد الطريق الرئيسي المؤدي إلى المدينة لحراستها، وذهبت المجموعة الثانية إلى بلدة عرقة لاستدعاء الأمير عين الدولة، أما المجموعة الثالثة فقد كانت مؤلفة من جموع الأتراك القاطنين في ملطية حيث وقفوا أمام القلعة وكانوا بقيادة رجل يدعى «بورى Bouri» وطلبوا من حاكم القلعة مفاتيح الأبواب ليخرجوا لمحاربة جيش سيواس، ولكن الحاكم رفض طلبهم فحملوا الفؤوس والسيوف على اكتافهم واتجهوا إلى الباب الرئيسي (باب بوريدية)، وحطموه، ثم اشتبكوا مع الجيش وهزموه. وفي هذه الأثناء وصلت المجموعة المكلفة بإحضار الأمير عين الدولة وهو معهم فاستقبله الأهالي أحسن استقبال وسلموه مفاتيح أبواب المدينة وبايعوه أميراً عليهم (٤). وقد حدث ذلك يوم الأربعاء خلال الأسبوع الأول من شهر رمضان سنة ٥٣٧هـ / ١٧ فبراير ١١٤٢م (٥). ثم أعلن الأمير عين الدولة بن غازي استقلاله في ملطية عن إمارة أخيه ياغي بسان في سيواس. ومنذ ذلك التاريخ أصبح للدانشمنديين إمارتان الأولى في سيواس والثانية في ملطية.

1) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.253.

(٢) عَرَقَة: بلدة من نواحي الروم (ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص١١٠).

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٥٦.

4) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.253.

(٥) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص٨٦.

وبعد أن استولى الأمير عين الدولة على ملطية بدأ يتقرب من أخيه أمير سيواس ياغي بسان، حيث عقد الاثنان تحالفاً اتفقا بموجبه أن يقف كل منهما إلى جانب الآخر في حالة قيام ثورات داخلية، أو عند تعرض أحدهما لعدوان خارجي يستهدف تقويض أركان إمارته^(١). ويبدو أن الهدف من هذا التحالف هو إضعاف نفوذ ابن أخيهما الأمير ذي النون بن محمد صاحب قيصرية^(٢). وبعد أن ضمن أمير ملطية عين الدولة جانب أخيه ياغي بسان سعى إلى التوسع في منطقة جيحان واستولى على مدينة أبلستين^(٣) التي كان أخوه ملك محمد قبل وفاته قد منحها إياه مقابل التخلي عن أطماعه في ملطية، ولكنه مالبث أن انتزعها منه سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م بعد أن ساءت العلاقات بينهما^(٤).

ويظهر أن الأمير عين الدولة أثناء إقامته في المنفى خلال الفترة الأخيرة من حكم أخيه ملك محمد^(٥) قد نجح في الحصول على ولاء بعض قبائل الأرمن التي كانت تسكن بالقرب من ملطية وقد أدى ذلك إلى قيام علاقة حسنة بين الأمير عين الدولة وبين أحد أقوى أمراء هذه القبائل ويدعى عيسى وهو زعيم قبيلة آل بوغوصاك التي تحكم قلعة سيفرك على نهر الفرات. وكان أفراد هذه القبيلة قد اعتنقوا الإسلام على يد الأتراك السلاجقة بعد دخولهم إلى الأناضول واقطع هؤلاء عيسى حكم هذه القلعة الذي كان هو ورجاله سنداً للأمير عين الدولة في أغلب حروبه الخارجية مع بعض القوى السياسية المجاورة لإمارته^(٦). ولم يعمر الأمير عين الدولة طويلاً في الحكم إذ وافته المنية سنة ٥٤٧هـ / ١٢ حزيران ١١٥٢م^(٧) وكان بعض المؤرخين يطلقون عليه اسم «دولة»^(٨) وأحياناً دولة

1) Chalandon: Les Comnene II. P.243.

٢) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٥٢. العبري: مسالك الأبحار، ج ٢٧، ص ٤٣. ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٧٢.

٣) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.254.

٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٥٣.

□ Schlumberger: Une Nouvelle Monnaie a Legende Grecque Emirs Danischmendides de Cappadoce. P.7.

5) Turk Ensiklopedisi. Cilt XII. P.274.

6) Osman Turan: Selcuklular Zamanında Türkiye Tarihi P.175.

٧) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١٠٥.

□ Buyuk Ensiklopedi. Cilt.I. P.523.

٨) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٦٧.

أبوهادي غازي^(١) لكن اسمه كما يبدو على قطع النقد الخاصة بابنه ذي القرنين
وحفيده محمد كان عين الدولة^(٢).

* * *

(١) الخلفاء العباسيون والحروب الملبية، ص ٩٩.
(٢) Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P.51.

(٢) الأمير ذو القرنين بن عين الدولة

(٥٤٧ - ٥٥٦ هـ / ١١٥٢ - ١١٦١ م)

عندما توفي الأمير عين الدولة سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م^(١) تولى ابنه علاء الدين ذو القرنين زمام السلطة في ملطية بشكل اسمي حيث بقي تحت وصاية أمه السلجوقية، وهي ابنة أخي السلطان السلجوقي مسعود بن قليج أرسلان حاكم قونية^(٢) ولم يستطع الأمير الصغير ذو القرنين بسبب سيطرة والدته عليه أن يواجه المشكلات المحيطة بإمارته فوقع الخوف من جديد في قلوب شعب ملطية وبالذات النصاري منهم خشية أن تعود من جديد سلسلة الحروب الدامية والفوضى التي تعرضت لها مدينتهم قبل قيام الحكم الدانشمندي فيها^(٣) وعندما انقضت أيام الحداد على وفاة الأمير عين الدولة أرسل أخوه أمير سيواس ياغي بسان العزاء لأرملة أخيه ولابنها ذي القرنين وهناه بالإمارة وأوصاه بالمحافظة على استقلال حكومته، وعدم الرضوخ للضغوط الخارجية التي قد يمارسها سلطان قونية مسعود مستغلاً صلة القرابة التي تربط بينهما.

وكان تخوف أمير سيواس على مستقبل ابن أخيه حاكم ملطية صائباً حيث إن والده الأمير ذي القرنين السلجوقية مالبيث أن قامت بتنحيته عن منصبه واستبدت بشئون الحكم^(٤).

وقد تجاوز خطرهما ابنها إلى شعب ملطية فأخذت تعاملهم بقسوة وطال شرها المسلمين منهم والنصاري على حد سواء، وأثقلت عليهم الضرائب، ورفضت أن تسمع مطالبهم، وأحاطت نفسها بحاشية من الساحرات والمنجمات^(٥) وادعت أنها وصلت إلى سدة الحكم بقوتها الذاتية، ولم تتلق تأييداً أو مساعدة

1) Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P 51.

٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٦٧.

□ Turk Ensiklopedisi. Cilt XII. P.275.

٣) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١٠٥.

٤) نفسه.

5) Schlumberger: Une Nouvelle Monnaie a Legende Grecque Emirs Danischmendides de Cappadoce. P.7.

من أحد، كما أنكرت دور ابنها في وصولها إلى السلطة. ولقد دفعت بها حماقتها إلى ما هو أبعد من ذلك حيث عزمت على الفتك بابنها غير أن رجاله تمكنوا من إحباط مؤامرتها ضد ابنها وسارعوا إلى حمايته^(١).

ومن الطبيعي أن تكون ردة فعل الأهالي عنيفة تجاه هذه الحاكمة المتسلطة فقد اتخذوا ضدها موقفاً عدائياً وهاجموها في قصر الإمارة وتمكنوا من الإطاحة بها وطردوها عن ملطية، وبذلك أعادوا الأمور إلى نصابها وسلموا ابنها ذا القرنين السلطة وبدأ حكمه بأن أعلن استنكاره للسحرة والعرافين وخاصة أولئك الذين يعملون في بلاط والدته إبان فترة حكمها. وشرع في قتلهم وتعذيبهم ونهب بيوتهم، وأصدر قراراً بحرق كل محترف لهذه المهنة، وبذلك تخلص الناس من شرهم^(٢).

ولقد شرع الأمير ذو القرنين في إقامة العدل بين الأهالي حتى اطمأنوا على أنفسهم فأحبوا هذا الأمير وبذلوا أرواحهم فداءً له، ثم اكتشف هذا الأمير أن بعض زعماء ملطية يتآمرون عليه لعزله إنتقاماً من سوء معاملة أمه لهم، فأخذ يتتبعهم وحينما استطاع القبض عليهم أمر بنفيهم وبذلك أرسى قواعد حكمه في ملطية^(٣).

ويظهر أن إمارة ملطية شهدت بعد ذلك حالة هدوء واستقرار ساهمت في انتعاش الحركة العلمية داخل المدينة حيث برز عدد من المفكرين والأدباء كان من أشهرهم الطبيب إبراهيم بن أبي سعيد العلاني الذي أهدى كتابه المسمى «تقويم الأدوية» للأمير ذي القرنين، وقد وردت في كلمة الإهداء بعض الألقاب التشريعية لهذا الأمير مثل: علاء الدين وعماد أمير المؤمنين، وكان عنوان كلمة

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٦٧.

(٢) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١٠٦.

(٣) Schlumberger: Une Nouvelle Monnaie a Legende Grecque Emirs Danischmendides de Cappadoce, P7.

(٤) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١٠٦.

(٥) هذا الكتاب حسب رواية الباحث مكرميين خليل موجود في مكتبة الرباط بالمغرب، وقام بنشره: H.Renaud انظر:

ج Mokrumin H. Yinang: Danismendliler, in: Islam Encyclopedia, Cilt.3, P.474.

الإهداء «عين الدولة» أمير السفهسالار»^(١).

حكم ذوالقرنين تسع سنوات تقريباً، وقد قام بسك عملة خاصة بفترة حكمه اشتملت على بعض الألقاب التي كانت تطلق عليه ومنها لقب: الواثق ذوالقرنين بن عين الدولة^(٢).



1) Mokrimin H. Yinang: Op. Cit. P.474.

٢) السفهسالار: لقب مركب من لفظين فارسي وتركي، إذ أن «أسفه» بالفارسية بمعنى «المقدم» و«سلار» بالتركية بمعنى العسكر، فيكون معنى اللقب «مقدم العسكر» أي قائد الجيش. انظر: حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص ١٥٦ - ١٥٨.

3) Casanova: La Numismatique des Daniehmdites. P.81

(٣) الأمير محمد بن ذي القرنين (المرّة الأولى)

(٥٥٦ - ٥٦٥ هـ / ١١٦١ - ١١٦٩ م)

ترك الأمير ذو القرنين بن عيين الدولة عند وفاته سنة ٥٥٦هـ / ١١٦١م^(١) ثلاثة من الأبناء هم: محمد وقاسم وأفريدون، وكان هؤلاء الأخوة صغاراً في السن^(٢). وقد خلف محمد أباه في الإمارة^(٣). الأمر الذي أدى إلى نشوب اضطرابات جديدة في ملطية ربما كان صغر سن الأمير محمد أحد أسبابها الرئيسية^(٤). وقد أفاد أمير سيواس ياغي بسان بن غازي من هذه الأحداث فقام بالهجوم على ملطية^(٥). ولم نقف على نتيجة هذا الهجوم وأبعاده السياسية والعسكرية. وقد ظهر لنا من خلال المصادر المتوفرة بين أيدينا أن سيرة الأمير محمد بن ذي القرنين كانت غير حسنة، وكان يقضي جل وقته في اللهو واللعب فكرهه سكان ملطية من أجل ذلك. وازداد كرههم له بسبب ارتباطه بامرأة سيئة السيرة^(٦) يبدو أنها قد سيطرت عليه واستبدت بشئون الحكم تديرها وفق رغباتها الشخصية، لذلك ضيقوا عليه الخناق، وأجبروه على التنازل عن الحكم، ومغادرة ملطية سنة ٥٦٥هـ / ١١٦٩م^(٧) فأخذ معه صاحبتة، وخرج عن المدينة^(٨). وصار يتنقل بين مدن بلاد الشام والأناضول والجزيرة الفراتية، حيث اتجه أولاً إلى الشام فقبض عليه نورالدين محمود وزج به في السجن^(٩).

1) Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P 81.

□ احمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ٩٨.

□ Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.101.

2) Turk Ensiklopedisi. Cilt XII. P.275.

3) Chalandon: Les Comnene II. P.457; Buyuk Ensiklopedi Cilt.I. P.524.

□ رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٣٧.

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٧٥.

5) Chalandon: Les Comnene II. P.457.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٨٢.

(٣) نفسه.

□ Mokrimin H. Yinang: Danismendiler. in: Islam Encyclopedia. Cilt.3.

P.475; Abdulhaluk Gay: Anadolunun. Turklesmesinde. Donum. Noktas. P.41.

(٤) الخلفاء العباسيون والحروب المليبية، ص ١١٤.

إن اتخاذ نور الدين لهذا الإجراء ضد أمير ملطية المخلوع محمد بن دي القربين يحتمل في رأينا عدة أسباب منها: إما أن يكون ذلك بإيعاز من الأمير دي المور من ملك محمد أحد أعضاء الأسرة الدانشمندية الحاكمة في سيواس الذي كان لاجئاً عند نورالدين في الشام وقت قيامه بالقبض على محمد بن دي القربين^(١)، إذ لانسى ماكان من عداوة سابقة بين والد ذي النون أمير سيواس ملك محمد بن غاري وبين أخيه عين الدولة وهو جد أمير ملطية محمد بن ذي القرنين^(٢)، أو لأن نورالدين قد غضب على هذا الأمير بسبب دخوله بلاد الشام الخاضعة لنفوذ نورالدين دون أن يستأذنه في هذا الأمر. وأخيراً ربما أن نورالدين سارع بالقبض عليه بسبب سيرته غير الطيبة عندما وصلت أخبارها إليه وقد حشي نورالدين وهو الذي كان يتمتع بمكانة دينية محترمة في أوساط المسلمين أن ينسب إليه قيامه بإيواء أمير سيى السلوك، وغير مرغوب فيه من جانب أتباعه.

ظل محمد بن ذي القرنين سجيناً في الشام مدة من الزمن، ثم استطاع الهروب من سجنه^(٣). وسار إلى إمارة أنطاكية الصليبية حيث نزل عند أميرها بوهمند الثالث (٥٥٨هـ - ٥٩٧هـ / ١١٦٣ - ١٢٠١م) الذي استطاع حسب زعم ميخائيل السرياني^(٤) أن يقنع الأمير محمد بالارتداد عن الإسلام، واعتناق النصرانية، ولكن صاحب هذه الرواية لم يورد لنا الأسباب التي جعلت هذا الأمير يرتد عن دينه، وبهذه السرعة والبساطة التي ساقها وصورها الراوي نفسه، خاصة إذا علمنا أن هذا الأمير ينحدر من أسرة اقترن اسمها بالجهاد في سبيل الله وتشر الإسلام داخل إقليم الأناضول. ومن جانبنا نتصور أن مجرد مرور الأمير الدانشمندي بأنطاكية ونزوله عند أميرها أياماً معدودة يظل سبباً غير كاف إطلاقاً لأن يقدم على هذا التحول الخطير في عقيدته، ولكن من المرجح أن هذا الأمير قد أظهر أثناء تواجده في أنطاكية تعاطفاً محسوساً تجاه النصارى هناك مما جعل هؤلاء يبادلونه نفس الشعور، ويقفون إلى جانبه في محنته. وقد حمل

1) Chalandon: Les Comnène II. P.493; Cahen: Pre-ottoman Turkey P 102

2) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien V 3 P 238

٣) الحلفاء العباسيون والحروب الصليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ١١٤.

(٤) نفسه

هذا الشعور الطيب الذي أبداه الأمير محمد نحو النصاري المؤرخ السرياني^(١) على القول بأنه قد ارتد عن الإسلام. ونرى كذلك أن الأمير الدانشمندي لو كان قد ارتكب هذه الخطيئة فعلاً لما سارع بالهروب من أنطاكية، ولجأ إلى سلطان قونية المسلم قليج أرسلان الثاني يطلب منه مساعدته في العودة إلى ملطية. بيد أنه عندما أدرك أن السلطان السلجوقي لا يرغب في عودته إلى ملطية اتجه الأمير محمد ناحية بلاد الجزيرة الفراتية لكي يطلب من أمراء الأراتقة هناك مساندته، ولكن الاتابك نورالدين محمود الذي ظل يراقب تحركات هذا الأمير تمكن من القبض عليه مرة أخرى وسجنه في قلعة^(٢) البيرة^(٣). وقد ناقشنا في السطور القليلة السابقة بعض الاحتمالات التي ربما كانت وراء موقف نورالدين من الأمير محمد وسجنه في المرة الأولى. غير أن قيام نورالدين بالقبض عليه وسجنه في المرة الثانية قد يكون بسبب هروبه من سجنه في المرة الأولى، واتصاله بأمير أنطاكية الصليبي ومائثر عنه من الارتداد عن الإسلام واعتناق المسيحية.

مكث الأمير محمد في سجن قلعة البيرة حتى توفي نورالدين محمود^(٤) سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م^(٥)، ولقد مر هذا الأمير خلال فترة تنقلاته بين الشام والأناضول والعراق التي استغرقت حوالي أربع سنوات (٥٦٥ - ٥٦٩هـ / ١١٦٩ - ١١٧٤م) بظروف قاسية حيث ساءت أحواله، وبات يعيش على الصدقات التي صار يتلقاها من رهبان دير القديس ماربرصوما^(٦) Mar Barsouma^(٧).

(١) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١١٤.

2) Abdulhaluk Gay: Anadolunun. Turklesmesinde. Donum. Noktas. P.41.

(٢) البيرة: قلعة حصينة قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٥٢٦).

(٣) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١١٤.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ٢٤٧. ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٤٠٢.

(٥) ماربرصوما: دير يقع على جبل منير قرب ملطية، وهذا الدير معتبر عند النصاري حيث يقولون إن برصوما كان من الحواريين، وهو الدير الذي كان ينادي بطلب نذره في بلاد الروم، ونياربكر، ونيار ربيعة، والشام، فيه رهبان كثيرون يؤمنون كل عام إلى صاحب الروم آنذاك عشرة آلاف دينار من نذره. (القزويني: آثار البلاد: ص ٥٢٩).

(٦) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١١٤.

وكان الأمير محمد بن ذي القرنين يلقب بناصر الدين^(١). وقد عثر كازانوف^(٢) على بعض النقود النحاسية الخاصة بهذا الأمير.

* * *

1) Turk Ensiklopedisi. Cilt XII. P.275.

2) أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ١٠٠.

2) Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P.85.

(٤) الأمير أبو القاسم بن ذي القرنين
(٥٦٥ - ٥٦٧ هـ / ١١٦٩ - ١١٧١ م)

بعد أن ثار أهل ملطية على أميرهم ناصر الدين محمد بن ذي القرنين وخلعوه سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م، عينوا مكانه أخاه أبا القاسم^(١) أو (قاسم) كما يسميه بعض المؤرخين^(٢)، وكان شاباً صغيراً في الخامسة عشرة من عمره^(٣). وبعد مرور سنة واحدة وبضعة أشهر على توليه الحكم تزوج من أخت الأمير الأرمني نور الدين محمد بن قرا أرسلان^(٤) أمير حصن كيفا^(٥). وفي يوم الزواج خرج الأمير العروس في سباق الخيل كما جرت العادة بذلك عند الأتراك في مثل هذه المناسبة، فسقط من فوق جواده، وتوفي في الحال سنة (٥٦٧ هـ / ١١٧١ م) وانقلب فرح أهل العروسين ومعهم شعب ملطية حزناً وحداداً، خاصة أن أهالي هذه المدينة كانوا يعلقون آمالاً كبيرة على هذا الأمير رغم حداثة سنه، وذلك لعدم وجود من هو أكفأ منه داخل البيت الدانشمندي الحاكم في ملطية^(٦). ويطلق على الأمير أبي القاسم بن ذي القرنين لقب «فخر الدين». ويلاحظ أن النقود النحاسية التي سككت في عهد هذا الأمير لا تحمل ما يدل على المكان والزمان الذي ضربت فيه^(٧).



(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٨٣.

Chalandon: Les Comnene II. P.494.

2) Turk Ensiklopedisi. Cilt XII. P.275.; Buyuk Ensiklopedi. Cilt.I. P.524.

3) Mokrimin H. Yinang: Danismendliler, in: Islam Encyciopedia. Cilt.3. P.475.

(٤) نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن ارتق، تولى والده فخر الدين قرا أرسلان إمارة حصن كيفا بعد وفاة أبيه داود سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م، وظل في الحكم حتى وافاه الأجل المحتوم سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م فقام بعده ابنه نور الدين محمد وملك جميع بلاد أبيه، وأضاف إليها إقليم آمد، وقد توفي نور الدين محمد سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م. لمزيد من التفاصيل طالع: (عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، ط١، بيروت ١٩٨٠ م، صفحات ١٢٧، ١٥٠).

(٥) حصن كيفا: ويقال كيفا واطننها أرمينية، وهي قلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ياربكر (ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ٢٦٥).

(٦) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ٨٠٨. ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٨٤.

Mokrimin H.: Danismendliler, in: Islam Encyciopedia. Cilt.3. P.475.

7) Casanova: La Numismatique des Danichmendites, P 85.

(٨) أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ٨١.

(٥) الأمير أفريدون بن ذي القرنين

(٥٦٧ - ٥٧١ هـ / ١١٧١ - ١١٧٥ م)

بعد وفاة الأمير أبي القاسم حدث انقسام داخل مدينة ملطية حيث انحاز بعض اتباع هذا الأمير إلى أخيه الكبير الأمير المخلوع ناصرالدين محمد، الذي كان يقيم في منفاه خارج ملطية، في حين مال بعضهم الآخر إلى مبايعة أخيه الآخر أفريدون^(١). وقد رجحت كفة هؤلاء فجلس الأمير أفريدون بن ذي القرنين أصغر الأخوة الثلاثة سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١ على كرسي الحكم^(٢).

وبعد استقرار أفريدون في السلطة فكر بالزواج من أرملة أخيه أبي القاسم، وتمت مراسم الزواج بالفعل رغماً عن أنف الأميرة الأرمنية التي لم تكن تميل إلى الأمير أفريدون^(٣)، ولكن بعد مضي حوالي أربع سنوات على تاريخ صعود أفريدون إلى السلطة فوجئ بعودة أخيه الأمير السابق ناصرالدين محمد إلى ملطية من جديد بعد أن هرب من سجنه في قلعة البيرة على أثر وفاة الأتابك نورالدين محمود سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م^(٤).

وكان ناصرالدين محمد قد ذهب إلى الجزيرة الفراتية، وبقي فيها حوالي سنتين، ثم اتجه إلى ملطية ودخلها خفية سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م، وبقي في منزل أحد أصدقاء طفولته لمدة يومين، وتسلسل في منتصف الليلة الثالثة مع بعض رفاقه إلى قصر أخيه الأمير أفريدون، واقتحموه دون أن يشعر بهم حراس القصر. ودخل الأمير محمد إحدى الغرف فوجد ابناً صغيراً لأخيه نائماً إلى جوار مربيته العجوز فقتلها معاً. ثم دخل غرفة أخرى كان أخوه أفريدون نائماً فيها فقتله وأخذ منه مفاتيح المدينة. وعند ذلك بادر أعيان ملطية إلى تقديم فروض الولاء والطاعة له^(٥). ونجح الأمير محمد بمساعدة بعض أصدقائه المخلصين من

(١) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١٠٨.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٨٤.

3) Chalandon: Les Comnène II. P.494.

(٤) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١١٤.

ل Mokrimin H.: Danismendliler. in: Islam Encyclopedia Cilt.3. P.475

(٥) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١١٤.

استعادة إمارة ملطية.

وقرر الأمير محمد فور توليه الحكم الانتقام من أنصار أخيه أفريدون الذين رفضوا مبايعته عند وفاة أخيه أبي القاسم. وكان غالبيتهم من التركمان، ومن ثم أخذ يعاملهم بقسوة وعنف حتى أدخل الرعب في قلوبهم. واختفى النصارى في بيوتهم، أما المسلمون فقد حملوا أسلحتهم واجتمعوا أمام أحد أبواب المدينة، وبينما هم وقوف في هذا المكان إذا برأس الأمير القاتل أفريدون تسقط من فوق أحد الأسوار وسط أولئك المحتشدين، فسارعوا عند ذلك إلى مبايعة الأمير محمد^(١).

* * *

(١) الخلفاء العباسيون والحروب الملبية، ص ١١٤.

(٦) الأمير ناصر الدين محمد بن ذي القرنين

(الفترة الثانية)

(٥٧١ - ٥٧٣ هـ / ١١٧٥ - ١١٧٧ م)

بعد أن استعاد هذا الأمير حكم إمارة ملطية عاد إلى سيرته الأولى التي كانت سبباً في عزله وطرده عن الحكم في المرة السابقة^(١) فقد أهمل شئون الرعية وترك ناصية الحكم بيد جنوده وكبار أعوانه في محاولة منه - على ما يبدو - إما مكافأة لهم نظير وقوفهم إلى جانبه من أجل استرداد منصبه المسلوب منه، أو ربما أنه أراد أن يغيظ بذلك التصرف خصومه الذين عارضوا عودته واستخدموا نفوذهم للحيلولة بينه وبين الوصول إلى الحكم مرة ثانية، ولقد استبد أنصار هذا الأمير بشئون السلطة فأخذوا يعاملون سكان ملطية معاملة قاسية وكانت عقوبتا الجلد والسجن في انتظار كل من يجرؤ على معارضة سياسة هذا الأمير، ولذلك وصف بعضهم^(٢) حكمه بأنه كان جائراً.

وفي الوقت الذي كان أهالي ملطية يعانون خلاله من القحط والجوع أصدر هذا الأمير قراراً بإعفاء أهالي دير ماربرصوما من الضرائب لأنهم كانوا قد ساعدوه في أيام محنته حينما كان سجيناً داخل قلعة البيرة، ومقابل ذلك تعهد له رهبان الدير بأن يدفعوا له مبلغ أربعمئة دينار سنوياً^(٣). ونعتقد أن دعم رهبان هذا الدير للأمير محمد ثم معاملته الطيبة لهم ولرعاياهم من الأمور التي جعلت المؤرخ ميخائيل السرياني^(٤) يقول بأن هذا الأمير الدانشمندي قد تنصّر أثناء إقامته في إمارة أنطاكية الصليبية - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - ويتضح من سير هذه الأحداث أن هناك أكثر من جهة سياسية قامت بتحريض الأمير محمد للهجوم على أخيه أفريدون وانتزاع الإمارة منه. وإذا كان أحد^(٥) الباحثين قد

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٨٢.

(٢) الخلفاء العباسيون والحروب الملبية، ص ١١٩ - رضوان نائف وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٣٧.

(٣) الخلفاء العباسيون والحروب الملبية، ص ١١٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ١١٤.

(٥) Mokrimin H.: Danismendliler in: Islam Encyciopedia. Cilt.3. P.475.

أشار إلى تورط بعض حكام الأراتقة ببلاد الجزيرة الفراتية في هذه المؤامرة فإننا نرى أن السلطات السلجوقية في الأناضول هي الأخرى ربما كانت لها يدٌ خفية في هذا العمل على اعتبار أنها من أكثر القوى السياسية إستفادة من ظهور القلاقل والاضطرابات داخل إمارة ملطية. ومما شجعنا على طرح هذا الرأي قبول الأمير ناصر الدين محمد سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م الدخول تحت تبعية السلطان السلجوقي قليج أرسلان الثاني وذلك عندما بدأت تلوح في الأفق بوادر اندلاع الثورة ضده من جديد داخل ملطية.

ويبدو أن السلطان السلجوقي عزم بعد ذلك مباشرة على إزالة الحكم الدانشمندي نهائياً من ملطية حيث حاصرها بجيوشه واستولى عليها دون مقاومة تذكر، وضمها إلى سلطنته في الأناضول^(١).

ويظهر أن السلطان السلجوقي لم يكتف بالسيطرة على الإمارة بل إنه ألح على صاحبها الأمير ناصر الدين محمد بالخروج من ملطية فأذعن لطلبه وسار إلى حصن زياد^(٢)، فكان ذلك إيذاناً بسقوط إمارة الدانشمنديين في ملطية، الأمر الذي نتج عنه تشتيت شمل أفراد هذه الأسرة، فكان مصيرهم نفس مصير أقربائهم حكام فرع سيواس.

ولقد حاولنا تتبع النهاية التي آلت إليها حياة آخر أمراء الدانشمنديين في ملطية بعد هروبه إلى حصن زياد في بلاد الجزيرة، وكذلك مصير بقية أفراد عائلته، ولكننا لم نقف على شيء حول ذلك في المصادر التي توفرت بين أيدينا، وكل ما استطعنا التوصل إليه هو أن بعض القبائل التركية التي كانت تدين بالولاء للدانشمنديين قد تفرقت في أطراف الأناضول بعد انقراض إمارتي سيواس وملطية، وعادت إلى حياة التنقل والترحال، وقامت بتأسيس القرى والمراكز التي أطلقت عليها أسماء مختلفة مثل دانشمندلي ودانश्مان وتانيश्مان^(٣)، وتعد أسرة الملك صنع الله Sun Ullah التي تأسست في ملطية

(١) الخلفاء العباسيون والحروب الملبية، ص ١١٩.

2) Mokrimin H.: Danismendiler in: Islam Encyclopedia. Cilt.3. P.475.

□ رخوان نلأذ وإسماعيل حقى: سيواس شهري، ص ٣٨.

3) Wittek (Poul): The Rise of the Ottoman Empire (London 1938). P.23; Turk Ensiklopedisi. Cilt XII. P.275

بعد زوال دولة سلاجقة الأناضول من بقايا إمارة الدانشمنديين في ملطية. وهناك فرع لهذه الأسرة في مدينة توقات وكانوا يسمون (قبيلي زاده لر). ولا توجد معلومات وافية حتى الآن عن هذه الأسرة توضح تاريخ قيامها وسقوطها وأسماء حكامها^(١).

أما بالنسبة للنقود الدانشمندية فقد استخدمت اللغة الرومية في الكتابة عليها، وذلك في عهود الأمراء الأوائل. أما الحكام بعد الأمير ياغي بسان بما فيهم أغلب حكام ملطية فقد أمروا بسك النقود باللغة العربية تارة وباللغتين الرومية والعربية تارة أخرى. وكان معظم تلك النقود تحمل صورة إنسان^(٢). أما الشعار الرسمي للدانشمنديين فهو أسود اللون مثل شعار الإمارات التركية الأخرى والدولة السلجوقية في الأناضول^(٣).



-
- 1) Zeki Oral: Malatya Kitâbeleri Ve Tarihi in (III Turih Kongresi Ankara 15-20 Kasim 1943) Turk Tarih Korumu Yoyinlarindan IX. Seri no.3. Ankara 1948. PP.434-438.
 - 2) Sallet Alfred Van: Munzen und Medaillen. P.140.; Schlumberger: Une Nouvelle Monnaie a Legende Grecque Emirs Danischmendides de Cappadoce. PP.1-8.
 - 3) Mokrimin H.: Danismendliler. in: Islam Encyciopedia. Cilt.3. P.476.

الفصل الرابع

العلاقات السياسية بين الدانشمنديين والقوى الإسلامية المعاصرة

١ أولاً: علاقات الدانشمنديين بسلاجقة الأناضول.

٢ ثانياً: علاقات الدانشمنديين بالدولة الزنكية.

٣ ثالثاً: علاقات الدانشمنديين بالإمارات المستقلة داخل الأناضول.

(أ) بنو كجك في أذربيجان وديربكي (٤٦٤-٦٥٠ هـ / ١٠٧١-١٢٥٢ م).

(ب) بنو سلق في أرضروم (٤٦٤-٥٩٨ هـ / ١٠٧١-١٢٠١ م).

٤ رابعاً: علاقات الدانشمنديين بالأرناؤكة.

٥ خامساً: علاقات الدانشمنديين (الدبلوماسية) بالقوى الإسلامية.

أولاً: (علاقات الدانشمنديين بسلاجقة الأناضول)

قامت الدولة السلجوقية في الأناضول^(١) سنة (٤٧٠هـ / ١٠٧٧م تقريباً) وذلك على يد الأمير سليمان بن قتلмыш بن أرسلان بيغو بن سلجوق بن دقاق. وحكم من بعده سبعة عشر سلطاناً بعضهم في قونية، وبعضهم الآخر في سيواس بعد سقوط الحكم الدانشمندي هناك. وقد عاصر خمسة من هؤلاء السلاطين فترة حكم إمارتي الدانشمنديين في سيواس وملطية بدءاً من عهد السلطان داود بن سليمان (٤٧٩هـ / ٤٨٥هـ / ١٠٨٦-١٠٩٢م) وحتى أواخر حكم السلطان عزالدين قليج أرسلان الثاني بن مسعود (٥٥٠هـ / ٥٥٨هـ / ١١٥٥-١١٩٢م).

ولقد شكلت علاقة الدانشمنديين بسلاجقة الأناضول حلقة مهمة في تاريخهم السياسي بسبب ظهور هاتين الاسرتين الحاكمتين في الأناضول خلال فترة زمنية متقاربة من جهة، ولصلة القرابة والمصاهرة المبكرة التي ربطت بينهما من جهة أخرى. إذ أن الأمير كمشتكين أحمد دانشمند مؤسس إمارة سيواس خال لسليمان بن قتلмыш^(٢)، ويروى أن الأمير غازي بن دانشمند كان متزوجاً من بلقيس أخت سليمان بن قتلмыш^(٣). فلهذه الأسباب وأسباب أخرى سنعرفها من خلال هذه الدراسة تذبذبت علاقاتهما بين السلم تارة والحرب تارة أخرى.

ولقد اشارت بعض المصادر إلى أول اتصال جرى بين الدانشمنديين وبين سلاجقة الأناضول وذلك عندما هاجمت القوات البيزنطية مدينة سيواس حيث استنجد الدانشمند بالسلطان السلجوقي قليج أرسلان بن سليمان بن قتلмыш

(١) للحصول على مزيد من المعلومات عن تاريخ هذه الدولة وعلاقاتها السياسية مع القوى الإسلامية المجاورة، انظر: تماراتالبوت رابيس: السلاجقة تأريخهم وحضارتهم، ص ٤٢. إبراهيم الخضر: العلاقات السياسية الخارجية بين سلاجقة الروم والقوى الإسلامية المجاورة. رسالة ماجستير غير منشورة في كلية العلوم الاجتماعية بالرياض ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٢) اس الشحنة: الدر المنتخب، ص ١٩٧. حسين حسام الدين: تاريخ أمليسا، ج ٢، ص ٢٨٢.

(٣) عالي: فصول حل وعقد، ورقة ٣٥ (ب). هزافن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠١.

(٤٨٥ - ٥٠٠ هـ / ١٠٩٢ - ١١٠٧ م)^(١)، وقيل داود بن سليمان بن قتلмыш^(٢). ويبدو أن الرواية الأولى أقرب إلى الصحة وذلك لأن فترة حكم السلطان داود (٤٧٩ - ٤٨٥ هـ / ١٠٨٦ - ١٠٩٢ م تقريباً) كانت غامضة جداً. ولم يكن للدولة السلجوقية في عهده نشاط خارجي يذكر، كما أنها لم تعد تتمتع بتلك القوة العسكرية التي تجعل السلطان داود يتمكن من موازنة القوات الدانשמندية. عندما أرسل الدانشمند سفيراً إلى السلطان السلجوقي في قونية يخبره بزحف البيزنطيين ناحية سيواس، ويطلب منه معونة عسكرية، ووعده بأن يمنحه في المقابل بعض الامتيازات إذا انتصر على البيزنطيين^(٣). فأرسل السلطان بعض قواته لمساعدة الدانشمند. ولما انتصر المسلمون على القوات البيزنطية، وعاد الجيش السلجوقي الذي شارك في هذه الحرب إلى قونية، انتظر السلطان وقتاً طويلاً من أجل أن يقوم الدانشمند بالوفاء بوعده، ولكنه حينما اكتشف مماطلته وعلم بمرض الدانشمند انتهز الفرصة، وجهز جيشه واستولى بالقوة على مدينتي أبلستين^(٤) وزيطرة^(٥). وحينما استرد الدانشمند صحته عزم على الانتقام من خصمه واستعادة المدن التي سلبها منه أثناء مرضه^(٦).

ولما عرف قليج أرسلان بقدوم الدانشمند إليه أدرك أنه لا طائل له بالقوات التي زحفت إليه، فأمر جيشه بالانسحاب من المدن الدانשמندية فعادت من جديد إلى حوزة الدانشمنديين^(٧).

واصل الدانشمند زحفه إلى ملطية التي كانت آنذاك خاضعة للأمير جبريل الأرمني وحاصرها عدة سنوات، وفي سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م عُقد اتفاق بين الدانشمند

(١) أقسراشي: مسامرة الأخبار، ص ٢٧.

(٢) حمدالله مستوفي: تاريخ كزيدة، ص ٤٧٤؛ ميرخواند: روضة الصفا، طهران ١٣٣٩ هـ، جلد چهارم، ص ٣٥٣؛ خواندمير: حبيب السير، جلد دوم، ص ٥٣٨.

(٣) أقسراشي: مسامرة الأخبار، ص ٢٧.

(٤) نفسه، ص ٢٨.

(٥) زِبْطَرَة: حصن مشهور يقع جنوب ملطية بينها وبين مدينة سميساط، ويقال له عند الروم (سوزبطرة Sozopetra). ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٣١؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٥٣.

(٦) أقسراشي: مسامرة الأخبار، ص ٢٨.

(٧) أقسراشي: مسامرة الأخبار، ص ٢٨؛ حسين حسام الدين: تاريخ أمليسا، ج ٢، ص ٢٩٥.

وحاكم ملطية جبريل الأرمني^(١) تعهد فيه الأخير بدفع جزية سنوية، ووافق كذلك على بقاء حامية دانشمندية ترابط بالقرب من ملطية^(٢). ولكن مصير هذه الحامية بات مهدداً بالخطر على إثر وصول قوات سلجوقية بقيادة السلطان قليج أرسلان الذي حاول أن يستغل الوقت، ويدخل ملطية بطريقة سلمية قبل عودة منافسه الدانشمند إليها، حيث أرسل السلطان أحد أقربائه ويدعى الفارج Al Faridg سفيراً إلى مطران المدينة سعيد بن صابوني، وجرى المفاوضات بينهما ولكن دون نتيجة^(٣).

أخذ الجيش السلجوقي يحاصر ملطية، وأثناء ذلك وصل الدانشمند من سيواس على رأس جيشه، فتدخل وعقد الصلح بين الجانبين السلجوقي والأرمني. ولقد أشار أحد^(٤) المؤرخين إلى أن السلطان قليج أرسلان أعطى بعد ذلك الأوامر إلى قواته بالانسحاب من ملطية وذلك حينما علم بدخول الصليبيين إلى الأناضول. ونفهم من سياق هذه الرواية بأن الصراع على ملطية ظل قائماً بين الدانشمند وقليج أرسلان حتى اتفقا على اتحاد قوتيهما معاً في جبهة واحدة لصد العدوان الصليبي الذي اجتاحت مناطق نفوذهما داخل الأناضول سنة ٤٩٠هـ / ١٠٩٧م^(٥). وكان من نتيجة هذا التحالف سحب قواتهما عن ملطية وبقائها في الأناضول حتى سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م حيث اشتركتا معاً في دحر قوات الحملة الصليبية اللومباردية خلال هذا العام^(٦).

ثم عاود كل من الدانشمند والسلطان السلجوقي الهجوم على ملطية، وكان الدانشمند هو السباق إلى ذلك إذ تمكن من فرض سيادته عليها سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م^(٧). ويبدو أن الدانشمند قصد بهذا العمل استفزاز السلطان

1) Anna Comnena: The Alexiad. P.210.

2) Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend. tome.I. P.81.

3) Michel le Syrien: Extrait de Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.179.

٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٢٢.

٥) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ١٣٤.

٦) Radulph of Caen: Gesta Tancredi. P.616.

6) Setton: A History of the Crusades. V.II. P.356.

7) Michel le Syrien: Extrait de Chronique de Michel le Syrien V.3. P 192

٧) ابن الشحنة: الدر المنتخب، ص ١٩٧.

السلجوقي بعد توتر العلاقات بينهما بسبب إطلاق الدانشمند سراح أمير انطاكية بوهمند^(١).

وقد قام السلطان بتحريض الخلافة العباسية، وكذلك السلطات السلجوقية في فارس ضد الدانشمند متهماً إياه بالتعجل والانفراد في اتخاذ قرار الإفراج عن بوهمند^(٢).

ولما رأى السلطان أن دعوته ضد الدانشمند لم يكن لها صدى يذكر في بغداد وفارس أسرع بإعلان الحرب عليه، وخرج من قونية على رأس جيشه وهو يتظاهر بأنه متجهاً إلى انطاكية لتحريرها من السيطرة الصليبية، وعندما اقترب من مرعش التقى بالقوات الدانشمندية التي يبدو أنها خرجت من ملطية إلى هذه الناحية للتجسس على قوات السلطان، وقد جرى بينهما قتال شديد في شهر ذي القعدة سنة ٤٩٦هـ / ١١٠٣م انتصرت فيه قوات السلطان، وتكبدت القوات الدانشمندية خسائر فادحة^(٣).

ولكن على الرغم من ذلك فإن السلطان لم يحاول أن يستغل هزيمة الدانشمند ويهاجم ملطية، ويواصل زحفه في الوقت نفسه إلى انطاكية، مما يجعلنا نقول بأن مدينة انطاكية لم تكن هي الهدف الحقيقي لحملته الذي كان قد أعلنه عند خروجه من عاصمته قونية، بل إن السلطان اتجه بقواته إلى الشام، وأرسل مبعوثاً إلى رضوان بن قتش السلجوقي حاكم حلب^(٤) يلتمس منه تزويده ببعض المؤن والعتاد^(٥).

ولما علم السلطان بوفاة الدانشمند سنة ٤٩٩هـ / ١١٠٤م^(٦) اتجه إلى

(١) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ١٣٨ - ابن الأثير: الكامل، ج ١، ص ٣٠٠.

(٢) Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend. tome.I P 101.; Grousset: Histoire des Croisades. V.I. P.398.

(٣) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ١٤٢.

(٤) حلب: إحدى مدن بلاد الشام (الأديسي: نزعة المشتاق، ج ٢، ص ٦٤٣). وتبعد حلب الآن مسافة (٣٥٠ كلم) نحو الشمال عن العاصمة السورية دمشق، انظر: (أكرم وفؤاد الساطع: الدليل الأخضر، دمشق ١٩٧٥م، ص ٨٢).

(٥) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ١٤٢.

(٦) Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.256; Laurent Joseph: Sur les Emire Danichmendites Jusguen 1104. P.172.

ملطية فحاصرها في نفس العام الهجري/ ٢٨ حزيران ١١٠٥م، وأقام المنجنقيات على البرج المدور الذي يقع في الناحية الشمالية الشرقية منها. وخاض معركة حاسمة أحرز فيها نصراً جديداً على الدانشمندان، ودخل مدينة ملطية، ومنع جنوده من إلحاق أي أذى بالمواطنين^(١).

وأغلب الظن أن أمير ملطية الدانشمندي ياغي سيان (أغوسيان) لقي حتفه في هذه المعركة. فقام أحد أعيان المدينة ويدعى باسيلج بترأس الجانب الدانشمندي خلال المحادثات التي جرت مع السلطان السلجوقي قليج أرسلان بشأن تسليم ملطية إليه مقابل ضمانه لسلامة اتباع الدانشمندان أثناء خروجهم منها^(٢).

ولما توفي السلطان قليج أرسلان سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٧م^(٣) دب النزاع بين ابنائه الأربعة، وسعى كل واحد منهم إلى الاستقلال بجزء من سلطنة أبيه فكان أصغرهم طغرل أرسلان لحظة وفاة أبيه في ملطية فتتمت مبايعته سلطاناً عليها، في حين يبيع مسعود سلطاناً في قونية، وإيقن هذا أن نجاحه مرهون بمساندة أمير سيواس غازي بن الدنشمند له، وكان الأميران مسعود وغازي يعيان أن مصالحهما المشتركة تفرض عليهما وحدتهما، وعزز اتفاقهما زواج مسعود من إحدى بنات الأمير غازي، فازدادت قوتهما خلال السنوات التالية مما أتاح لهما التحكم بأمور الأناضول^(٤).

وحينما جرى إطلاق سراح ملكشاه بن قليج أرسلان من سجنه في بغداد سنة ٥٠٣هـ / ١١٠٩م استطاع أن يستولي على السلطة في قونية بعد أن زج بأخيه مسعود في السجن^(٥).

1) Michel le Syrien: Extrait de Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.192.

□ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٢٨.

2) Michel le Syrien: Extrait de Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.192.

٣) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ١٥٧. ؛ ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٤٣٠. ؛ ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ١٧.

٤) خواندمير: حبيب السيرة، ص ٥٣٩.

□ Chalandon: Les Comnene II. PP.42-44.; Cahen: La Syrie du Nord au Temps des Croisades. P.349.

٥) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ١٥٨. ؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٣٢.

أثار تصرف ملكشاه إزاء أخيه مسعود غضب الأمير غازي بن الدانشمند فما كان منه إلا أن قام بشن عدة هجمات على ملطية^(١). وكان هدف الأمير غازي من وراء ذلك إما الضغط على السلطان ملكشاه لإجباره على إطلاق سراح صهره مسعود، أو أنه بات يخطط لاستعادة ملطية فسعى إلى إثارة القلاقل والفتن بداخلها حتى تسهل له عملية السيطرة عليها. ولقد بدأت حملات الأمير غازي على ملطية تؤتي ثمارها إذ أنها أجبرت السلطان ملكشاه على اللجوء إلى القسطنطينية وطلب النجدة من البيزنطيين. وخلال فترة غيابه نجح أمير سيواس غازي بن الدانشمند وبعض أعيان ملطية في إخراج مسعود من سجنه، وباعوه مكان أخيه. وحينما عاد ملكشاه من العاصمة البيزنطية وقع في كمين نصبه له أخوه مسعود بالتعاون مع الأمير الدانشمندي، فأمر مسعود بسمل عينيه^(٢).

تحرك السلطان مسعود سنة ٥١٠هـ / ١١١٦م إلى قونية واتخذها عاصمة له^(٣)، فقام أخوه الأصغر طغرل أرسلان وأحكم قبضته على ملطية^(٤). وبهذا أصبح لسلاجقة الأناضول سلطانان أحدهما في قونية، والآخر في ملطية. وكان أخوهما عرب قد فضل البقاء إلى جانب طغرل أرسلان في ملطية. ولهذا السبب أشارت إحدى^(٥) الروايات إلى أن عرباً كان هو سلطان ملطية حينما حاصرها أمير سيواس غازي بن دانشمند سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م. أفاد الأمير غازي من هذه الاضطرابات التي وقعت بين أمراء السلاجقة في الأناضول وبتأييد من صهره وحليفه السلطان مسعود تمكن غازي من استعادة ملطية. وقد حاول أميرها طغرل أرسلان أن يستنجد بالصلبيين، وبالفعل تلقى منهم وعداً بمساعدته نظير مبلغ من المال لكنهم لم ينفذوا وعدهم بسبب انشغالهم وقتذاك

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٣٢.

2) Michel le Syrien: Extrait de Chronique de Michel le Syrien. V.3. PP.194-195.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٣٢. + الأدرنوي: نخبه التواريخ والأخبار، ص ٢٣.

4) Osman Istan Seleuklular Zamanında Turkiye Tarihi. P.152.

(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤٠.

في حصار مدينة حلب^(١).

ولذا لم يكن أمام طغرل أرسلان الذي أصبح حاكماً غير مرغوب فيه لدى سكان ملطية بسبب سوء معاملته لهم إلا الفرار كي ينجو بنفسه تاركاً مدينته تواجه مصيرها المحتوم. ففتح الأهالي أبواب مدينتهم أمام القوات الدانشمندية وبذلك عادت ملطية إلى حوزة الدانشمنديين بعد أن ظلت حوالي ثمانية عشر عاماً (٤٩٩-٥١٨هـ / ١١٠٥-١١٢٤م) في قبضة السلاجقة^(٢).

وبعد سقوط ملطية بيد الأمير غازي انصرف لمواصلة فتوحاته في وادي الفرات الأعلى جنوب شرقي الأناضول، فانتهاز الأمير السلجوقي عرب بن قليج أرسلان فرصة ابتعاد غازي وأعلن الحرب على أخيه السلطان مسعود في قونية حيث اتهمه بالخيانة لموازرتة صهره غازي أثناء هجومه على ملطية. وعندما وصلت قوات عرب إلى قونية بحث السلطان مسعود عن حليفه غازي الذي كان وقتئذ بعيداً عنه فلم يجد مناصاً سوى اللجوء إلى القسطنطينية^(٣).

وكان بعض أمراء الأناضول الذين يخشون من طموحات الأمير غازي والسلطان مسعود قد التفوا حول عرب إبان هجومه الأخير على أخيه^(٤). استقبل الإمبراطور البيزنطي حنا كومنين (٥١٢-٥٢٨هـ / ١١١٨-١١٤٣م) السلطان مسعود أحسن استقبال لأن هذا من شأنه استمرار الانقسامات بين قوى الأتراك المسلمين داخل الأناضول^(٥).

عاد السلطان مسعود من العاصمة البيزنطية، واتجه صوب سيواس، وقابل

1) Chalandon: Les Comnène II. P.78.; Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.93; Brehier Louis: The Life and Death of Byzantium. V 5. P.224.

٢) الخلفاء العباسيون والحروب الملبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ٦٩. ابن العربي: تاريخ الزمان، ص ١٤٠.

٣) Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende P.479.

3) Michel le Syrien: Extrait de Chronique de Michel le Syrien. V 3. P 223

٤) ابن العربي: تاريخ الزمان، ص ١٤١.

٥) Cahen: Pre-ottoman Turkey P.93 Ischner Louis: The Life and Death of Byzantium. V 5 P 224

4) Chalandon Les Comnène II. P 79

5) Michel le Syrien: Extrait de Chronique de Michel le Syrien V 3 P 223

حليفه الأمير غازي، فساروا معاً وهزما قوات الأمير عرب^(١). ومكان هذه المعركة غير معروف ولكن يحتمل أنها جرت قرب مدينة ملطية في جنوب شرقي الأناضول لأن بعض^(٢) المؤرخين أشاروا إلى أن الأمير عرباً حينما انهزم لاذ بالفرار ناحية قليقية (ارمينية الصغرى) ولجأ عند أميرها ثوروس الأرمني (٤٩٤-٥٢٤هـ / ١١٠٠-١١٢٩م).

وفي صيف عام ٥٢١هـ / ١١٢٧م استأنف عرب القتال بمساعدة عدد من الزعماء الأتراك والأرمن، ونصب كميناً للقوات الدانشمندية وقع فيه الأمير محمد بن غازي ولي عهد أمير سيواس فقبض عليه، وهرع ابنه يونس بن محمد أمير مسارا (المنشار) لنجدة أبيه فهاجم عرباً لكن يونساً انهزم ووقع في الأسر^(٣).

رفع هذا النصر الذي أحرزه الأمير عرب من معنوياته بشكل كبير فزحف ناحية الأمير غازي وهزمه في أول الأمر، وأجبره على التراجع، لكن غازياً مالبث أن جمع شتات قواته، وصعد بها فوق ربوة مرتفعة، ونصب فيها معسكره ونفخ في الأبواق، وكان عرباً قد هزم، وفعلاً تبددت قواته واخذ غازي يتعقبهم فاستولى على خيولهم وخيامهم واستمات غازي في الحرب حتى استولى على كوماننا وانقرة وخلص ابنه محمداً وحفيده يونس بعد أن بقيا في الأسر بين أيدي قوات عرب^(٤). وتشير هذه الرواية بوضوح إلى أن مسرح الحرب بين قوات كل من غازي وعرب كان في المنطقة الشمالية من الأناضول^(٥).

ويظهر أن هذه الإخفاقات المتكررة التي تعرض لها الأمير عرب لم تثن من عزيمته فقد أصر على الاستمرار في القتال حتى يثار لنفسه أو يلقي حتفه، فاستولى على إحدى القلاع الدانشمندية التي كان بها الأمير الدانشمندي ياجان بن غازي، وقد أغضب عمله هذا الأمير غازي، فجمع قواته وهاجم عرب^(٦)، الذي

1) Brehier Louis: The Life and Death of Byzantium. V.5. P.224.

2) Michel le Syrien: Op. Cit. P.223.

□ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤١.

3) Michel le Syrien: Op. Cit. P.223.

4) Michel le Syrien: Extrait de Chronique. V.3. P.224.

□ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤١.

5) Chalandon: Les Comnene II. P.80.

6) Michel le Syrien: Extrait de Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.224.

اضطر في النهاية إثر هريمتين متتاليتين إلى التحلي عن عدائه مما أتاح انتصار غازي عليه، ولجأ عرب إلى الإمبراطور البيزنطي حنا الثاني كومنين، وبذلك سار على غرار ما فعله أخواه ملكشاه ومسعود من قبل وتوفي عرب في القسطنطينية^(١).

وإثناء انشغال الأمير غازي في حروبه داخل الأناضول ضد الأمير السلجوقي عرب، حاول سلطان ملطية المخلوع طغرل أرسلان استعادة ملطية من سيطرة الأمير غازي فقصدها سنة ٥٢٢هـ / ١١٢٨م، ولكنه لم يتمكن من دخولها حيث توقف عند أطرافها الخارجية ثم بادر بالانسحاب عنها^(٢).

ورغم أن السلطان مسعود بعد هذه الحروب المتواصلة قد عاد إلى قونية بفضل مساعدة صهره وحليفه الأمير غازي فإنه ظل خاضعاً لنفوذ الدانشمنديين حيث أصبح للأمير غازي اليد الطولى في المناطق التركية داخل الأناضول باستثناء قونية وما حولها التي تركها لصهره مسعود^(٣)، وبذلك تقلصت أراضي سلطنة سلاجقة الروم وأصبحت تحت الوصاية الدانشمندية^(٤).

وفي الواقع أن تحالف الأمير غازي ومسعود لم يكن محصوراً ضد أبناء قليج أرسلان فحسب بل غدا في بعض مراحله موجهاً ضد البيزنطيين، وذلك عندما سمعا بتجدد الخلاف بين الإمبراطور حنا كومنين وبعض الثائرين خلال سنتي (٥٢٥ - ٥٢٦هـ / ١١٣٠ - ١١٣١م) فساراً معاً حتى وصلا إلى البحر الأسود، وحاصرا قلعة زينين Zinin لكنهما فشلا في احتلالها^(٥).

ولما توفي الأمير غازي بن الدانشمند في ملطية سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٥م، وتولى الحكم من بعده ابنه الأمير محمد، عقد الإمبراطور البيزنطي حنا كومنين اتفاقاً

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤١.

□ Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.169.; Cahen: la Syrie du Nord au Temps des Croisades. P.349.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤٢.

□ Chalandon: Les Comnene II. P.80.

3) Michel le Syrien: Extrait de Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.227.

لـ ميرخواند: روضة المفاء، ص ٣٥٤ - خواندمير: حبيب السير، جلد دوم، ص ٥٣٩.

(٤) زبيدة عطا: الترك في العصور الوسطى، ص ٨٦.

5) Michel le Syrien: Extrait de Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.233.

مع السلطان السلجوقي مسعود، وبذلك تمكن الإمبراطور من تقويض أركان التحالف الذي كان قائماً بين سلطان قونية وبين الأمير الدانشمندي الراحل.

أدرك أمير سيواس محمد بن غازي أن قواته لن تتمكن من مواجهة السلاجقة والبيزنطيين معاً، فأخذ يتودد للسلطان مسعود، واتفقا على نبذ خلافاتهما والاتحاد سوياً ضد البيزنطيين^(١). وثمة من يرى بأن الأمير محمد قد تعهد للسلطان مسعود بالتنازل له عن بعض البلدان السلجوقية وهي أنقرة وكومانا وجانجرا التي كان الدانشمنديون قد انتزعوها من أخيه الأمير عرب بن قليج أرسلان^(٢).

بقيت العلاقات بعد ذلك سلمية بين السلطان السلجوقي والأمير محمد بن غازي، ويبدو أنها استمرت على هذه الحال بقية عهد هذا الأمير الدانشمندي إذ أن السلطان مسعود قد استجاب سنة ٥٣٥هـ / ١١٤٠م لدعوة تلقاها من الأمير محمد يناشده فيها بتقديم معونات عسكرية إليه من أجل التصدي للقوات البيزنطية التي حاصرت آنذاك مدينة نيكسار^(٣).

وبعد وفاة الأمير محمد سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م لم تعد العلاقات بين السلاجقة والدانشمنديين بالشكل الذي كانت عليه قبل ذلك حيث أن السلطان مسعود بات ينظر إلى التحالف الذي قام وقتئذ بين ياغي بسان بن غازي (٥٣٧-٥٦٠هـ / ١١٤٢-١١٦٤م) الذي خلف الأمير محمد على سيواس وبين أخيه عين الدولة أمير ملطية على أنه موجه ضده في المقام الأول، فشن حملة على سيواس وأجبر ياغي بسان على الفرار ناحية أحد الجبال القريبة، وبقي حتى تأكد من رحيل السلطان بقواته عن سيواس^(٤). وهناك سبب آخر لهجوم السلطان على العاصمة الدانشمندية ذلك أنه بعد تولي ياغي بسان مقاليد الحكم فيها نشب بينه وبين ابن أخيه ذي النون بن محمد ولي العهد إبان حكم أبيه خلاف حاد، فرأى

1) Cinnamus: Epitome Historiarum. (Trans. by Charies Brand. New York 1976.) PP.20-21.

2) Mokrimin H. Yinang: Danismendliler. in: Islam Encyclopedia. Cilt.3. P.471.; Osman Turan: Selduklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.176.

٣) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٧٩.

4) Michel le Syrien: Extrait de Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.254.

السلطان أن مصلحته تقتضي التدخل وبشكل سريع على أساس أنه حليف للأمير ذي النون إلا أنه في الواقع كان يرغب في استعادة مناطق أنقرة وجانجرا وقسطنطيني وكومانا وغيرها من أملاك أخيه عرب التي سلبها الدانشمنديون منه، حيث أن الأمير محمد مات قبل أن يوف بوعده الذي سبق أن التزم به للسلطان في تسليمه هذه البلاد، فمضى السلطان إلى سيواس وجعل ياغي بسان ينسحب إلى الخلف وتمكن من استعادة بعض هذه المدن التي كان قد وضعها نصب عينيه وعين ابنه شاهنشاه والياً عليها^(١).

ويذكر حسين حسام الدين^(٢) أن السلطان مسعود أثناء زحفه لمحاربة ياغي بسان استمال والي أنقرة كودول بك الذي كان زوجاً لاخت السلطان. ويدلنا قيام السلطان باستمالة صهره والي أنقرة على أن هذه المدينة كانت وقتئذ تحت سيطرة الدانشمنديين ثم اسند إليه قيادة جزء من قواته، وأرسله إلى أماسيا بحجة مساعدة الأمير ياغي بسان.

وبعد أن استولى السلطان على سيواس وقيصريّة قدم إلى أماسيا وبني فيها سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٣م مركز سمارة Samara^(٣). ولقد أكدت بعض المصادر العربية^(٤) بأن السلطان السلجوقي مسعود قد استولى على أكثر البلاد الدانشمندية بعد وفاة الأمير محمد بن غازي بيد أنها لم تشر إلى أسماء هذه البلاد.

ويرى الباحث أن السلطان لم يستطع السيطرة على مناطق عديدة من أملاك الدانشمنديين حسبما أشارت إليه هذه المصادر، ولكن يبدو أنه استعاد فعلاً

1) Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.96.; Mokrimin H.: Danismendliler. in: Islam Encyclopaedia. Cilt.3. P.472.

[] رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٢٧.

٢) تاريخ أماسيا، ج ٢، ص ٣٢٣.

٣) منجم بلشي: منجم بلشي تاريخي، ص ٥٦٠. + الأدرنوي: نخبة التواريخ والأخبار، ص ٢٣.

[] Van Hammer: Osmanli Devleti Tarihi. P.45.

٤) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٩٢. + أبو الفدا: المختصر، ج ٢، ص ١٦. + ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ١٩٠.

الأملاك التي كانت بحوزة أخيه عرب، وهي مدن أنقرة وجانجرا وقسطموني التي تعود ملكيتها أصلاً للسلاجقة وذلك منذ عهد والد مسعود السلطان قليج أرسلان الأول.

ونعتقد أن السلطان مسعود لو أنه استطاع بالفعل السيطرة على أكثر البلاد الدانشمندية لأصبح في موقف قوي يتفوق به على خصمه ياغي بسان فلماذا أسرع إذاً بالعودة من سيواس فور دخوله إليها؟، واتجه مباشرة إلى ملطية (٥٣٨هـ / ١٧ حزيران ١١٤٣م)^(١) وطلب من أميرها عين الدولة بن غازي أن يأتي إليه ويعترف بسيادته وقد مناه بزيادة أقطاعه^(٢).

ونعتقد أن السلطان كان يسعى إلى إنكاء نيران الفتنة بين الأخوين أميرى ملطية وسيواس في محاولة منه لتقويض الاتفاق الذي كان منعقدًا بينهما، حيث فرض حصاراً على ملطية^(٣)، وصوب إليها المتاريس كما لو كان على وشك الهجوم عليها. وطيلة فترة هذا الحصار كان الأمير عين الدولة يُنكّل بالسكان ويطالبهم بدفع الأموال لصرفها على المحاربين، وبعد أن قضى السلطان ثلاثة أشهر وهو يحاصر ملطية قام فجأة بإحراق المجانيق التي نصبها حول أسوارها وانسحب عنها دون حرب^(٤).

ويظل انسحاب السلطان المفاجئ من ملطية رغم حصاره لها أمراً لافتاً للنظر. ولابد أن هناك بعض الدوافع التي جعلته يقدم على ذلك، ومن أبرزها تسرب معلومات تفيد بقيام تحالف عسكري بين كل من أمير سيواس ياغي بسان وأخيه عين الدولة صاحب ملطية من جهة، وبينهما وبين الإمبراطور

1) Michel le Syrien: Extrait de Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.254.

2) Michel le Syrien: Extrait de Chronique. V.3. P.254.

٣) العظيمي: تاريخ العظمي، ص ٤٢٢.

□ Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P 51.

4) Michel le Syrien: Extrait de Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.254.

□ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٥٦.

البيزنطي مانويل من جهة أخرى. وذلك لضرب السلطان مسعود أثناء قيامه بحصار ملطية، ولقد أكد الإمبراطور البيزنطي نفسه ذلك التحالف عبر خطاب أرسله إلى السلطان مسعود حذره فيه من استمرار تهديده للدانشمنديين^(١). وقد رجح رنسيمان^(٢) أن ذلك التحالف قد تم بمقتضى معاهدة عقدت سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٣م، وهو نفس العام الذي وقع فيه ذلك الحصار.

ومنذ سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م خاض السلطان مسعود حروباً ضد القوات البيزنطية شغلته عن مواصلة حملاته التوسعية داخل بلاد الدانشمنديين^(٣)، وقد استمر الوضع هكذا حتى قدوم الحملة الصليبية الثانية إلى الأناضول سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م وعندما أدرك السلطان أنه ليس باستطاعته الوقوف وحده أمام القوات الصليبية أثناء اجتياحها وسط الأناضول فاضطر أولاً إلى مصالحة الإمبراطور البيزنطي مانويل (٥٣٨ - ٥٧٦هـ / ١١٤٣ - ١١٨٠م)^(٤)، ثم راح يستنجد بالقوى الإسلامية داخل الأناضول.

ولقد حتمت هذه الظروف العصيبة على الدانشمنديين في سيواس ضرورة تجاهل خلافاتهم السابقة مع السلطان، وتكوين جبهة إسلامية متحدة بقيادة السلطان مسعود نفسه، تمكنت من التصدي للجيش الصليبي والحققت بها خسائر فادحة^(٥).

1) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.39; Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.481.

٢) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٤٢٦.

3) Cinnamus: Epitome Historiarum. PP.37-38; Vasiliev: History of the Byzantine Empire. V.I. P.417.

4) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.58; Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P.121.

5) William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.2. P.167.

وقد اثمر عن ذلك التحالف بقاء العلاقات سلمية بين اداشمنديين والسلاجقة حيث شهدت جبهات القتال بينهما هدوءاً نسبياً دام حتى سنة ١١٥٧هـ/ ١١٥٢م حينما تدهورت العلاقات بينهما بشكل مفاجئ عند وفاة أمير ملطية عين الدولة بن غازي وتولي ابنه ذوالقرنين مكانه^(١). فحينئذ أرسل أمير سيواس ياغي بسان إلى ابن أخيه ذي القرنين ووالدته السلجوقية يطلب منهما المحافظة على ملطية، وعدم قبول الحماية السلجوقية التي من المحتمل أن يعرضها السلطان مسعود منتهزاً وجود ابنة أخيه والدة الأمير ذي القرنين في قصر الإمارة، ولاحتمال قيام السلطان بشن غارة على ملطية نقل الأمير ذو القرنين الماشية والخيول إلى مناطق نفوذ عمه أمير سيواس، ولما عرف السلطان اتفاقهما جمع عسكره، فقصده ياغي بسان، فلما رأى هذا الأمير كثرة أفراد الجيش السلجوقي أسرع بتقديم فروض الطاعة للسلطان، وعاهده بأن يتراجع عن مساندة ابن أخيه في ملطية. وعلى هذا الأساس عاد السلطان من سيواس، وأمر قواته بأن تتجه مباشرة إلى ملطية وأذن لجنوده بتخريب القرى المرتبطة بها وإشعال النيران فيها^(٢).

وكان أمير ملطية ذوالقرنين لا يزال طفلاً حيث كانت أمه تقوم بالوصاية عليه^(٣). وعندما احتشدت القوات السلجوقية قرب أسوار ملطية خرجت والدته ذي القرنين إلى عمها السلطان مسعود تستعطفه على ابنها، وأخذت تُقِيلُ قدميه، وتطلب منه أن يترك ابنها على ملطية. فوافق السلطان على طلبها^(٤). ورغم ذلك فإن قوات السلطان ظلت ترابط في النواحي القريبة من ملطية، وفي أحد الأيام سمح السلطان لجنوده بالهجوم على قرى ملطية فأُسرعوا إلى نهب قلوذية^(٥)، واعتدوا على رهبان دير بيت حنيش، فاشتكى الرهبان أمرهم

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٦٧.

(٢) Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P 51.

(٣) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١٠٥. ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٦٧.
3) Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P 51; Schlumberger: Une Nouvelle Monnaie à Légende Grecque Emirs Danischmendides de Cappadoce. P.7.

(٤) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١٠٥. ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٦٧.

(٥) قلوذية: حصن كان يقع بالقرب من ملطية (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٩٢).

إلى السلطان وطلب من أتباعه أن يكفوا عنهم ويردوا إليهم ما اغتصبوه منهم. فعاد الرهبان إلى الدير^(١).

وفي ذلك الوقت جرت مصالحة بين كل من ياغي بسان والسلطان مسعود اثمرت عن مصاهرة سياسية بين البيتين الدانشمندي والسلجوقي، فقد زف السلطان ابنته إلى الأمير ياغي بسان، وقد ذكر أبو الفرج بن العبري^(٢) بأن هذه المصاهرة قد تمت سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م.

وبعد هذه المصاهرة اتفقا على مهاجمة حاكم أرمينية الصغرى ثوروس الثاني^(٣) (٥٤٠ - ٥٦٤هـ / ١١٤٥ - ١١٦٨م)^(٤) وذلك انتقاماً منه لقيامه بشن هجوم على أملاك ياغي بسان داخل إقليم كبادوكيا^(٥). ولكن عند وصول القوات الدانشمندية والسلجوقية إلى أرمينية وجدوا أن الأرمن قد بادروا إلى تحصين بلادهم حيث أقاموا حراساً عند جميع المداخل، فأصيب أفراد الجيش الإسلامي التركي باليأس - على حد قول ابن العبري^(٦) - لصعوبة اقتحام بوابات أرمينية ولم يكن أمامهم خيار سوى العودة إلى بلادهم.

لم يستمر التحالف الدانشمندي - السلجوقي طويلاً إذ سرعان ما فسدت العلاقات بينهما على إثر وفاة السلطان مسعود ٥٥٠هـ / ١١٥٥م^(٧) حيث اندلع القتال

(١) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١٠٥.

(٢) تاريخ الزمان، ص ١٦٨.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

□ Mokrimin H: Danismendliler. in: Islam Encyciopedia. Cilt.3. P.472.

(٤) كان ثوروس الثاني مسجوناً لدى البيزنطيين ولكن الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنين أفرج عنه سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٣م وقربه إليه، إلا أن الأمير ثوروس استطاع الهروب من القسطنطينية إلى قبرص ومنها اتجه إلى أنطاكية حيث عقد حلفاً مع الأمراء ورجال الدين فسهلوا له الأمور وأمدوه بالأسلحة ومكنوه من الوصول إلى أرمينية الصغرى باسم مستعار، فتمكن من إعادة تأسيس الدولة الأرمنية من جديد سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م بعد أن ظلت خاضعة فترة من الزمن لسيطرة البيزنطيين. وفي أواخر حياته قام ثوروس بتنصيب ابنه الصغير روبين الثاني خلفاً له إلى أن توفي سنة ٥٦٥هـ / ١١٦٩م. (عاطف بطرس: الأرمن وعلاقتهم بالبيزنطيين والإسلاميين، ص ٢٨٥، ٢٨٨).

(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٦٨.

(٦) المصدر نفسه والصفحة.

(٧) حدث اختلاف بين المؤرخين حول وفاة السلطان مسعود، حيث رأى ابن القلانسي أنه توفي سنة (١١٥٥هـ / ١١٥٥م) وهذا المؤرخ معاصر للسلطان مسعود، لذا نعتقد أنه هو الأرجح (نيل =

بين الدانشمنديين وبين ابنه وخليفته قليج أرسلان (٥٥٠هـ / ١١٥٨هـ - ١١٩٢م) وسبب ذلك أنه بعد وفاة السلطان مسعود وقع خلاف بين أولاده (١)، حيث خاف شاهنشاه بن مسعود من بطش أخيه قليج أرسلان فهرب من قونية إلى أطراف أنقرة وجانجرا اللتين منحتا له في حياة أبيه (٢). وقد تدخل أمير سيواس ياغي بسان بن غازي في الصراع الداخلي الذي نشب بين أبناء السلطان مسعود عندما أعلن وقوفه إلى جانب صهره شاهنشاه ضد أخيه قليج أرسلان (٣). كذلك انتهز الأمير الدانشمندي ياغي بسان فرصة قيام قليج أرسلان بطرد بعض رجال بلاط أبيه وكون منهم جبهة معارضة ضده (٤). ولقد ضمت هذه الجبهة إلى جانب هؤلاء كل من أمير ملطية ذي القرنين وحاكم قيصرية دي النون وأخيه الأمير إبراهيم بن محمد (٥)، وتمكن قائد هذه الجبهة الأمير ياغي بسان من حشد قوات كبيرة زحف بها إلى الأراضي السلجوقية فهاجم مدينة ليكاندوس Lycandos (٦). إلا أن الحرب لم تقم لتدخل العلماء والشيوخ اللذين عقدوا صلحاً بين الجانبين (٧). ولكن يبدو أن ذلك الصلح كان شكلياً إذ مالبت ياغي بسان أن عاود هجومه مرة أخرى على المناطق السلجوقية ونشبت بين الجانبين معركة في موضع يعرف بأقصرا (٨) وذلك في شعبان ٥٥٠هـ / أكتوبر ١١٥٥م انتصر فيها الجيش السلجوقي (٩).

= تاريخ دمشق، ص ٣٣٢). وقال آخرون أن وفاته كانت سنة (٥٥١هـ / ١١٥٦م) (ابن الأثير:

الكامل، ج ١١، ص ٢١٠)؛ (ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٣٢٤).

(١) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ٣٣٢.

(٢) رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٢٨.

3) Turk Ensiklopedisi. Cilt XII. P.274.

(٤) محمود عمران: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٠٠.

5) Mokrimin H.: Danismendliler. in: Islam Encyciopedia. Cilt.3. P.472.

(٦) محمود عمران: السياسة الشرقية، ص ٢٠١.

7) Mokrimin H.: Danismendliler. in: Islam Encyciopedia. Cilt.3. P.472.

□ رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٢٨.

(٨) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ٣٣٢.؛ العيني: عقد الجمان، ج ١٣، ورقة ٨٩ (١).

(٩) ابن الغرات: تاريخ الدول والملوك، ج ٣، ورقة ٨٦ (١).

ويرى بعض الباحثين^(١) بأن هذه الحرب جرت بتشجيع من الأتابك نورالدين محمود الذي نهض في هذه الأثناء للاستيلاء على بعض أراضي سلطنة سلاجقة الأناضول الواقعة داخل حدود بلاد الشام.

ولم يرد في المصادر^(٢) التي ساقته هذه الحادثة ما يدل على أن نورالدين قام بتحريض الدانشمنديين لقتال السلاجقة رغم أنها تطرقت إلى قيام نورالدين بالهجوم على أملاك السلاجقة حيث استولى على مدن دلوک^(٣) وکيسوم^(٤) ومرعش وعين تاب^(٥) دون حرب، ولكن السلطان السلجوقي قلیج أرسلان يعد أن فرغ من قتال الدانشمنديين أرسل إليه يعاتبه على ما فعل في بلاده فاعتذر نورالدين للسلطان وبادر في شهر رمضان ٥٥١هـ / ١١٥٦م بالانسحاب عن المناطق السلجوقية التي كان قد استحوذ عليها، ويبدو أن ياغي بسان أراد أن يثار لهزيمته السابقة من السلاجقة في موقعة أقصرا حيث هاجم في العام التالي ٥٥١هـ / ١١٥٦م نواحي مدينة أبلستين إلا أنه أجبر على الانسحاب منها والعودة إلى سيواس بعد وصول قوات السلطان قلیج أرسلان، وأعاد ياغي بسان الكرة مرة أخرى وهاجم السلاجقة إلا أن العلماء والشيوخ تدخلوا مرة أخرى وأصلحوا بين الطرفين^(٦).

ويرجح بعضهم^(٧) أنه ربما كان لتحرك القوات الأرمينية بقيادة الأمير ستيفن أخو ثوروس الثاني ملك الأرمن قرب حدود الأناضول الجنوبية دور كبير في

1) Stevenson: The Crusaders in the East. P.175.

١- رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٢٨.

٢- ابن القلائسي: نيل تاريخ دمشق، ص ٣٣٣، ٣٣٦-٣٣٧؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٦٩. العيني: عقد الجمان، ج ١٢، ورقة ٨٩ (١).

٣- دلوک: بلدة من نواحي حلب (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦١).

٤- کيسوم: قرية من أعمال سُميساط (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٩٧).

٥- عين تاب: قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية وهي الآن من أعمال حلب (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٧٦).

٦- رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٢٨. محمود عمران: السياسة الشرقية، ص ٢٠١.

٧- Mokrimin H.: Danismendliler. in: Islam Encyciopedia. Cilt.3. P.472.

7) Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.100.; Abdulhaluk Gay: Anadolunun Turklesmesinde Donum Noktas. P.36.

إنهاء ذلك الخلاف. إذ وجد الأمير ستيفن في الصراع الدانشمندي - السلجوقي فرصة للانتقام من السلاجقة الذين هاجموا إمارته مرتين في أواخر حكم السلطان السلجوقي مسعود، فهاجمت القوات الأرمينية بعض المدن السلجوقية إلا أنها فشلت في تحقيق كل أهدافها.

ويبدو أن السلطان السلجوقي قليج أرسلان تمكن خلال الصراع الأخير الذي خاضه ضد أمير سيواس ياغي بسان من استمالة بعض أمراء البيت الدانشمندي الذين كانوا وقتئذ يرتبطون بحلف قوي مع عمهم ياغي بسان، ولكن السلطان عمل على تفتيت هذه الوحدة الدانشمندية واستطاع في بادئ الأمر أن يستميل حاكم قيصرية الأمير ذي النون بن محمد^(١)، ثم اتجه بعد ذلك إلى أمير ملطية ذي القرنين بن عين الدولة وحصل السلطان على تأييد هذا الأمير^(٢) الذي يبدو أن والدته السلجوقية وهي - كما أشرنا - ابنة أخي السلطان قامت بالتأثير عليه فالغى تحالفه مع عمه أمير سيواس. وبذلك يكون السلطان قد نجح في تحقيق انتصارين مهمين في آن واحد، أولهما عسكري وثانيهما سياسي ضد خصمه ياغي بسان، على أن هذا لم يستمر لفترة طويلة فقد بذل ياغي بسان جهوداً كبيرة حتى تمكن سنة ٥٥٣هـ / ١١٥٨م من إفساد الود الذي كان سائداً بين ابن أخيه ذي النون وبين حليفه قليج أرسلان، فأعاد ياغي بسان ابن أخيه ذا النون مرة أخرى إلى جانبه^(٣).

ولقد ساعدت الظروف المحيطة بالسلاجقة والدانشمند على اشتعال الحرب بينهما في أواخر عام ٥٥٦هـ / ١١٦١م بعد وفاة ذي القرنين أمير ملطية وتولي ابنه ناصر الدين محمد الحكم من بعده^(٤) حيث قام أمير سيواس ياغي بسان باجتياح ملطية^(٥) وأعلن وصايته على أميرها الشاب محمد وهو حفيد أخيه عين الدولة^(٦). ولما كان السلطان قليج أرسلان لا يرضى باتساع أملاك خصمه ياغي

1) Mokrimin H: Danismendliler. in: Islam Encyclopaedia. Cilt.3. P.472.

٢) تماراتالبوت راييس: السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ص ٦٩.

3) Mokrimin H: Danismendliler. in: Islam Encyclopaedia. Cilt.3. P.472.

4) Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P 85.

5) Chalandon: Les Comnene II. P.457.

٦) رضوان نافذ وإسماعيل حققي: سيواس شهري، ص ٢٨.

بسان وازدياد نفوذه فإنه أقدم على محاربته لمنعه من الاستمرار في السيطرة على ملطية^(١). ويبدو أن السلطان كان وقتئذ يعتبر ملطية واقعة تحت الحماية السلجوقية على أساس أن أميرها ذا القرنين قد اعترف بذلك قبل وفاته وأعلن تأييده للسلطان، ولقد شن ياغي بسان هجوماً من ناحية سيواس على السلطان صادم من النجاح ما أجبره على أن يتنازل له عن مدينة أبلستين^(٢). ويبدو أن السلطان قليج أرسلان قد وجد نفسه مهدداً من جبهتين، الجبهة الدانشمندية في سيواس من الناحية الشمالية الشرقية، وجبهة الإمبراطور البيزنطي مانويل من الناحية الغربية الذي أخذ يعمل بسرعة للاستيلاء على بعض المقاطعات السلجوقية الصغيرة تمهيداً للقيام بحملة مقبلة واسعة النطاق حينما يبدأ القتال بين السلطان وأمير سيواس^(٣) وعندما أدرك قليج أرسلان أنه ليس باستطاعته أن يقوم بمحاربة مانويل وياغي بسان في وقت واحد، لهذا جنح إلى الصلح، وعرض على الإمبراطور إقامة معاهدة سلام بينهما^(٤). وبما أن السلطان هو الذي تقدم بهذه المبادرة فإن الإمبراطور قد قام بتحديد شروطها بما يتلاءم مع مصالحه، ومصالح حلفائه الدانشمنديين في سيواس. فقد كان من بين هذه الشروط شرط يجبر السلطان السلجوقي على الاعتراف بسيطرة أمير سيواس ياغي بسان بن غازي على مدينة أبلستين^(٥).

ومن أجل المصادقة على هذه المعاهدة قام السلطان قليج أرسلان أواخر عام ٥٥٧هـ / ١١٦١م (١١٦٢م) بزيارة إلى العاصمة البيزنطية^(٦) ويعزو أحد المؤرخين^(٧) هذه الزيارة إلى سبب آخر وهو أن السلطان السلجوقي قد سعى إلى طلب الحماية من الإمبراطور مانويل بعد أن اكتشف أن الأمير الدانشمندي

(١) محمود عمران: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٦٣.

2) Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P.122.

[١] رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٥٧٥.

(٣) تمارا تالبوت رايس: السلاجقة، ص ٧٠.

4) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.152.

5) Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.101.

6) Vasiliev: History of the Byzantine Empire. V.I P.427.

[٢] حسنين ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٢٩.

(٧) ابن العبري: تاريخ الزمان، د ١٧٥.

ياغي بسان ومعه أمراء آخرين من البيتين الدانشمندي والسلجوقي قد دبوا مؤامرة لازاحته عن السلطنة وإقامة أخيه شاهنشاه مكانه. ومن المحتمل أن ياغي بسان بدأ يخطط لهذه المؤامرة عندما تلقى خبر زيارة السلطان إلى القسطنطينية.

أمضى السلطان السلجوقي ثمانين يوماً في العاصمة البيزنطية، وفي اليوم الأخير من الزيارة وقع كل من السلطان والإمبراطور مانويل على معاهدة الصلح بينهما^(١).

ولما عاد السلطان إلى عاصمته قونية أرسل إليه أمير سيواس ياغي بسان يعرض عليه إقامة هدنة بينهما، فقبل السلطان ذلك مما نتج عنه تحسن العلاقات بين الجانبين خلال هذه الفترة^(٢).

واستمر ذلك عدة سنوات لم يحدث خلالها ما يعكر صفو هذه العلاقات حتى وقع القتال العنيف بينهما سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م عندما تزوج السلطان قليج أرسلان من ابنة حاكم أرضروم الأمير عز الدين سلق بن علي (٥٤٠- ٥٧٠هـ / ١١٤٥- ١١٧٤م) حيث اعتدى الأمير الدانشمندي ياغي بسان على موكب زوجة السلطان أثناء انتقالها إليه في قونية، فكانت هذه الحادثة سبباً في اندلاع القتال بينهما^(٣). وقد انتصر ياغي بسان^(٤)، واستولى على بعض علامات السلطنة التي كانت بحوزة قليج أرسلان أثناء هذا القتال، ولكن الأمير الدانشمندي أراد أن يظهر شهامته للسلطان فأعادها إليه في الحال^(٥).

ولما انهزم السلطان طلب المساعدة من الإمبراطور البيزنطي مانويل فأرسل هذا إليه مدداً عسكرياً زحف به السلطان ناحية العاصمة الدانشمندية سيواس^(٦)، غير أنه حينما اقترب منها بلغه أن خصمه ياغي بسان قد فارق

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٧٥.

□ Vasiliev: History of the Byzantine Empire. V.I. P.427.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٧٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣١٧؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ١٩٠؛ منجم بلشي: منجم بلشي تاريخي، جلد ثاني، ص ٥٦١-٥٦٠.

(٤) أبو اللدا: المختصر، ج ٣، ص ٤٢؛ هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠١.
5) Chalandon: Les Comnène II. P.457.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣١٧؛ منجم بلشي: منجم بلشي تاريخي، جلد ثاني، ص ٥٦١.

الحياة^(١) فاستولى قليج أرسلار على بعض بلاده بعد أن عقد صلحاً مع الأمير الدانشمندي إبراهيم بن محمد الذي حكم سيواس عقب وفاة عمه ياغي بسان^(٢). إن اختفاء الأمير الدانشمندي ياغي بسان الذي استطاع أن يهز قوة السلطان قليج أرسلان وما أعقبه من ظهور الانقسامات بين أفراد أسرته قد أتاح للأخير فرصة التوسع على حساب بقية الأمراء داخل الأناضول حيث مضى في أول الأمر إلى أخيه شاهنشاه أمير أنقرة وجانجرا واستولى على بلاده^(٣). ثم عاد السلطان مرة أخرى إلى إقليم كبادوكيا سنة ٥٦١هـ / ١١٦٥م وانتزع من الدانشمنديين نهر الطومة Tohma ومدن طرندة^(٤) Darende وأبلستين وجيدوك Geduk (جادوج)^(٥).

وبعد أن أحكم السلطان سيطرته عليها زحف سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م إلى مدينتي قيصرية وصامانتني وطرد منهما الأمير ذالنون بن محمد حليفه الدانشمندي القديم^(٦).

انضم ذالنون إلى الأمير السلجوقي شاهنشاه أخي السلطان قليج أرسلان بعد أن جردهما هذا من بلدانهم مما جعلهما يفقدان أعداداً كبيرة من قواتهما حتى تعذر عليهما مواجهة السلطان فقرر اللجوء إلى الأتابك نورالدين محمود الذي أبدى استعداداً للوقوف إلى جانبهما ضد قليج أرسلان^(٧).

وفي سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م وقع شقاق في ملطية حول من يخلف أميرها الدانشمندي أبي القاسم بعد وفاته فانتهاز السلطان هذه الفرصة وزحف إليها من قونية لكنه فشل في الاستيلاء عليها، فاتجه إلى ضواحي المدينة وقام بإجلاء

(١) العمري: مسالك الألبار، ج ٢٧، ص ٤٣.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ١٩٠.

(٣) Abdulhaluk Gay: Anadolunun Turklesmesinde Donum Noktas. P.41.

(٤) طرندة: (دردنة الحديثة) حصن داخل بلاد الروم يقع في أعلى نهر القبايقب على مسيرة ثلاث مراحل فوق ملطية (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٢؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٥٣).

(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٧٧.

(٦) Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P 122.

(٧) Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende PP.483-484.

(٨) Cahen. Pre-ottoman Turkey P 102., Chalandon: Les Comnène II. P 494.

سكانها وأسر منهم قرابة اثني عشر ألفاً أخذهم معه إلى قيصرية التي كان قد نجح مؤخراً في ضمها^(١). ولقد أثار هذا الاعتداء سخط نورالدين محمود فاستدعى حلفائه من إقليم الجزيرة الفراتية وأمرهم بالتجمع عند الأمير الدانشمندي إسماعيل بن إبراهيم (٥٦٠هـ - ٥٦٨هـ / ١١٦٤ - ١١٧٢م) حاكم سيواس الذي كان زوجاً لأخت السلطان قليج أرسلان^(٢)، وعلى الرغم من كثافة القوات التي حاصر بها نورالدين قيصرية فإنه لم تقع مجابهة بينه وبين السلطان قليج أرسلان^(٣).

وقد ظل السلطان مقيماً في قيصرية مع قواته بعد انسحاب الجيش الذي يقوده نورالدين، حتى ثار أهالي سيواس على أميرهم إسماعيل بن إبراهيم سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م وهاجموه ليلاً وقتلوه مع زوجته أخت السلطان قليج أرسلان الذي كان ينتظر منه أن يهب لنجدتهما ولكنه وجد في هذه الثورة ذريعة للتدخل في شئون سيواس. وبينما كان السلطان يتأهب للزحف إلى العاصمة الدانشمندية المتكوية سارع بعض أعيانها وراسلوا ذالنون بن محمد الذي كان قد فرّ إلى الشام خوفاً من بطش السلطان، وطلبوا من ذي النون التوجه إلى سيواس ليخلف ابن أخيه إسماعيل عليها^(٤).

تولى ذالنون الإمارة غير أن السلطان قليج أرسلان لم يمهله بالجلوس في الحكم طويلاً إذ أصر على مضايقته وتهديده بعد شهور قليلة من توليه، حيث وثب عليه وأرغمه على الخروج من سيواس، فعاد ذالنون مرة أخرى إلى حليفه نورالدين محمود في الشام، وأخذ هذا يرأس السلطان ويطلب منه أن يرد ذالنون إلى عاصمته. ولكن السلطان تجاهل ذلك، فزحف نورالدين إليه على رأس قوات كبيرة، وقبل التحام الجيشين سعى بعض الوسطاء في الصلح

(١) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١٠٩؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٨٤.

Setton. A History of the Crusades. V.I. P.527.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٨٤.

Chalandon: Les Comnene II. P.494; Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.102.

(٣) للتعرف على أسباب عدم نشوب القتال بين قوات نورالدين والسلطان قليج أرسلان انظر ص (١٣٦).

(٤) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١١٠؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٨٧، ١٨٦.

Abdulhaluk Gay Anadolu'nun Turklesmesinde Donum Noktası P 43

بينهما، وتمت تسوية هذه الأزمة دون حرب وذلك في شهر ذي الحجة سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م، بعد أن وافق السلطان على إعادة ذي النون إلى إمارته في سيواس^(١).

ولاشك أن السلطان قد وافق على مبادرة السلام هذه مع نورالدين وهو مكره عليها لأنه لايزال يطمع في تصفية الدانشمنديين، وإسقاط حكومتهم في سيواس، ولهذا لم يهدأ له بال منذ موافقته على هذا الصلح حيث أقام معسكراً لقواته على حدود بلاده مع مناطق نفوذ الدانشمنديين في سيواس وذلك في مدينة آقسراي^(٢) التي كان قد فرغ من تشييدها سنة ٥٦٦هـ / ١١٧١م، وظل السلطان يتربص بالأمير ذي النون ويتحين الفرص للانقضاض عليه حتى بلغه نعي نورالدين سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م^(٣) فزحف السلطان إلى سيواس ودخلها دون مقاومة، ثم اتجه إلى قيصرية وكومانا وملكهما، وأجبر الأمير ذا النون على الفرار ناحية القسطنطينية. وهكذا سقطت الإمارة الدانشمندية في سيواس، وأسدل الستار عليها بيد السلطان السلجوقي قليج أرسلان الثاني وذلك سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م^(٤).

وعندما تمكن السلطان السلجوقي قليج أرسلان من تفويض أركان الإمارة الدانشمندية في سيواس ولى وجهه شطر إمارة ملطية كي يلحقها بأختها إمارة سيواس، ولهذا أصبحت ملطية ساحة للصراع الجديد بين القوتين الدانشمندية والسلجوقية. ولقد عرفنا فيما سبق أن سياسة السلاجقة التوسعية تجاه إمارة ملطية لم تكن وليدة ذلك الوقت الذي نجح فيه السلطان قليج أرسلان بإسقاط إمارة سيواس إنما يرجع ذلك إلى سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م عندما بدأ السلطان مسعود والد قليج أرسلان يتدخل في شئون ملطية^(٥)، ولقد حذا ابنه قليج أرسلان حذوه تماماً حينما استلم زمام السلطة وكان قد شن أعنف هجوم على ملطية سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م منتهزاً فرصة النزاع الداخلي الذي نشب بين أعيانها حول من

(١) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص ١٦٠.

(٢) عالي: فصول حل وعقد، ورقة ٣٦ (١). + آقسراي: مسامرة الأخبار، ص ٢٠.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ٢٤٧. + ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٤٠٢.

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٩٠.

(5) Michel le Syrien: Extrait de Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.254.

يتولى حكمها عقب وفاة زعيمها الأمير الدانشمندي أبي القاسم بن ذي القرنين^(١). ورغم فشل ذلك الهجوم الذي قام به قليج أرسلان للسيطرة على ملطية فإنه لم يفقد الأمل، يتضح ذلك من رفضه تقديم المساعدة التي طلبها منه الأمير الدانشمندي ناصرالدين محمد بن ذي القرنين من أجل العودة إلى ملطية وذلك خلال سنتي (٥٦٨ هـ - ٥٦٩ هـ / ١١٧٢ - ١١٧٤ م)، حيث أن السلطان أراد أن يبقى هذا الأمير سلاحاً بيده يهدد به شقيقه أفريدون بن ذي القرنين أمير ملطية وذلك حينما يعاود مرة أخرى هجومه عليها^(٢). ولكن الأمير محمد هرب من الأراضي السلجوقية، وأخذ يهيم في البلاد المجاورة حتى استطاع سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م أن يستعيد إمارة ملطية بعد هجومه على أخيه. وعندما لاحظ السلطان قليج أرسلان أن هذا الأمير تمكن من الوصول إلى عرش الإمارة دون أن يحصل على مساعدته ازدادت أطماعه في ملطية وزحف بقوات كثيفة إليها، ولم يستطع أميرها محمد أن يفعل شيئاً يواجه به السلطان لذلك أسرع إلى استقباله عند دخوله ملطية سنة ٥٧٣ هـ / الأربعاء ٢٥ تشرين أول ١١٧٧ م، وكان طلبه الوحيد من السلطان هو إعطاؤه الأمان على حياته حتى يستطيع الوصول إلى حصن زياد إحدى الحصون القريبة من ملطية^(٣).

ولقد شرع السلطان السلجوقي في إعادة تعمير ملطية حيث بنى فيها بيوتاً من الطين، وأخرى من الحجارة^(٤). وبذلك سقطت إمارة الدانشمنديين في ملطية على أيدي القوات السلجوقية وكان مصيرها نفس مصير إمارة سيواس. وعلى الرغم من رابطة الجوار وأواصر القرابة والمصاهرة التي تجمع بين السلالة والدانشمنديين فإن ذلك كله لم يمنع السلطان السلجوقي قليج أرسلان الثاني من الزحف على الممتلكات الدانشمندية وإخضاعها لسيطرته^(٥)، وقيامه بعد ذلك

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٨٤.

(٢) Chalandon: Les Comnène II. P.494; Setton: A History of the Crusades. V.I. P.527.

(٣) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١١٤.

(٤) نفس المصدر والمفحة.

(٥) Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.105.

(٦) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١١٩.

5) Wittek (Paul) The Rise of the Ottoman Empire. P.23.

بتقسيمها بين أبنائه حيث منح سيواس لأكبر أبنائه وهو قطب الدين ملكشاه وملطية لمعزالدين قيصر شاه، وتوقات لركن الدين سليمان، وقيصرية لنورالدين محمود، وبكسار لناصرالدين بركيارق، وأبلستين لمغيث الدين طغرل^(١). أما بالنسبة لمدينة أماسيا التي يبدو أنها لم تعد مرة أخرى إلى حوزة الدانشمنديين بعد سقوطها بيد الأمير السلجوقي شاهنشاه بن مسعود سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٦م^(٢)، فإنها أصبحت وقتئذ من نصيب نظام الدين أرغون شاه بن قليج أرسلان^(٣).

ورغم أن سقوط الإمارة الدانشمندية قد جرى على أيدي سلاجقة الأناضول، وما أعقب ذلك من قيام السلطان السلجوقي عزالدين قليج أرسلان بتقسيم الولايات الدانشمندية بين أبنائه فإن ذلك لم يمنع بقايا أفراد الأسرة الدانشمندية من الالتحاق في خدمة بعض أبناء السلطان قليج أرسلان، وذلك بعد مرور حوالي ثلاثين سنة على حدوث النكبة التي تعرض الدانشمنديون لها، ويبدو أنهم تناسوا خصوماتهم القديمة مع بعضهم البعض حيث أصبح كل من مظفرالدين محمود وظهيرالدين إيلي وسمان الدين يوسف وهم أبناء أمير سيواس ياغي بسان بن غازي (٥٣٧-٥٦٠هـ / ١١٤٢-١١٦٤م) قواداً في عهد السلطان السلجوقي ركن الدين سليمان شاه بن قليج أرسلان^(٤) (٥٩٢-٥٦٠هـ / ١١٩٥-١٢٠٣م)^(٥). وبعد وفاة هذا السلطان بايع رجاله ابنه عزالدين قليج أرسلان (٦٠٠-٦٠١هـ / ١٢٠٣-١٢٠٤م)^(٦) الذي كان عمره ست سنوات فسيطروا عليه ووقع الخلاف بينهم^(٧) فأرسل كل من الأتابك أرتقش^(٨) وأبناء ياغي بسان حاجباً يدعى زكريا وذلك

(١) ابن الأثير: الكامل، ج١٢، ص٨٨. وحمدالله مستوفي: تاريخ كزنده، ص٥٣٩. و أقسرائي: مسامرة الأخبار، ص٢٠.

(٢) حسين حسام الدين: تاريخ أماسيا، ج٢، ص٣٣٩.

(٣) ابن بيبلي: تواريخ آل سلجوق، ص١١.

(٤) Mokrimin H.: Danismendiler. in: Islam Encyciopedia. Cilt.3. P.475.

(٥) أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص١٢٥.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج١٢، ص٢٠٠.

(٧) محمود أقسرائي: مسامرة الأخبار، ص٣٢.

(٨) هو مبارز الدين بن عبدالله أرتقش، من عبيد غياث الدين كيخسرو (أقسرائي: مسامرة الأخبار، ص٢٢).

لدعوة عمه غياث الدين كيخسرو من مكان إقامته في القسطنطينية حيث هرب إليها في عهد أخيه السلطان ركن الدين سليمان^(١).

وعندما اعتلى غياث الدين عرش السلطنة للمرة الثانية (٦٠١ - ٦٠٧ هـ / ١٢٠٤ - ١٢١٠ م) انضم إليه أمراء الدانشمندیين الثلاثة، وتمكنوا من كسب ثقته، فمنحهم مراكز عالية، ورد بعض ممتلكاتهم إليهم^(٢). وكان لأكبرهم مظفر الدين محمود أعمال بارزة حيث أنه قام سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م بتحويل إحدى الكنائس في مدينة قيصرية إلى مسجد جامع يعتبر من أضخم مساجد هذه المدينة، وتوجد في أعلى الباب الشمالي لمبنى هذا المسجد بعض النقوش التي تؤكد أن الأمير مظفر الدين محمود هو الذي أمر بتشيدته، حيث تقول إحدى هذه النقوش «في أيام السلطان المعظم كيخسرو بن قليج أرسلان عز نصره غمره مظفر الدين محمود بن ياغي بسان في سنة ٦٠٢ هـ»^(٣).

تجدر الإشارة إلى أن الأمير الدانشمندی مظفر الدين محمود لم يتول الإمارة قط. وقد ذكر أحد^(٤) المستشرقين أن هذا الأمير كان في عهد أبيه ياغي بسان يحمل رتبة ضابط عسكري. لكن يبدو أن هذا الرأي ضعيف إذ من المعروف أن ياغي بسان حينما توفي كان قد ترك وراءه عدداً من الأبناء الصغار، ومنهم مظفر الدين محمود^(٥).

والواقع أن النفوذ الدانشمندی داخل البلاط السلجوقي خلال هذه الفترة لم يكن وفقاً على الأمراء الذكور من أفراد هذه الأسرة فحسب، بل كان لبعض الأميرات الدانشمندیات نصيب واضح من هذا النفوذ. ومما يؤكد هذا ذلك النص المنقوش فوق باب جامع كوللوك Kuluk - jami في مدينة قيصرية التي أمرت

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٢٠٠. وابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ١٩٣. محمود أقسراي: مسامرة الأخبار، ص ٣٢.

(٢) Cahen: Pre ottoman Turkey P 115.

(٣) ابن بيبی: تواریخ آل سلجوق، ص ٦٢.

(٤) Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend. tome.I. P 55.

(٥) Berchem Max Van. Epigraphie des Danichmendides. P.89.

(٦) إسماعیل حقی: کتابه لو، ص ١٠٣؛ تامارا تالبوت رابین: السلاجقة، ص ١٦٣.

(٧) Berchem Max Van. Epigraphie des Danichmendides P 90.

(٨) Turk Ensiklopedisi Cilt XII. P 274.

بينائه اتسوز التي خاتون Atsuz Elti ابنة الأمير الدانشمندي مظفر الدين محمود بن ياغي بسان، ويقول هذا النص «عمر في سبيل رب العالمين في أيام دولة مولانا السلطان المعظم عزالدنيا والدين أبو الفتح كيكافوس بن كيخسرو قسيم أمير المؤمنين أضعف عباد الله الستة المعصومة اتسوز التي خاتون بنت محمود بن ياغي بسان سنة سبع وستمائة»^(١).

ورغم بروز شخصية مظفر الدين محمود وما حظي به من نفوذ واحترام إبان هذه الفترة من العصر السلجوقي، لا يبدو واضحاً أنه كان يعمل لإحياء إمارة آبائه وأجداده داخل الولايات التي انقرضت فيها.

وفي الوقت الذي اختفى فيه هذا الأمير فجأة من مسرح الأحداث داخل الأناضول فإن أخاه ظهير الدين إيلي الذي كان أحد رجال السلطان السلجوقي عزالدین كيكافوس (٦٠٧- ٦١٦هـ / ١٢١٠- ١٢١٩م)^(٢) قد أجبر على الفرار من الأناضول وذهب إلى قلعة تل باشر^(٣) حيث توفي هناك^(٤). وأغلب الظن أن هذا الأمير الدانشمندي أقدم على ذلك عند وفاة سيده السلطان عزالدین كيكافوس سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م^(٥) وتولى أخوه علاء الدين كيقباز سلطنة قونية مكانه (٦١٦- ٦٢٤هـ / ١٢١٩- ١٢٣٦م)^(٦) وكان بين هذا السلطان وبين رجال أخيه السلطان السابق كيكافوس ومن بينهم ظهير الدين إيلي عداً قديماً وذلك عندما هاجم السلطان كيكافوس أملاك أخيه كيقباز وقبض عليه وسجنه^(٧) وظل حتى توفي أخوه حيث خرج من سجنه وتولى السلطنة مكان أخيه^(٨) وبدأ السلطان كيقباز ينتقم من

1) Berchem Max Van: Epigraphie des Danichmendides. P.90.

٢) أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ١٢٩.

٣) تل باشر: قلعة حصينة في شمالي مدينة حلب (بياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠).

4) Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.222; Mokrimin H.: Danismendliler. in: Islam Encyclopaedia. Cilt.3. P.475.

٥) ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٣٥٤. ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٩٥.

٦) منجم بلشي: منجم بلشي تاريخي، ص ٥٦١.

□ A.Zeki Velidi Togan: Umumi Turk Tarihi ne Giris. Enderun. Kitabevi. P.201.

٧) ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٣٥٤.

□ Mokrimin H.: Danismendliler. in: Islam Encyclopaedia. Cilt.3. P.475.

٨) ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٩٥.

أصحاب أخيه مما حدا بالأمير الداشمندی ظهير الدين إلى الفرار خوفاً من
بطش هذا السلطان^(١). ويرى كلود كاهن^(٢) بأن السلطان كيكائوس قد نفى هذا
الأمير خارج البلاد.

* * *

1) Mokrimin H. Danışmendliler in Islam Encyclopaedia Cilt 3 P 475

2) Cahen: Pre ottoman Turkey P 222

ثانياً علاقات الداشمديين بالدولة الزنكية

عند وفاة أمير الموصل^(١) عزالدين مسعود بن البرسقي^(٢) سنة ٥٢١هـ / ١١٢٧م، أرسل مملوكه جاولي^(٣) وفداً إلى السلطان السلجوقي في بغداد مغيث محمود^(٤) (٥١١هـ - ٥٢٥هـ / ١١١٧ - ١١٢١م) يعرض عليه تولية ابن عزالدين مسعود مكان أبيه، فاستشار السلطان السلجوقي الوفد فيمن يرويه أهلاً لإمارة الموصل فذكروا له عدة اشخاص كان منهم الأتابك عماد الدين زنكي بن آق سنقر فكتب له السلطان السلجوقي منشوراً بذلك، وتوجه عماد الدين زنكي (٥٢١هـ - ٥٤١هـ / ١١٢٧ - ١١٤٦م) الذي كان وقتئذ يتولى شحنة بغداد إلى الموصل، فكان هذا إيذاناً بقيام الدولة الزنكية في كل من الموصل وحلب^(٥).

(١) الموصل المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة الخطير كبراً وعظماً، فهي محط الركبان، ومنها يقعد إلى جميع البلدان، فهي باب العراق ومفتاح خراسان، ومنها يقعد إلى أذربيجان وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل وصلت بين دجلة والفرات، وقيل لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة، وقيل بل الملك الذي أحدثها كان يسمى الموصل. وهي مدينة قديمة على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٢٣).

(٢) عزالدين مسعود بن قسيم الدولة آق سنقر البرسقي، تولى حكم بلاد الموصل وأعمالها بعد وفاة أبيه سنة ٥٢٠هـ، وبقي عالماً واحداً في الحكم حيث توفي سنة ٥٢١هـ وملك بعده عماد الدين زنكي بن آق سنقر. والبرسقي - سبة إلى برسق من معاليك السلطان السلجوقي طغرل بك أبي طالب محمد (ابن خلكان: وفیات الأعيان، ج ١، ص ٢٤٢ - ٢٤٣).

(٣) كان جاولي أحد معاليك الأمير قسيم الدولة آق سنقر البرسقي. ولما تولى عماد الدين زنكي الموصل أقطع جاولي مدينة الرحمة وسيره إليها. (ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٢٤٥).

(٤) أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي الملقب مغيث الدين، أحد الملوك السلجوقية المشاهير. تولى السلطنة بعد وفاة والده، وخطب له بمدينة بغداد يوم الجمعة ٢٣ محرم سنة ٥١٢هـ في خلافة المستظهر بالله، وهو يومئذ في سن الحلم، وكان متوقفاً ذكاه، قوي المعرفة بالعربية، حافظاً للأشعار والأمثال، عارفاً بالتواريخ والسير، شديد الميل إلى أهل العلم والخير. تزوج بنتي عمه السلطان سنجر، وتوفي يوم الخميس خامس عشر شوال سنة ٥٢٥هـ. (ابن خلكان: وفیات الأعيان، ج ٥، ص ١٨٢ - ١٨٣).

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٦٤٣، وللحصول على معلومات واسعة عن الدولة الزنكية انظر: ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل؛ أبو شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق محمود رايد، بيروت، وهي المراجع الحديثة انظر عماد الدين خليل: عماد الدين رسكي، بيروت ١٩٧١م. واسط أيضاً سعيد الديوه جي تاريخ الموصل، بغداد ١٩٨٢م، ج ١، ص ٢٥٥ وما بعدها.

أما بالنسبة للعلاقات بين الدانشمنديين والدولة الريكية فإنها تعود إلى سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٨م عندما قام عمادالدين زنكي بإنفاذ الرسائل إلى بعض حكام القوى الإسلامية في بلاد الجزيرة والأناضول يطلب منهم مساعدته ضد القوات البيزنطية التي فرضت حصاراً على مدينة (١) شيزر (٢)، حيث أوعز إليهما القيام بشن غارات على أملاك الإمبراطورية داخل الأناضول حتى يتحول اهتمام البيزنطيين إلى هذه الجهات (٣).

وقد لبي كل من سلطان قونية وأمير سيواس نداء عمادالدين زنكي فهاجم الأول بعض مدن أرمينية الصغرى (٤). وفي نفس الوقت اشتركت القوات الدانشمندية والسلجوقية معاً في ضرب مؤخرة الجيش البيزنطي الذي كان يحاصر قلعة شيزر (٥)، ولما وصلت هذه الأنباء إلى الإمبراطور حنا كومنين أمر بسحب قواته إلى أنطاكية (٦).

وكان هذا هو الاتصال السياسي الوحيد الذي جرى بين الدانشمنديين والزنكيين أثناء حكم عمادالدين زنكي. ويمكن تعليل قلة الاتصالات بين الطرفين بعدم تمتع الأتابك عماد الدين بنفوذ قوي داخل الأناضول. وذلك بعكس ابنه وخليفته في حلب الملك نورالدين محمود (٥٤١ - ٥٦٩هـ / ١١٤٦ - ١١٧٤م) الذي ازداد نفوذه في الأناضول بشكل كبير حتى أن بعض أمراء الدانشمنديين في سيواس اعتمدوا خلال الفترة الأخيرة من حكمهم على مساندته (٧)، وبالذات عندما اشتدت حدة الصراع بينهم وبين جيرانهم السلاجقة عقب وفاة السلطان مسعود سنة

(١) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ٢٦٤. ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٣م، ج ١، ص ٧٦.

(٢) شيزر: قلعة في الشام قريبة من حماة وحمص ومعرة النعمان، كانت عاصمة لإمارة بني منقذ (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨٣).

(٣) رنسيما: تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٤٦. السيد الباز العريني: الشرق الأوسط والحروب الصليبية، القاهرة ١٩٦٣م، ج ١، ص ٥١٥. عمادالدين خليل: عمادالدين زنكي، ص ١٤٦.

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٥٣.

(٥) Setton: A History of the Crusades. V.2. P.459; Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.96.

(٦) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ٢٦٤. العظمي: تاريخ العظمي، ص ٤١٦.

(٧) Setton A History of the Crusades V.2 P.527

١. محمود عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، بيروت ١٩٨١م، ص ٢٨٤.

٥٥٠هـ / ١١٥٥م. حيث انتهز نور الدين محمود انشغال السلاجقة بقيادة السلطان قليج أرسلان بن مسعود بمحاربة أمير سيواس الدانشمندي ياغي بسان في معركة أقصرا (شعبان ٥٥٠هـ / أكتوبر ١١٥٥م) «فنزل نورالدين في عسكره ببعض الأعمال المختصة بالسلطان قليج أرسلان، فملك بعضاً من قلاعها وحصونها بالسيف والأمان»^(١).

ولقد سبق أن أشرنا إلى الرواية التي أفادت بأن هذه المعركة وقعت بتحريض من جانب نورالدين لأمير سيواس ياغي بسان وذلك لكي يتسنى له السيطرة على بعض المناطق التي انتزعها السلاجقة منه.

ولما نشب النزاع بين السلطان قليج أرسلان وبين أخيه شاهنشاه حاكم أنقرة وجانجرا، أخذ كل واحد منهما يبحث عن حليف قوي يشد من أزره، فحظي قليج أرسلان بتأييد اثنين من أفراد الأسرة الدانشمندية وهما ذوالنون صاحب قيصرية، وذوالقرنين أمير ملطية. في حين ظفر أخوه شاهنشاه بمساندة صهره أمير سيواس ياغي بسان الذي طلب بدوره المساعدة من نورالدين محمود. وقد استجاب نورالدين لنداء ياغي بسان فهاجم واستحوذ على نصيب السلاجقة من مدن الرها.

وعلى الرغم من قوة الأطراف التي يضمها هذا المعسكر فإن السلطان قليج أرسلان وحلفاءه الحقوا الهزيمة بهم. ولم يكتف السلطان بذلك بل عمد إلى إقامة تحالف مع الأرمن والصليبيين في أرمينية وشمال الشام لتعزيز مركزه^(٢).

وفي سنة ٥٥٦هـ / ١١٦٠م جدد نورالدين تحالفه مع أمير سيواس ياغي بسان، وبدأت القوتان في التحرك لمهاجمة السلاجقة، فزحف نورالدين من أواسط الفرات، واستولى على مدن بهسنا ورعبان وكيسوم، بينما قاد الأمير الدانشمندي ياغي بسان حملة من جهة شمال شرقي الأناضول أجبرت السلطان

(١) ابن القلاسي: نيل تاريخ دمشق، ص ٢٢٢. ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك، ج ٣، ورقة ٨٦ (١). العيني: عقد الجمان، ج ١٢، ورقة ٨٩ (١).

(2) Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.100.; Mokrimin H.: Danismendliler. in: Islam Encyciopedia. Cilt.3. P.472.

لـ رنسيهان: تاريخ الحروب الملبية، ج ٢، ص ٥٥١-٥٥٢.

□ Stevenson: The Crusaders in the East P.175

قليج أرسلان على أن يتنازل له عن معص البلاد الواقعة حول مدينة أنلسنير^١ وكان هناك بعض الدوافع وراء سرعة قيام نورالدين بتجديد تحالفه مع الدانشمنديين، ومبادرته معهم بالهجوم على أملاك السلاجقة. ويأتي من بين تلك الدوافع حرصه على توازن القوى بين جيرانه السلاجقة وحلفائه الدانشمنديين داخل الأناضول. وفي الوقت الذي وضع فيه نورالدين محمود الأمير الدانشمندي ذالنون بن محمد تحت حمايته سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م بجده قد أظهر موقفاً مغايراً تجاه أمير ملطية الدانشمندي ناصر الدين محمد ابن ذي القرنين سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م) عندما اتهمه أهالي ملطية بالفساد فطردوه من إمارته حيث اتجه إلى الشام، ووقع في قبضة نورالدين الذي زج به في السجن. إلا أنه تمكن بعد مدة من الهرب، وصار يتنقل بين البلدان المجاورة حتى استقر في نهاية المطاف بالموصل. ووقع ناصر الدين مرة أخرى بين يدي نورالدين فسجنه في قلعة البيرة الواقعة على شاطئ الفرات، وظل الأمير الدانشمندي المخلوع قابلاً في سجنه حتى توفي نورالدين سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م، حيث تمكن من الهرب، وعاد إلى ملطية^(٢).

ولقد أبدى نورالدين معارضته الشديدة للسلطان قليج أرسلان عندما زحف هذا صوب ملطية سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م، وأسر حوالي اثني عشر ألف شخص من سكانها ونقلهم معه إلى قيصرية، في حين أجبر أميرها الدانشمندي أفريدون بن ذي القرنين على اللجوء إلى نورالدين، فأعلن هذا حالة الاستنفار بين قواته، وطلب من حلفائه أمراء الموصل، وماردين^(٣)، وحصن زياد، والأمير الأرمني مليح بن ليون^(٤) أن يحشدوا قواتهم، ويزحفوا بها إلى سيواس للاجتماع عند

1) Chalandon: Les Comnene II. P.457.

٢] رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٥٧٥. السيد الباز العريني. الشرق الأوسط، ج١، ص٦١٨.

٢) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص١١٤.

٢) مارين: قلعة في جبل الجزيرة تشرف على مدن أنيسر ودارا ونصيبين (ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٣٩).

٤) مليح بن ليون الأرمني صاحب بلاد الدروب المجاورة لطلب تولى حكم أرمينية الصغرى سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م رغم أن أخاه ثوروس الثاني حاول منعه من ذلك عندما أوصى بأن يحلفه ابنه الصغير روبين الثاني. فلما مات ثوروس وتولى ابنه روبين امتنع مليح وقصد الأتابك نورالدين محمود فأمدّه بجيش، عاد به إلى أرمينية وأجلّ الوفاً من أهلها واستولى على =

أميرها الداشمندي إسماعيل بن إبراهيم (٥٦٠ هـ / ١١٦٤ - ١١٧٢ م) بهدف محاربة السلطان السلجوقي قليج أرسلان الذي كان وقتئذ يعسكر بقواته في قيصرية^١

ولما رحفت هذه القوات في اتجاه قيصرية طلب السلطان من قوادها الأمان، ووافقوا شريطة أن يقوم بتسليم كافة الأسرى الذين أخذهم في وقت سابق من ملطية. وهنا حدث تباين في بعض الآراء التي ساقطت قضية الأسرى، فقد أشار ميخائيل السرياني^(٢) إلى أن السلطان أنكر وجود الأسرى في جيشه وسمح لقواد خصومه بالتفتيش عنهم بين أفراد قواته، وتم ذلك فعلاً، ولكن لم يجدوا لهم أثراً، حيث أن السلطان كان قد قتلهم في وقت سابق.

في حين يذكر أبو الفرج بن العبري^(٣) أن السلطان قام بتسليم الأسرى إلى نور الدين وحلفائه الذين طالبوه كذلك بالإفراج عن أبناء أخيه الأربعة المعتقلين لديه، وعندئذ قتل واحداً من أبناء أخيه، وأرسله إلى أبيه شاهنشاه بن مسعود، الذي كان ضمن حلفاء نور الدين بعد لجوئه إليه^(٤). ويروى أن السلطان قليج أرسلان كتب إلى نور الدين وحلفائه يهددهم بأنه في حالة مطالبتهم له بالثلاثة الباقين من أبناء أخيه فإنه سوف يفعل بهم نفس ما فعله بأخيههم، ولهذا خافوا على مصير الإخوة الثلاثة فقررروا تركه والعودة إلى بلدانهم^(٥).

ورغم أن رواية ابن العبري بشأن مصير أولئك الأسرى تبدو أكثر قبولاً فإننا لانستبعد أن يكون السلطان السلجوقي قد أقدم على كلا العملين معاً حيث

= حكمها. وكان نور الدين محمود قد قرب مليحاً إليه سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م وأقطعه بعض البلاد الإسلامية، وجعله أداة بيده يقاتل بها أهل ملته حتى ببر زعماء أرمينية سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م مؤامرة لقتل مليح لكنه انهزم إلى أحد الحصون، فوثب عليه الحراس وقتلوه وقطعوه إرباً إرباً إنتقاماً منه، ثم استدعى زعماء أرمينية ابن أخيه روبين الثالث من طرسوس ولوه أمرهم. (ابن الأثير الكامل، ج ١١، ص ٣٨٧؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٧٩، ١٨٠، ١٩٢).

(١) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١٠٩.

□ Chalandon: Les Comnène II. P 494., Abdulhaluk Gay: Anadolunun Turklesmesinde Donum Noktası P.42

(٢) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١٠٩.

(٣) تاريخ الزمان، ص ١٨٤.

(٤) Cahen: Pre-ottoman Turkey P 102

(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٨٤.

قام بقتل الأسرى عسداً وصل إليه خبر رحف الحيوش الموحدة إليه حتى لايشيعوا الفوضى والاضطرابات داخل جيشه. وعندما بدأت الجيوش تحاصره وأحس بالخطر المصدق به ارتكب عملاً آخر أكثر شناعة وهو قتل أحد اساء أخيه، ثم أخذ يساوم خصومه بما تبقى منهم.

وقد يتساءل البعض لماذا عقد نورالدين وحلفاؤه هدنة مع السلطان السلجوقي قليج أرسلان، وعادوا إلى بلدانهم بالرغم من عدم انفراج الأزمة التي أتت هذه القوات من أجلها، أو حتى على الأقل تخليص الرهائن الثلاثة الباقين لديه قبل عودتهم؟

يقول المؤرخ التركي عبدالخلق جاي^(١) أن ذلك كان بسبب انشغال نورالدين محمود ببعض الحروب الحاسمة ضد الصليبيين في شمال الشام، وكان نورالدين يرى أن تصعيد العداء بين حكام المسلمين في ذلك الوقت بالذات غير مناسب. أما المستشرق كلود كاهن^(٢) فقد عزا ذلك إلى اندلاع الثورة الشعبية في مدينة سيواس ضد أميرها الدانشمندي إسماعيل بن إبراهيم بسبب حدوث مجاعة شديدة نجمت عن سقوط الثلوج في تلك المنطقة. ولكن هذا سبب ضعيف إذ أن هذه الثورة قد حدثت في سيواس بعد عودة هذه القوات منها^(٣)، ولو كانت هذه الثورة قد اشتعلت فعلاً وقت تواجد هذه القوات في سيواس لاستعان الأمير إسماعيل بها لقمع الثائرين.

إن أحد الأسباب الرئيسة التي أدت إلى عدم نشوب القتال بين المعسكرين هو مرض نورالدين أثناء قيامه مع حلفائه بمحاصرة القوات السلجوقية في قيصرية، واشيع آنذاك بأنه قد توفي الأمر الذي أدى إلى أن عمت الفوضى في أرجاء الولايات الدانشمندية وفي بلاد الشام والجزيرة، وظل الناس يتناقلون خبر الوفاة حتى عاد الجند والأمراء من إقليم كبادوكيا إلى بلادهم يحملون تكذيب الخبر، ويؤكدون أن نورالدين كان بالفعل مريضاً لكنه تماثل للشفاء^(٤).
وبعدما انتهت هذه الحادثة لقي كل من إسماعيل أمير سيواس وزوجته أخت

1) Abdulhaluk Gay: Anadolunun Turklesmesinde. Donum. Noktasi. P.42.

2) Cahen: Pre ottoman Turkey P.102

(٢) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١١٠.

(٤) نفسه.

السلطان قليج أرسلان مصرعهما على أيدي عناصر من الثائرين وذلك سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م^(١). فاتفق رأي الأغلبية في سيواس على دعوة عمه ذي النون بن محمد حاكم قيصرية سابقاً من مقر إقامته في دمشق. وكان ذوالنون قد لجأ إلى نورالدين، وتزوج ابنته^(٢). وقد أسهمت هذه المصاهرة في زيادة التقارب بين البيتين الدانشمندي والزنكي، وقدم نورالدين بعض المساعدات إلى صهره ذي النون، ووقف إلى جانبه عندما قرر التوجه إلى سيواس لكي يتولى إمارتها بناء على الدعوة التي تلقاها من بعض زعماء المدينة.

ولم يتمكن الأمير ذوالنون من الاستقرار بإمارته طويلاً إذ قصده السلطان قليج أرسلان في نفس العام (٥٦٨هـ / ١١٧٢م) وانتزع منه سيواس، فاستنجد ذوالنون بالأتابك نورالدين محمود^(٣).

راسل نورالدين السلطان السلجوقي قليج أرسلان وطلب منه أن يعيد سيواس إلى صاحبها ذي النون، ولكن السلطان لم يجبه إلى طلبه، فزحف نورالدين إليه وفتح من بلاده بهسنا ومرعش ومايينهما من القلاع والحصون وذلك في أوائل شهر ذي القعدة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م^(٤).

وسير نورالدين طائفة من عسكره إلى سيواس فملكوها^(٥). وكان السلطان السلجوقي حينما علم بزحف نورالدين إلى الأناضول خاف منه، فعاد من طرفها الذي يلي الشام إلى وسطها، وراسل نورالدين يستعطفه ويسأله الصلح، فتوقف نورالدين عن قصده على أمل أن يحسم النزاع دون حرب^(٦).

وفي هذه الأثناء علم نورالدين بأن الفرنج قد نزلوا على مدينة^(٧) حمص^(٨). فاضطر عند ذلك إلى الموافقة على طلب الصلح الذي تقدم به السلطان قليج

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٨٦.

2) Chalandon: Les Comnene II. P.493; Mokrimin H: Danismendililer. in: Islam Encyciopedia. Cilt.3. P.473.

(٢) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص ١٦٠.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ١، ص ٢٢٢.

(٤) ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص ٢١٧.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣٩٢؛ أبو شامة: كتاب الروضتين، ج ١، ص ٥٤٢.

(٦) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٢٩٤.

(٧) حمص: قلعة حصينة بين دمشق وحلب (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٠٢) وتقع حالياً شمال العاصمة السورية دمشق على مسافة ١٦٢ كلم. (أكرم وفؤاد الساطع: الدليل الأخضر، ص ٧٣).

أرسلان، وترك نورالدين قوة عسكرية في سيواس مع قائده فخرالدين عبدالمسيح^(١) لتكون في خدمة صهره الأمير ذي النون^(٢).

ولقد أورد ميخائيل السرياني^(٣) الذي كان معاصراً لهذه الفترة رواية تختلف بعض الشيء عن الرواية السابقة حيث قال إن السلطان السلجوقي قد استقر في سيواس واستعد للقاء نورالدين، والتقى الجيشان في بلاد جيحان، ولكن لم يجرؤ أحدهما على مهاجمة الآخر لأن كلا منهما كان يخاف خصمه ويخشى قوته. وطال وقوف الجيشين بدون قتال حتى اشتد الجوع بالجنود ومات أكثرهم نتيجة لذلك. وتدخل بعض الوسطاء في الصلح على أن يتنازل نورالدين عن مدن كيسوم وبهسنا ومرعش للسلطان السلجوقي، ووافق السلطان على أن يكون للأمير ذي النون كبادوكيا وعلى ذلك تم الصلح بينهما، ورجع كل منهما إلى بلاده. وقد بقي الجيش النوري في سيواس بقيادة فخرالدين عبدالمسيح حتى توفي نورالدين محمود^(٤) في دمشق يوم الأربعاء حادي عشر شوال سنة ٥٦٩هـ^(٥).

/ ٢٣ مايو (آيار) ١١٧٤م^(٦). وعند ذلك عاد فخرالدين بجيشه إلى دمشق تاركاً الأمير الدانشمندي ذا النون دون قوة كافية لحمايته، فانتهر السلطان قليج

(١) فخرالدين عبدالمسيح: خفي أبيض كان أحد مماليك عمادالدين زنكي ثم التحق بخدمة ابنه قطب الدين موبود الذي ولاء سنة ٥٦٣هـ على قلعة الموصل نيابة عنه، فعمر فخرالدين هذه القلعة وسار سيرة حسنة، وكان هو المدير لأمر قطب الدين والمتحكم بشؤون تولته، وأشار عليه بأن يرمي بالملك من بعده لابنه الآخر سيف الدين غازي بدلاً من ابنه الأكبر عمادالدين. ولما توفي قطب الدين موبود سنة ٥٦٥هـ وتولى مكانه ابنه سيف الدين شاركه فخرالدين عبدالمسيح في تدبير شؤون الدولة الزنكية، وتحكم فيه مما أغضب نورالدين محمود فسار إلى الموصل فبادر فخرالدين إلى مراسلته، وعرض عليه تسليمه الموصل على أن يقر سيف الدين غازي على حكمها، وطلب فخرالدين الأمان، فأجاب نورالدين. ولما عاد نورالدين إلى الشام أخذه معه وغير اسمه فسماه عبدالله، وأقطعه إقطاعاً كبيراً. وبعد وفاة نورالدين سنة ٥٦٩هـ عاد فخرالدين إلى خدمة سيف الدين غازي، ولكنه فقد مكانته السابقة وأصبح عند سيف الدين كغيره من الأمراء. (ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣٣١ - ٣٣٢، ٣٥٥، ٣٦٤، ٣٦٥، ٤٠٧).

(٢) يروي سبط بن الجوزي أن الأمير ذا النون كان بصحبة نورالدين أثناء رجوعه إلى الشام. (مرآة الزمان، ج ٨، ص ٢٩٤).

(٣) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١١١.

(٤) حمد الله مستوفي: تاريخ كزيدة، ص ٤٧٥. + خواندمير: حبيب السير، جلد دوم، ص ٥٣٩.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ٢٤٧. + البنداري: سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي، ط ٢، الرياض ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٣٢.

(٦) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١١٢. + ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٨٩.

أرسلان هذه الفرصة، وأسرع إلى الاستيلاء على سيواس، وبقيّة أملك الدانشمنديين وضمها إلى بلاده^(١).

تبين لنا مما سبق أن بعض أمراء الدانشمنديين اعتمدوا في الفترة الأخيرة من حكمهم على مساندة الأتابك نورالدين محمود الذي كان قد حصل قبل وفاته بسنة واحدة تقريباً على منشور من الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (٥٦٦هـ - ٥٧٥هـ / ١١٧٠ - ١١٨٠م) يقضي بتعيينه حاكماً على بلاد الموصل والجزيرة وإربل^(٢) وخلاط والشام وبلاد قليج أرسلان وديار مصر^(٣).

* * *

(١) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٢٩٤؛ العمري: مسالك الأبحار، ج ٢٧، ص ٦٠.
(٢) إربل: مدينة من أعمال الموصل، وتسمى قديماً إربلا (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ١٢٨) وتعرف حالياً باسم إربيل من ألوية العراق الشمالية (لسترنج: بلدان الخلافة، ص ١٢٢).
(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣٩٢.

ثالثاً: علاقات الدانشمنديين بالإمارات المستقلة داخل الأناضول

(١) بنو منكوجك في أرزنجان وديوريكي (٤٦٤ - ٦٥٠ هـ / ١٠٧١ - ١٢٥٢ م)

بنو منكوجك أسرة تركية فتحت المنطقة الواقعة غربي الفرات والتي تضم مدن أرزنجان وكماخ^(١) وديوريكي^(٢).

ولقد أفادت المعلومات القليلة جداً التي وجدناها عن هذه الأسرة أن زعيمها منكوجك غازي كان أحد الأمراء الذين كانوا بصحبة السلطان السلجوقي الب أرسلان حينما انتصر على البيزنطيين في معركة منازجرد سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م^(٣) فأقطعه السلطان مدينتي أرزنجان وكماخ، واتخذ منكوجك أرزنجان عاصمة لإمارته^(٤).

وجاء في رواية أخرى^(٥) أن الأمير منكوجك كان من أمراء سليمان بن قتلمش مؤسس دولة السلاجقة بالأناضول، وتوجد عدة قباب في ساحل قره صو^(٦) شمال غربي مركز كماخ، كُتب على إحداها باللغة الفارسية أن منكوجك هو الذي

(١) كَمَاخ: قلعة بأرض الروم على نهر الفرات الغربي، تقع على الطريق الممتد من أرضروم حتى أرزنجان في ناحية سيواس- (ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٩؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص١٥١).

(٢) ديوريكي: قلعة تقع في أعلى نهر أبريق أحد روافد نهر الفرات، وتسمى أحياناً «ديوريك» أو «نغريك» وذكرها البيزنطيون باسم «تفريك». أما العرب فقد أطلقوا عليها اسم «أبريق» (لسترنج: بلدان الخلافة، ص١٥١).

(٣) منجم باشي: منجم باشي تاريخي، جاد ثاني، ص٥٧٨.

(٤) Setton: A History of the Crusades. V.I. P.163; Nihad Sami: Turk Edebiyatı Tarihi Cilt I. P.287.

(٥) Islam Ansiklopedisi Istanbul 1972. (Mengucukler) Cilt7. P.713; Ali Sevim: Selcuklu-Ermeni Iliskileri. P.23.

(٦) قره صو: المقصود به نهر الفرات الغربي، ولكن الأتراك سموه بذلك لأن هذه الكلمة معناها عندهم الماء الأسود (لسترنج: بلدان الخلافة، ص١٤٩).

فتح ولايات أرضروم وأرزنجان وكماخ ودياربكر^(١).

ويطلق على منكوجك أحياناً لقب الشهيد مما يدل على أنه سقط شهيداً في إحدى المعارك التي خاضها بعد تأسيس إمارته ضد الكرج والبيزنطيين.

أما بالنسبة لتاريخ وفاته فإنه لا يزال غير محدد^(٢)، ولكن من المؤكد أن ابنه وخليفته الأمير إسحاق كان على رأس إمارة كماخ سنة ١١٢٢هـ / ١١٧٨م^(٣) مما يشير إلى أن والده قد مات أو على الأقل أنه فقد منصبه قبل ذلك التاريخ. وكان إسحاق بن منكوجك قد سبى مدينة ملطية في العام المشار إليه، فاستنجدت الخاتون أرملة السلطان قليج أرسلان ووالدة سلطان ملطية وقتئذ طغرل أرسلان ببعض الأمراء المجاورين ومن بينهم أمير سيواس غازي بن دانشمند الذي شارك بقواته في شن حملة انتقامية ضد إسحاق بن منكوجك أمير كماخ^(٤).

أدرك الأمير إسحاق أنه لن يستطيع مواجهة هذه القوات التي دخلت مدينة كماخ فهرب عن بلاده^(٥)، واتجه إلى طرابزون حيث طلب المساعدة من حاكمها البيزنطي قنسطنطين جابراس^(٦).

نشبت بين المعسكرين معركة ضارية بجانب قلعة سرمان التابعة لأرزنجان^(٧)، مني فيها إسحاق بن منكوجك وحليفه جابراس بهزيمة شديدة ووقعوا في الأسر، وقد افتدى جابراس نفسه بثلاثين ألف دينار وعاد إلى طرابزون، أما بالنسبة للأمير إسحاق فقد أطلق الأمير غازي بن دانشمند

(١) نيار بكر: بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل، تقع بين الشام والعراق، قمبتها الموصل وحرّان، وبها يمر نهرا دجلة والفرات (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٩٥. القزويني: آثار البلاد، ص ٣٦٨).

2) Islam Ansiklopedisi (Mengucukler) Cilt.7. P.713.

3) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.205.

□ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٣٧.

□ Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.108.

4) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique. V.3. P.205.

(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٣٧.

□ Chalandon: Les Comnene II. P.45.

6) Michel le Syrien: Extrait de Chronique. V.3. P.205.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٥٨٦.

سراحه دون مقابل لأنه كان زوج ابنته^(١). وقد يتساءل البعض مادام أن الأمير غازي بن دانشمند كان صهراً لابن منكوجك فلماذا تركه هذا وراح يستنجد بالبيزنطيين لمواجهة خصومه؟ في الواقع هناك عدة أسباب دفعت ابن منكوجك للقيام بذلك ومنها قبول هذا الأمير بدفع الجزية السنوية لحاكم طرابزون مقابل إعلانه الخضوع للبيزنطيين وتعهدهم بحمايته^(٢).

كما أن هناك خلافاً قائماً بين الأمير إسحاق وصهره غازي، بسبب عدم رضا ابن منكوجك عن سياسة صهره الأمير غازي التي ترمي إلى التدخل في شئون سلاجقة الأناضول وبالأذات عقب وفاة السلطان قليج أرسلان الأول^(٣) ٥٠٠هـ/ ١١٠٧م^(٤)، ولهذا السبب أخذ إسحاق يناصب الأمير غازي العداء الذي طال أمده بالرغم من الموقف الإيجابي الأخير الذي أظهره الأمير غازي مع صهره إسحاق حينما سعى إلى إطلاق سراحه دون مقابل. ذلك أنه عند وفاة إسحاق بن منكوجك سنة ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م أسرع الأمير الدانشمندي محمد بن غازي وضم مدينة كماخ إلى إمارة سيواس^(٥). لكن سيطرته عليها لم تدم طويلاً، حيث انتقل الأمير محمد في نفس العام إلى جوار ربه^(٦). ويشير بعض^(٧) الباحثين إلى أن مدينة كماخ قد عادت حال وفاة هذا الأمير إلى بني منكوجك حكامها الأصليين الذين مالبتوا أن انقسموا على أنفسهم إلى قسمين حيث استقل بعضهم في

1) Michel le Syrien: Extrait de Chronique. V.3. P.108; Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.108.

2) Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend. tome.I. P.132; Osman Turan: Selcuklular Zamanında Türkiye Tarihi. P.163; Brehier Louis: The Life and Death of Byzantium. V.5. P.224.

3) Michel le Syrien: Extrait de Chronique. V.3. PP.194-195.

٤) ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ١٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٧، ص ٩٤.

5) Michel le Syrien: Extrait de Chronique. V.3. P.253; Islam Ansiklopedisi (Mengucukler) Cilt.7. P.714.

٦) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٩٢؛ أبو الفداء: المختصر، ج ٣، ص ١٦؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ١٩٠.

7) Islam Ansiklopedisi (Mengucukler) Cilt.7. P.714.

□ نجيب عاصم، محمد عارف: عثمانلي تاريخي، برنجي جلد، ص ١٦٦؛ تامارا تالبوت رايس: السلاجقة، ص ١٦٢.

مدينتي كماخ وأرزنجان، بينما استقل بعضهم الآخر في مدينة ديوريكي. ويُعد الأمير داود بن إسحاق هو مؤسس فرع إمارة بني منكوجك في كماخ وأرزنجان وذلك بعد وفاة والده سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م^(١). وفي عهده تعرضت مدينة كماخ لهجوم عنيف قام به الأمير الدانشمندي في سيواس ياغي بسان بن غازي وذلك سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م^(٢) ضمن حملته التوسعية التي استهدفت مناطق نفوذ بني منكوجك والاراتقة وقد أجلى خلالها حوالي مائة ألف نسمة عن بلادهم الأصلية هناك^(٣)، ولم يعد إلى عاصمته سيواس إلا بعد أن تمكن من قتل أمير كماخ نفسه داود بن إسحاق بن منكوجك بسبب تحالفه ضده مع السلطان السلجوقي قليج أرسلان بن مسعود (٥٥٠ - ٥٨٨هـ / ١١٥٥ - ١١٩٢م^(٤))، كما قام بطرد عدد من الأساقفة الموجودين في مدينة كماخ وبعض البلاد المجاورة ومنهم اغناطيوس مطران تل أرسانيوس^(٥) الذي أعاده الأمير الدانشمندي من مدينة كماخ إلى ملطية^(٦).

وبعد مصرع الأمير داود شاه بن منكوجك خلفه ابنه فخر الدين بهرام شاه^(٧) الذي يعد أشهر شخصيات هذه الأسرة وهو أول أمير من بني منكوجك يتم العثور على مسكوكات خاصة به إذ أن أقدم سكة مؤرخة لهذا الأمير ترجع إلى سنة ٥٦٣هـ / ١١٦٧م أي بعد توليه الحكم بحوالي خمسة أعوام وهو الذي قام بنقل عاصمة إمارته من كماخ إلى أرزنجان^(٨)، ومن المحتمل أنه أقدم على هذه الإجراء كي يبتعد قليلاً بعاصمته عن إمارة الدانشمنديين في سيواس بعد أن

1) Michel le Syrien: Extrait de Chronique. V.3. P.253.

2) Mokrimin H: Danismendililer. in: Islam Ansiklopedisi. Cilt.3. P.473.

٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٧٥.

4) Islam Ansiklopedisi. Cilt.7. P.714.

٥) تل أرسانيوس: هكذا ورد اسمه في المصادر التي ساقته هذه الحاشية، ولكن يبدو أن المقصود به تل قريب من نهر الفرات الشرقي الذي يطلق عليه أحياناً اسم أرسانياس Arsaniyas ، وكان الأرمن يسمونه درون Daron ، ويعرفه البيزنطيون باسم ترونيثس Taronites (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ١٥١ ؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص ١٤٧).

٦) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٧٥.

7) Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P.55.

8) Islam Ansiklopedisi. Cilt.7. P.714.

□ أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ٢٧٦؛ ستانلي لين بول: الدول الإسلامية، القسم الرابع، ص ٣٣٤-٣٣٥.

ظلت العاصمة السابقة كماخ في عهد أبيه هدفاً لهجمات أمير سيواس ياغي بسان، ولقد ظل بهرام شاه في الحكم حتى سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م^(١) وهي فترة حكم طويلة لم يتمتع بها أحد سواه من أفراد أسرته. ثم خلفه ابنه علاء الدين داود شاه الثاني^(٢) الذي استمر حكمه حتى سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م، وفيها استولى سلاجقة الأناضول على إمارة بني منكوجك في أرزنجان.^(٣)

وفيما يتعلق بفرع بني منكوجك في ديوريكي فقد أسسه الأمير سليمان بن إسحاق بن منكوجك، ثم تعاقب على عرش هذه الإمارة بعد وفاة سليمان عدد من أبنائه وأحفاده حتى سقطت سنة ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م تقريباً بيد السلاجقة أيضاً شأنها شأن بقية الإمارات التركية الأخر داخل الأناضول.^(٤)



(١) ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٤٢٩.

2) Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P 55.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٤٧٨. ؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ١٩٦.

4) Islam Ansiklopedisi. Cilt.7. P.714.

□ ستانلي لين بول: الدول الإسلامية، القسم الأول، ص ٣٣٤-٣٣٥.

(٢) بنو سلدق في أرضروم
(٤٦٤ - ٥٩٨ هـ / ١٠٧١ - ١٢٠١ م)

قامت إمارة بني سلدق^(١) في القطاع الشرقي من إقليم الأناضول وذلك أثناء الفتوحات السلجوقية المبكرة لهذه المنطقة عندما أقطع السلطان السلجوقي ألب أرسلان أحد أمرائه ويدعى أبا القاسم سلدق مدينة أرضروم ونواحيها عقب الانتصار الكبير الذي أحرزه الجيش السلجوقي ضد البيزنطيين في معركة منازجرد سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م^(٢).

وتشير إحدى^(٣) الروايات إلى أن هذه الإمارة تأسست سنة ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م في حين تذكر رواية^(٤) أخرى بأن ظهور بني سلدق كان بعد عام ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م وقد تزامن ظهور الأمير أبي القاسم سلدق في شرق الأناضول مع ظهور السلاجقة الأتراك هناك مما يبعث على الاعتقاد بأن هذا الأمير ينحدر من أصل تركي، خصوصاً وأن اسمه الحقيقي، وكذلك أصله ونسبه كلها أمور لاتزال غامضة.

ولما آلت السلطة إلى الأمير عز الدين سلدق بن علي سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣٢ م^(٥) وقيل سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م^(٦) قامت في عهده بعض العلاقات السياسية بينه وبين

(١) اختلف المؤرخون حول اسم هذه الأسرة حيث ورد اسمها (سلدق) عند ابن القلانسي؛ نيل تاريخ دمشق، ص ٣٢٨. و(مليق) تارة و(ملىق) تارة أخرى عند كل من ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ١٩٠؛ ابن الوردي: تنمة المختصر، ج ٢، ص ١٧٦؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ١٦٩. ونكرها منجم باشي باسم (ميليقي) انظر: منجم باشي تاريخي، جلد ثاني، ص ٥٧٧. ولكن يبدو أن (سلدق) هو الأقرب إلى الصحة لأنه ورد هكذا في المسكوكات الخاصة ببعض حكام هذه الأسرة التي ظهرت مرتين إحداهما في عهد عز الدين سلدق بن علي، والأخرى في عهد ابنه ناصر الدين محمد. راجع: أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية قتالوغي، القسم الرابع، ص ٧٠.

2) Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P.117; Cahen: la Syrie du Nord au Temps des Croisades. P.182; Osman Turan: Dogu Anadolu Turk Devletleri Tarihi. P.3.

3) Nihad Sami: Turk Edebiatı Tarihi Cilt I. P.287.

4) Umit Hassan. re Baskalari: Turkiye Tarihi.I. P.189.

5) Osman Turan: Dogu Anadolu Turk Devletleri Tarihi. PP.6-9.

(٦) أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ٧٠؛ خليل أنجم: نول إسلامية، ص ٢٢٧.

الدانشمندیين في سيواس. إذ أن الهزائم المتوالية التي تعرض لها الأمير سلدق من جانب خصومه الكرج^(١) قد أجبرته على عدم مواصلة حروبه في ميادين القتال الخارجية، وجعلته يلتفت إلى المجال الداخلي في الأناضول، حيث وقع نظره على السلطان السلجوقي قليج أرسلان الثاني (٥٥٠هـ / ١١٥٥ - ١١٩٢م) لكي يقيم معه تحالفاً يستطيع من خلاله أن يحافظ على مركزه بين جيرانه^(٢). وبما أن مناطق نفوذ الدانشمندیين في سيواس تفصل بين أرضروم عاصمة بني سلدق وبين العاصمة السلجوقية قونية فإن هذه الخطوة التي أقدم عليها أمير أرضروم قد أثارت حفيظة أمير سيواس ياغي بسان بن غازي (٥٣٧هـ / ١١٤٢ - ١١٦٤م) وأخذ ينتهز الفرص للانتقام منه، وقد تحقق له ذلك عندما زف الأمير عزالدين سلدق ابنته إلى حليفه السلطان قليج أرسلان سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م^(٣)، وأثناء مرور القافلة التي تحمل زوجة السلطان بالأراضي الدانشمندية، جرى اختطافها من قبل كمين أعده أمير سيواس ياغي بسان الذي رغب أن يعقد قران هذه الفتاة على ابن أخيه الأمير ذي النون بن محمد حاكم قيصرية^(٤)، ولكن ظهرت إحدى العقبات أمام ذلك، حيث إن هذه الأميرة المسلمة قد أصبحت في ذمة زوجها السلطان قليج أرسلان، فأمرها ياغي بسان بالردة عن الإسلام، ففعلت لينفسخ النكاح من قليج أرسلان، ثم عادت إلى الإسلام فزوجها من ابن أخيه ذي النون^(٥).

وقد لجأ الأمير ياغي بسان إلى هذا العمل ليفسد الوثام الذي كان وقتئذ قائماً بين ابن أخيه ذي النون والسلطان قليج أرسلان، ولكي يشعر الأمير عزالدين سلدق بأنه أقوى شوكة من السلطان الذي ارتضاه حليفاً وصهراً له ودخل في تبعيته.

ولما وصلت أنباء هذه الحادثة إلى السلطان قليج أرسلان جمع عسكره وسار إلى سيواس لتأديب الأمير ياغي بسان ودارت بينهما معركة ضارية الحق

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ١٩٠، ٢٨٠. ؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٩٤.

(٢) Osman Turan: Dogu Anadolu Turk Devletleri Tarihi. P.16.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣١٧. ؛ منجم بلشي: منجم باشي تاريخي، جلد ثاني، ص ٥٦٠.

(٤) ابن الأثير: نفسه ؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ١٩٠.

(٥) ابن الأثير: نفسه ؛ منجم بلشي: نفسه، ص ٥٦١.

الدانشمندیون خلالها بقوات السلطان خسائر فادحة^(١)، فأسرع السلطان ولجأ إلى الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين (٥٣٨-٥٧٦هـ / ١١٤٣-١١٨٠م) فأمدّه بجيش كبير زحف به السلطان ناحية سيواس، ولكنه حينما اقترب منها تلقى خبر وفاة أميرها خصمه ياغي بسان فهاجم بعض بلاده واستولى عليها^(٢). ورغم أن القوة الدانشمندية في سيواس قد انتابها الضعف على إثر وفاة ياغي بسان وقيام نزاع حاد على السلطة بين خلفائه انتهى بهم إلى إجراء مصالحة مع السلطان^(٣)، فإن موقف والد العروسة الأمير عزالدين سلق من هذه الحادثة قد ظل مجهولاً، وليس من المعلوم ما إذا كان السلطان قد تمكن من الإفراج عنها فيما بعد وأخذها من زوجها الجديد الأمير ذي النون أم لا؟ فالمصادر^(٤) التي عرضت هذه الرواية لم تبين مصير هذه العروس، واكتفت فقط بالإشارة إلى نتيجة الحرب التي وقعت بين السلطان السلجوقي وياغي بسان وما صاحبها من تطورات!

على أية حال بعد سنوات قليلة جداً من وفاة أمير سيواس ياغي بسان (٥٦٠هـ / ١١٦٤م)^(٥) لحق به أمير أرضروم عزالدين سلق بن علي (٥٦٣هـ / ١١٦٧م)^(٦)، وبوفاته فقدت إمارة بني سلق أحد أقوى أمرائها، الأمر الذي جعل خليفته ابنه ناصر الدين محمد بن سلق يحتاط لنفسه، ويلتزم جانب الحذر من جيرانه الدانشمنديين. ومن ثم بادر إلى الدخول في تبعية السلطان السلجوقي في العراق وفارس طغرل بن الب أرسلان (٥٧٣-٥٩٠هـ / ١١٧٧-١١٩٤م) حيث حملت

(١) أبو الفدا: المختصر، ج٣، ص٤٢. + العمري: مسالك الأبصار، ج٢٧، ص٤٣. + العيني: عقد الجمان، ج١٢، ورقة ١٣(ب).

(٢) ابن الوردي: تنمة المختصر، ج٢، ص١٠٦. + منجم باشي: منجم باشي تاريخي، جلد ثاني، ص٥٦١.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٣١٧. + هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص١٠٢.

□ Chalandon: Les Comnène II P.493.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٣١٧. + ابن خلدون: العبر، ج٥، ص١٩٠. + منجم باشي: منجم باشي تاريخي، جلد ثاني، ص٥٦١.

(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٧٦. + العمري: مسالك الأبصار، ج٢٧، ص٤٣.

□ Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P.77.

(6) Osman Turán: Dogu Anadolu Turk Devletleri Tarihi. P.16.; Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.107.

العملة الخاصة بالأمير محمد اسم هذا السلطان^(١).

ومن المرجح أن الأمير محمد قد بقي في عرش إمارته حتى سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م عندما قصده سلطان ملطية السلجوقي ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان (٥٩٣- ٦٠٠هـ / ١١٩٦- ١٢٠٣م) فخرج إليه الأمير محمد كي يصلحه ولكنه لم يقبل بذلك فقبض عليه، وانتزع منه مدينة أرضروم، وكان محمد هذا آخر أمراء بني سلق^(٢). وإن كان بعض^(٣) الباحثين يرون بأن ابنه ملكشاه هو آخر حكام هذه الأسرة.



(١) أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ٧٢. خليل أنعم: دول إسلامية، ص ٢٢٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ١٦٩. ابن الوردي: تنمة المختصر، ج ٢، ص ١٧٦.

(٣) Osman Turan: Dogu Anadolu Turk Devletleri Tarihi. P.20.; Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.107.

□ أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ٧٠.

رابعاً: علاقات الدانشمنديين بالأراتقة

الأراتقة قبيلة تركمانية تنتمي إلى أرتق بن أكسك، وقيل (أكسب)^(١) هو أحد ممالك السلطان السلجوقي ملكشاه بن الب أرسلان (٤٦٥ - ٤٨٥هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢م). وقد قدم أرتق للدولة السلجوقية خدمات عسكرية جلية في فجر حياته السياسية. ففي عام ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م حارب أرتق في آسيا الصغرى ضد البيزنطيين^(٢). وتعد هذه الرواية سنداً لما ذهب إليه بعضهم^(٣) بأن أرتق قد سبق الأمير كمشتكين أحمد دانشمند إلى فتح أجزاء عديدة من المناطق التي قامت عليها إمارة الدانشمنديين في سيواس. وبعد وفاة الأمير أرتق أقام ولده سقمان وإيلغازي إمارتين مستقلتين إحداهما سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م في حصن كيفا بدياربكر، والأخرى سنة ٥٠٢هـ / ١١٠٨م في إقليم ماردين^(٤).

ولقد عاصرت هاتان الإمارتان الحكم الدانشمندي في كل من سيواس وملطية، وكان أول اتصال سياسي يجري بطريق غير مباشر بين الدانشمنديين والأراتقة يعود إلى سنة ٥٠٦هـ / ١١١٣م عندما استنجدت والدة سلطان ملطية السلجوقي طغرل أرسلان بالأمير الأرتقي بك بن بهرام^(٥) حاكم قلعة بالو^(٦) ليوقف مع ابنها في وجه التهديد الذي تعرضت له ملطية من جانب أمير سيواس غازي بن دانشمند.

(١) ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٢٤٦. قال ابن خلكان: أرتق بن أكسب جد الملوك الأراتقية، هو رجل من التركمان تغلب على حلوان والجبل ثم سار إلى الشام مفارقاً لخطر الدولة لبني نصر محمد بن جهير خاتماً من السلطان محمد بن ملكشاه، وذلك في سنة ثمان أو تسع وأربعين وأربعمائة، وملك القدس من جهة تاج الدولة تُتَش السلجوقي. وكان أرتق رجلاً شهماً ذا عزيمة وسعادة وجد واجتهاد، ولما توفي سنة أربع وثمانين وأربعمائة، تولى بعده ولده سقمان وإيلغازي حكم مدينة القدس. (وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٩١).

(٢) عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، ط ١، بيروت ١٩٨٤م، ص ٥٧-٥٨.
(٣) Mokrimin H.: Danismendliler. in: Islam Ensiklopedisi. Cilt.3. P.469; Buyuk Ensyclopaedia Cilt I. P.523; Turk Ensiklopedisi. Cilt XII. P.273.

(٤) الفارقي: تاريخ الفارقي، ص ٢٦٩. ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٤٥٩.

(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٣٢-١٣٣.

(٦) بالو: قلعة حصينة من نواحي أرمينية بين أوزن الروم و خلاط (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٣٠).

ورغم أن هذا التحالف الذي نشأ بين بلك بن بهرام وسلطان ملطية كان موجهاً ضد الأمير غازي بن دانشمند فإن ذلك لم يمنع الأمير غازي فيما بعد من الانضمام إلى طرفي هذا التحالف وذلك حين رأى أن هذا يخدم سياسته التوسعية الرامية إلى السيطرة على مدينة ملطية، حيث اتحدت قوى كل من الأمير الأرمني بلك بن بهرام والأمير غازي بن دانشمند وسلطان ملطية طغرل أرسلان ضد الأمير إسحاق بن منكوجك، وَاغَارُوا سنة ٥١٢هـ / ١١١٨م على مدينة كَمَاخ عاصمة إمارة بني منكوجك. ولكن سَرَعَآنْ مانشب خلاف حاد بين كل من سلطان ملطية والأمير بلك الأرمني وبين حليفهما الأمير غازي بسبب قيام الأخير بإطلاق سراح صهره ابن منكوجك^(١).

وقد استمر الخلاف بينهما قائماً حتى توفي الأمير بلك سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م^(٢). وبوفاته انزاحت عقبة قوية كانت تقف أمام محاولات الأمير غازي من أجل السيطرة على ملطية.

ومن حسن الطالع للأمير غازي أن بقية أمراء البيت الأرمني ومعهم سلطان ملطية السلجوقي قد دخلوا في صراع مرير فيما بينهم حول اقتسام أملاك الأمير بلك. ففي حين أقام حسام الدين تمرشاش في حلب^(٣)، استولى سليمان بن ايلغازي على حصن زياد^(٤)، وأخذ سلطان ملطية طغرل أرسلان مسارا^(٥) وكركر^(٦) اللتين مالبث سليمان أن نازعه عليهما، وقد أفاد الأمير غازي من هذه الاضطرابات، وأخذ يحاصر ملطية.

ويعد أن ثبت الأمير غازي أقدامه في ملطية سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م^(٧) حاول النزول في وادي الفرات والسيطرة على حصن زياد^(٨) الذي توفي أميره الأرمني

1) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.205; Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.108.

(٢) العظمي: تاريخ العظمي، ص ٣٩٤. ابن العديم: زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٧٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٦١٩.

(٤) العظمي: تاريخ العظمي، ص ٣٩٤.

(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٣٩.

(٦) كَرْكَرْ: قلعة قرب ملطية بين سميساط وحصن زياد (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥٣).

7) Michel le Syrien: Extrait de Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.223.

8) Chalandon: Les Comnene II. P.78.

سليمان بن ايلغازي في نفس ذلك العام^(١) لكنه وجد مقاومة من داود بن سقمان^(٢) أمير حصن كيفا فاكثف غازي بنهب المدينة^(٣). ثم عرج الأمير غازي على قلعة مسارا التي أصبحت أيضاً تتبع الأمير داود وتمكن من بسط سيطرته عليها^(٤). وبينما كان الأمير غازي منصرفاً لتوسيع نفوذ إمارته على حساب البلاد الأرتقية في وادي الفرات الأعلى تم خلع صهره وحليفه مسعود سلطان قونية من جانب بعض أخوته فاضطر غازي للعودة إلى داخل الأناضول^(٥).

ورغم عدم صفاء الجو بين أمراء الأراتقة والحكومة الدانشمندية في سيواس خلال هذه الفترة فإن ذلك لم يمنع بعض أفراد البيت الدانشمندي من اللجوء إلى الأراتقة عندما تنشب الخلافات بينهم، فقد هرب الأمير عين الدولة بن غازي قبل تأسيسه إمارة ملطية إلى قلعة هنزيط الأرتقية حينما اختلف مع أخيه محمد بن غازي أمير سيواس سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م^(٦). ولكن أمير هذه القلعة داود بن سقمان لم يطمئن على سلامة عين الدولة أثناء إقامته في أراضيها بسبب قربها من ملطية ولهذا أسرع الأمير الدانشمندي بالخروج إلى مدينة آمد^(٧)، وكان داود هو الذي نصحه بذلك حيث كانت تربطه ببني اينال^(٨) حكام

(١) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص ٥٨٩.

(٢) داود بن سقمان بن أرتق، تولى حكم حصن كيفا خلفاً لأخيه إبراهيم بن سقمان. وقد تولى داود سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م فخلفه ابنه فخر الدين قرا ارسلان. (عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية، ص ٩٢، ١٢٧).

3) Chalandon: Les Comnene II. P.79; Osman Turan: Seleuklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.168.

4) Mokrimin H: Danismendliler. in: Islam Ensiklopedisi. Cilt.3. P.469.

5) Michel le Syrien: Extrait de Chronique. V.3. P.223.

(٦) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٥٣.

(٧) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ٨٢.

(٨) بنو اينال: من أتباع الأمير السلجوقي دقاق بن تتش الذي قام سنة ٤٩٠هـ / ١٠٩٧م بتفويض حكم مدينة آمد للأمير التركماني اينال الذي قام بدوره بتأسيس حكومة بني اينال هناك وقد جاء من بعده ابنه فخر الدولة إبراهيم الذي كان قبيل السيرة مشهوراً بالظلم، ثم خلفه ولده سعد الدولة إيلالدي (ايل ألدلي) الذي كان أصلح حالاً من أبيه، وكان على رأس هذه الإمارة حينما وفد عليها الأمير الدانشمندي عين الدولة (الفارقي: تاريخ الفارقي، ص ٢٦٨. ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٤٧٨. استانلي لين بول: الدول الإسلامية، القسم الأول، ص ٣٩٠-٣٩٢).

آمد علاقات صداقة ومصاهرة مما سيجعل الأمير الدانشمندي لديهم في موقع أكثر أمان واستقرار من بلاد الأراتقة، وبالتالي لن تطاله يد أخيه محمد أمير سيواس.

وظلت علاقات الدانشمنديين في سيواس تجاه الأراتقة عدائية حتى في عهد الأمير ياغي بسان بن غازي فقد انحاز هذه الأمير أثناء تواجده في بلاد بني منكوجك أواخر سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م^(١) إلى جانب أمير آمد جمال الدين محمود بن اينال^(٢) (٥٣٦هـ - ٥٧٩هـ / ١١٤١ - ١١٨٣م) ووزير كمال الدين أبي القاسم علي بن نيسان^(٣) (٥٥١هـ - ٥٧٣هـ / ١١٥٦ - ١١٧٧م) وذلك ضد أمير حصن كيفا قرا أرسلان بن داود الأرتقي^(٤) (٥٣٩هـ - ٥٦٢هـ / ١١٤٤ - ١١٦٦م) الذي فرض حصاراً على مدينة آمد عاصمة ابن اينال^(٥).

ورغم أن الأمير الدانشمندي ياغي بسان كان صهراً لهذا الأمير الأرتقي^(٦)، فقد هبّ لنجدة حاكم آمد حيث شن حملة مفاجئة على حصن زياد إحدى مناطق

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٧٥.

(٢) جمال الدين شمس الملوك محمود بن سعد الدولة ليل آلدي ابن إبراهيم بن اينال التركماني. ظل يحكم مدينة آمد بديار بكر حتى طرده صلاح الدين الأيوبي منها سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م. (ستانلي لين بول: الدول الإسلامية، القسم الأول، ص ٣٨٩ - ٣٩١).

(٣) جمال الدولة كمال الدين ابوالقاسم على بن مؤيد الدين أبو علي حسن بن أحمد بن نيسان. كان أولاد الأمير نيسان وزراء لبني اينال حكام آمد، وقد بسطوا نفوذهم على أسياهم قبل سنة ٥٣٤هـ. وفي سنة ٥٣٦هـ جعلوا إدارة الأمور في أيديهم. وقد خلف جمال الدولة كمال الدين ابوالقاسم علي أباه في الوزارة سنة ٥٥١هـ، وظل لفترة طويلة حيث كان سنة ٥٧٣هـ على قيد الحياة. (ستانلي لين بول: الدول الإسلامية، القسم الأول، ص ٣٩٠ - ٣٩٣).

(٤) فخر الدين قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا، وأكثر بياربكر، تولى الإمارة سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م بعد وفاة أبيه مباشرة، منتهزاً فرصة غياب أخيه الأكبر أرسلان طغيش الذي كان وقت وفاة أبيه عند عماد الدين زنكي بالموصل. وقد حاول زنكي إبعاد قرا أرسلان وإقامة أخيه مكانه، ولكن قرا أرسلان استنجد بسلطان قونية مسعود بن قليج أرسلان، فتغلب على أخيه طغيش، وعاد هذا إلى الموصل. ولما توفي قرا أرسلان سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٦م خلفه ابنه نور الدين محمد. (ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣٢٩؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٥٦، ١٧٩).

(٥) ابن العبري: نفسه، ص ١٧٥.

(٦) Abdulhaluk Gay: Anadolunun Turklesmesinde. Donum. Noktasi. P.39; Mokrimin H.: Danismendliler. in: Islam Ensiklopedisi. Cilt.3. P.473.

(٧) رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٢٩.

نفوذ صهره الأمير قرا أرسلان، ثم قصد قلعة شوموشكي، ونهب كل القرى المرتبطة بها. كما هاجم نواحي قيزان (Kizan)، وقره صان Kar San الواقعة في بلاد الجزيرة (٣) وأجلى منها حوالي مائة ألف نسمة (٤).

وقد استنجد محمود بن اينال بأمر سيواس بينما كان هذا عائداً بقواته من كماخ إلى ملطية إذ أنه بادر على الفور إلى مهاجمة حصن زياد لكي يضطر قرا أرسلان إلى رفع الحصار عن آمد، ولم يتجه ياغي بسان ناحية آمد مباشرة وذلك لكي يتجنب حدوث مواجهة عسكرية بينه وبين صهره قرا أرسلان الذي ما أن علم بنبأ هذا الهجوم حتى راح يستغيث ببعض حلفائه في المنطقة حيث انضم إليه كل من ابن عمه أمير ماردين نجم الدين البي (٥) وفخر الدين دولت شاه (٦) بن طغان أرسلان الأحديب (٧) صاحب أرزن (٨) وبدليس (٩) واتحدت الجيوش الثلاثة في حصن زياد، ثم عبرت نهر الفرات في مطلع سنة ٥٥٩هـ / ١١٦٣م، وهاجمت ملطية، وذلك قبل أن تمضي ناحية سيواس حاضرة الأمير ياغي بسان الذي لم يكن هو الآخر مستعداً لخوض القتال، فاتصل بالأتاك نورالدين محمود وطلب منه التوسط بينه وبين الأمير الأرمني قرا أرسلان وكان نور الدين يتمتع بنفوذ قوي لدى أمراء الأرمينية في ذلك الوقت فبعث رسولاً إلى قرا أرسلان يناشده بالتوقف عن مهاجمة بلاد ياغي بسان وذلك حقناً لدماء المسلمين ومحافظة على الوحدة الإسلامية، وقد اثمرت مساعي نورالدين عن توقيع هدنة بين قرا أرسلان وياغي.

(١) لم تحدد المصادر الجغرافية موقع قلعة شوموشكي ونواحي قيزان في بياربكر.

(2) Abdulhaluk Gay: Anadolunun Turklesmesinde. Donum. Noktasi. P.42.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٧٥.

(٤) نجم الدين البي بن حسام الدين تمرشل بن ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين وميفارقين. تولى بعد وفاة أبيه سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م ومات سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م فخلفه ابنه قطب الدين. (ابو الفدا: المختصر، ج ٣، ص ٢٦). ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٩٣.

(٥) خلط ابن خلدون بين هذا الأمير وبين أمير أرزنجان فخر الدين بهرام شاه بن منكوجك (٥٥٨. ٦٢٢هـ / ١١٦٢. ١٢٢٥) انظر: العبر، ج ٥، ص ١٩٦.

(6) Mokrimin H.: Danismendiler. in: Islam Ensiklopedisi. Cilt.3. P.473; Abdulhaluk Gay: Anadolunun Turklesmesinde. Donum. Noktasi. P.39.

(٧) أرزن: مدينة مشهورة قرب خلاط وكانت من أعمر نواحي أرمينية (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ١٥٠).

(٨) بدليس: إحدى مدن أرمينية الكبرى (الإبريسي: نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٨٢٥).

بسان فعادت القوات الأرمنية إثر ذلك إلى بلدانها^(١).

وقد أضفت هذه المصالحة، وما أعقبها من وفاة كل من ياغي بسان (٥٦٠هـ / ١١٦٤م) ثم قرا أرسلان (٥٦٢هـ / ١١٦٦م) جواً من الهدوء والاستقرار على صعيد العلاقات السياسية بين الجانبين، كما أسهمت المصاهرة التي تمت بينهما سنة ٥٦٦هـ / ١١٧١م في تجسيد هذه العلاقات وذلك عندما زفت ابنة الأمير الراحل قرا أرسلان إلى أمير ملطية قاسم بن ذي القرنين^(٢)، وقد سبق أن أشرنا إلى أن هذه المصاهرة لم يكتب لها أن تتم في موعدها المحدد بسبب وفاة العروس بعد سقوطه من فرسه في يوم الزفاف^(٣). ولكن أهل العروسين اتفقوا على إتمام ذلك الزواج باقتران الفتاة بالأمير الدانشمندي أفريدون وهو أخو الأمير الراحل، ولم تعمر هذه الزيجة طويلاً حيث مالبت الأميرة الأرمنية أن هربت من قصر زوجها في ملطية وعادت إلى أسرتها في حصن كيفا^(٤). غير أن هذه الخلافات العائلية بين البيتين الدانشمندي في ملطية والأرمني في حصن كيفا لم تفسد صفاء الجو السياسي السائد بينهما إبان تلك الفترة، بل أنها أسهمت في زيادة التقارب بينهما حتى أن الأراتقة باتوا يعتبرون أنفسهم حماة للدانشمنديين في ملطية، وتؤكد مبادرة الأمير الأرمني محمد بن قرا أرسلان (٥٦٢-٥٨١هـ / ١١٦٦-١١٨٥م) إلى التدخل في شئون إمارة ملطية سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م مذهبنا إليه. وذلك عندما حدث شقاق بين أفراد الأسرة الدانشمندية حول من يخلف الأمير قاسم بن ذي القرنين على إمارة ملطية وانقسموا إلى فريقين أحدهما يؤيد الأخ الأكبر محمد بن ذي القرنين الذي كان يقيم في منفاه خارج ملطية^(٥)، والآخر يميل إلى الأخ الأصغر أفريدون^(٦). وحينما بلغ أعيان ملطية أن السلطان السلجوقي قليج

1) Mokrimin H.: Danismendiler. in: Islam Ensiklopedisi. Cilt.3. P.473.

(٢) أبو الفداء: المختصر، ج٣، ص٤٢. + العمري: مسالك الأبحار، ج٢٧، ص٤٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٣٢٩.

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٨٤.

5) Chalandon: Les Comnène II. P.494.; Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P.52.

(٦) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٨٤.

(٧) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص١٠٨.

(٨) نفسه.

أرسلان في طريقه إليها لامتلاكها قاموا وقصدوا حصن زياد بهدف طلب المساعدة من الأمير محمد بن قرا أرسلان وكان على رأسهم الخصي سعد الدين^(١) الذي وُحِدَ بينهم وجمعهم ضد السلطان السلجوقي^(٢).

وبينما كان الأمير الأرمني يستعد للتوجه ناحية ملطية وصلته دعوة من حليفه نور الدين محمود يحثه على تعبئة جيشه والمبادرة بالانضمام إليه لمحاربة السلطان قليج أرسلان، وبالفعل اتحد كل من الأراتقة والزنكيين في الموصل وحلب إلى جانب الدانشمنديين لمحاربة السلطان الذي ترك ملطية ونزل بقواته في قيصرية داخل الأناضول ولكن هذه الجيوش تفرقت دون قتال^(٣).

وعندما أخذت إمارة الدانشمنديين في ملطية بالاضمحلال في أواخر عهد الأمير أفريدون بن ذي القرنين اتجهت أطماع الأراتقة نحو السيطرة عليها، فحرض أمير حصن كيفا محمد بن قرا أرسلان الأرمني سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م الأمير الدانشمندي المخلوع محمد بن ذي القرنين على انتزاع الإمارة من أخيه، مما يجعلنا نقول بأن الأراتقة قد لعبوا دوراً هاماً في إشعال الفتنة بين الأمير محمد وأخيه أفريدون.

ولما تمكن الأمير محمد من استرداد عرش إمارة ملطية وداهمه الخطر السلجوقي سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م لجأ في نهاية المطاف إلى حلفائه الأراتقة في حصن زياد. وقضى بقية أيامه هناك^(٤).



(١) لقبه سعد الدين، واسمه كمشتكين خاتم الأتابك نور الدين محمود. وكان نور الدين قد أنابه عنه في الموصل سنة ٥٦٦ هـ حينما عاد منها إلى الشام، وأمر ابن أخيه سيف الدين غازي بالألّا ينزف عن سعد الدين بشئون الدولة. وبعد وفاة نور الدين قبض ابنه الملك الصالح على هذا الخادم وقتله سنة ٥٧٣ هـ. (ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣٦٤ - ٣٦٥، ٤٤٥).

2) Chalandon: Les Comnene II. P.494.

3) Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.102.

(٢) رضوان نافذ وإسماعيل حقي: سيواس شهري، ص ٣٢.

(٤) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية، ص ١١٤.

١ Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.105., Abdulhaluk Gay: Anadolunun Turklesmesinde. Donum. Noktasi. P.46.

خامساً: علاقات الدانشمنديين (الدبلوماسية)^(١) بالقوى الإسلامية

لم تقتصر سياسة الدانشمنديين الخارجية تجاه القوى المعاصرة لهم على الجانب العسكري فحسب، بل شملت كذلك الجانب الدبلوماسي، حيث حرص الدانشمنديون على إقامة علاقات طيبة مع جيرانهم تجنباً لويلات الحروب. وقد اتخذ أسلوب العمل الدبلوماسي بين الدانشمنديين وهذه القوى عدة صور أهمها: السفارات والرسائل المتبادلة والزيارات. ويمكن تقسيم علاقات الدانشمنديين الدبلوماسية إلى ثلاثة أقسام:

- (١) علاقاتهم بالقوى الإسلامية وهي (دولة سلاجقة الأناضول، والخلافة العباسية، والدولة الزنكية).
- (٢) علاقاتهم بالقوى الأرمنية والصليبية.
- (٣) علاقاتهم بالإمبراطورية البيزنطية.

وسنكتفي في هذا الفصل بدراسة القسم الأول الخاص بعلاقات الدانشمنديين الدبلوماسية مع القوى الإسلامية. أما القسمان الآخران فسوف نتناولهما في الفصلين الخامس والسادس من هذه الدراسة، لاتصالهما بموضوعيهما.

(١) الدبلوماسية: مصطلح قديم يرجع إلى أصول كلاسيكية، واستعمله اليونان القدامى، ثم انتقل منهم إلى الرومان، ومن هؤلاء إلى اللغات الأوربية الحديثة كالفرنسية والإنجليزية، كما انتقل إلى العربية وغيرها من اللغات. والدبلوماسية في أصلها اليوناني القديم اشتقت من فعل «دبلوه» Diploo ومعناه يطوى أو يثنى. ومنه جاء اسم تلك الوثيقة أو المكاتب الرسمية التي تطوى أو تثنى، والتي عُرفت باسم دبلوما Diploma، والتي كان يبعث بها الحكام وأصحاب السلطان بعضهم إلى بعض في علاقاتهم الرسمية، وكانت تخول لحاملها امتيازات ومعاملة خاصة أثناء سفره لأداء المهمة الملقاة على عاتقه. وانتقل المصطلح إلى اللاتينية واستعمله الرومان بشكل مقارب لما درج عليه اليونان. وأصبح الرومان يطلقون كلمة دبلوما على الوثيقة المطوية والموثقة بالختم والتي كانت الدولة تزود بها من تفوضه في مهمة رسمية، وتكفل له رعاية خاصة. (عمر كمال توفيق: الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين. الأسكندرية ١٩٨٦ م، ص ١٧ - ١٨).

١ - علاقات الدانشمنديين «الدبلوماسية» بسلاجقة الأناضول

تعود الصلات الدبلوماسية بين الدانشمنديين والقوى الإسلامية بصفة عامة وسلاجقة الأناضول بصفة خاصة إلى وقت مبكر جداً من قيام الإمارة الدانشمندية في سيواس، عندما أرسل الدانشمند رسائل إلى بعض أمراء البلاد الإسلامية المجاورة وهم الأراتقة في ماردين وميافارقين^(١) وأمد وخرقيرت (حصن زياد)، وبني منكوجك في أرزنجان وديوريكي أخبرهم بزحف القوات البيزنطية ناحية البلاد الإسلامية الخاضعة للدانشمنديين^(٢)، وطلب منهم إمدادات عسكرية^(٣).

وقد تضمنت رسائل الدانشمند إلى هؤلاء الأمراء العبارة التالية: «إن عدواً لدوداً أغار على بلاد الإسلام فإذا كنتم لاتتفقوا جميعاً على مدي بالمعونة، ولم تدفع هذه الفتنة، فهذا هو شديد البلاء، وسوف يكون وبالأعلى الإسلام، وهذا البلاء سوف ينتشر في جميع الأرجاء»^(٤).

وفي الوقت نفسه أرسل الدانشمند سفيراً إلى قونية، قابل السلطان السلجوقي قليج أرسلان بن سليمان بن قتلмыш (٤٨٥ - ٥٠٠ هـ / ١٠٩٢ - ١١٠٧ م) ونقل إليه خبر الهجوم البيزنطي، وطلب منه معونة عسكرية. وقد عرض السفير على السلطان بأن الدانشمند سوف يمنحه جزءاً من غنائم الحرب، ويزوجه ابنته، ويتنازل له عن مدينة أبلستين إذا تحقق له النصر على البيزنطيين^(٥).

والواقع أن الدانشمند خص السلطان السلجوقي دون غيره من حكام المسلمين بهذه الامتيازات لأنه كان يأمل أن يمدد السلطان بقوات عسكرية عاجلة تزيد في حجمها عن تلك القوات التي سوف تصل إليه من البلاد الإسلامية الأخرى، على اعتبار أن السلطان في ذلك الوقت يعد من أقوى زعماء

(١) ميافارقين: مدينة مشهورة بدياربكر. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٢٥).

(٢) لم تحدد المصادر التاريخية التي ساقطت هذه الحادثة زمن وقوعها، ولم تبين كذلك من هم حكام الأراتقة الذين استنجد الدانشمند بهم.

(٣) حمد الله مستوفي: تاريخ كزيدة، ص ٤٧٤؛ ميرخواند: روضة المفاء، جلد چهارم، ص ٣٥٣؛ خواندمير: حبيب السير، جلد دوم، ص ٥٣٨.

(٤) آقسرائي: مسامرة الأخبار، ص ٢٧.

(٥) نفسه.

المسلمين في الأناضول. فضلاً عن قرب المسافة بين الحدود السلجوقية والمنطقة الدانشمندية التي يهددها البيزنطيون.

ابى السلطان دعوة الدانشمند وشارك على رأس جيشه في القتال جنباً إلى جنب مع أمراء المسلمين ضد القوات البيزنطية، فألحقوا بها هزيمة ساحقة^(١). ولما انتصر المسلمون بعث الدانشمند مبلغ مائة ألف درهم ورسالة إلى السلطان طلب فيها أن يمهل بعض الوقت كي يستعد لتجهيز ابنته التي سوف يزفها إليه عندما يقوم بتسليمه مدينة أبلستين^(٢).

اطلع السلطان على رسالة الدانشمند فغضب عليه، وأعاد المائة ألف درهم إليه، وانتهاز هذه الفرصة ليبين أن هدفه الأساسي من القتال الذود عن حياض الإسلام، وليس الرغبة في الحصول على المال، إذ رد على الدانشمند بكتاب قال فيه: أنا ماجئت من أجل المال، ولكن جئت لحماية الإسلام، ولا حاجة لي بدرهم أو دينار^(٣).

والحقيقة أن تنافس كل من الدانشمند والسلطان السلجوقي أحياناً على زعامة الأتراك المسلمين داخل الأناضول جعل الواحد منهما يستغل كل مأخذ على الزعيم الآخر كي يقلل من مكانته. فعندما أطلق الدانشمند سراح صاحب انطاكية بوهمند سنة ٤٩٥هـ / ١١٠٢ م^(٤) عبر السلطان السلجوقي قليج أرسلان عن استيائه من هذا القرار الذي لم يأخذ الدانشمند رأيه فيه بصفته سلطاناً على كافة أنحاء الأناضول، وشريكاً للدانشمند في جهاده ضد الصليبيين. وقد أرسل السلطان كتاباً إلى الدانشمند قال فيه: «أخي الدانشمند، يامن هو من أبناء الترك، لقد كنت معيناً لي في انتصارات الترك حتى اليوم، ولكنك الآن فقدت اسمك وشهرتك لأنك أطلقت سراح بوهمند أشد النصارى خطراً مقابل حفنة من النقود دون أن تستشيرني»^(٥).

وإضافة إلى الرسائل المتبادلة، كانت الزيارات إحدى مظاهر الاتصال

(١) أقسراي: مسامرة الأخبار، ص ٢٧.

(٢) نفسه، ص ٢٧.

(٣) نفسه، ص ٢٨.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٣٤٥.

5) Osman Turan: Selcukiular Zamaninda Turkey Tarihi. P.144.

الدبلوماسي بين الدانشمنديين والسلاجقة، وبالذات في مرحلة الوحدة السياسية التي قامت بين أمير سيواس غازي بن دانشمند والسلطان السلجوقي مسعود بن قليج أرسلان خلال الفترة (١٠٠- ٥٢٩هـ / ١١١٦- ١١٣٥م)^(١) حيث قام السلطان مسعود سنة ٥٢٠هـ / ١١٢٦م بزيارة إلى العاصمة الدانشمندية سيواس قابل خلالها حليفه وصهره الأمير غازي^(٢)، ونتج عن هذه الزيارة اتفاق الجانبين على الخطة العسكرية التي هاجمها بها في العام التالي ٥٢١هـ / ١١٢٧م الأمير السلجوقي عرب بن قليج أرسلان^(٣).

ولقد أثبتت إحدى نساء الأسرة الدانشمندية مهارة فائقة في مجال العمل الدبلوماسي عندما نجحت مرتين في تخفيف حدة التوتر بين السلاجقة والدانشمنديين.

كانت المرة الأولى عندما هاجم السلطان السلجوقي مسعود بن قليج أرسلان مدينة ملطية سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٣م وطلب من أميرها الدانشمندي عين الدولة بن غازي أن يخرج إليه، ويعترف بسيادته، فتحاشى عين الدولة مقابلة السلطان، وكلف زوجته التي كانت ابنة أخي السلطان بمتابعة المفاوضات مع عمها. ولكنها لم تتوصل معه إلى نتيجة. ورغم ذلك ظلت قريبة منه حيث أخذت تتوسل إليه بأن يكف عن تهديدات زوجها، غير أن عمهالم يلتفت إلى وساطتها^(٤). أما المرة الثانية فكانت سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م حينما قامت الأميرة نفسها أيضاً بدور مماثل بين ابنها ذي القرنين بن عين الدولة أمير ملطية، وعمها السلطان مسعود، فقبل السلطان وساطة ابنة أخيه، لكنه اشترط حضور ابنها ذي القرنين بنفسه ليعلن الخضوع أمامه، فخرج إليه حاملاً سيفاً وكفناً، فرحب به السلطان، وأقره على حكم ملطية استجابة لوساطة ابنة أخيه^(٥).

(١) خواند مير: حبيب السير، جلد دوم، ص ٥٣٩.

- Chalandon: Les comnène, II.P.44.

2) Michel le Syrien: Eztrait de chronique. V.3. P.223.

□ خواندمير: حبيب السير، جلد دوم، ص ٥٣٩.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤١.

4) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique. V.3. P.254.

(٥) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ١٠٥.

ولما طرد أهالي ملطية أميرهم الدانشمندي محمد بن ذي القرنين سنة ٥٦٥هـ / ١١٧٠م لجأ إلى العاصمة السلجوقية قونية، وقابل السلطان قليج أرسلان بن مسعود، وطلب منه مساعدته حتى يعود إلى ملطية، ويستعيد منصبه. ولكن السلطان اعتذر منه، واكتفى بتعيينه نائباً له في مدينة هرقله^(١)، فلم يوافق الأمير الدانشمندي على هذا الإقطاع لأنه لا يحقق الغرض الذي لجأ إلى السلطان من أجله^(٢).



(١) هرقله: مدينة ببلاد الروم تقع جنوب شرقي قونية، وتسمى حالياً أراكلية. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٩٨؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص ١٦٦، ١٧٥).

(٢) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ١١٤.

٢ - علاقات الدانشمنديين «الدبلوماسية» بالخلافة العباسية

اعتلى عرش الخلافة العباسية خلال فترة الحكم الدانشمندي في كل من سيواس وملطية سبعة خلفاء، بدءاً من عهد الخليفة المقتدي بأمرالله (٤٦٧هـ - ٤٨٧هـ / ١٠٧٥ - ١٠٩٤م)، وحتى نهاية عهد الخليفة المستضيء بأمرالله (٥٦٦هـ - ٥٧٥هـ / ١١٧٠ - ١١٨٠م)، وكانت الخلافة طيلة هذه الفترة خاضعة لنفوذ سلاجقة فارس والعراق^(١).

وقد حرص الدانشمنديون منذ وقت مبكر على إظهار ولائهم الشديد للخلافة، مما مهد الطريق لقيام اتصالات سياسية مستمرة بين بغداد وكل من سيواس وملطية. فقد زعمت بعض^(٢) الروايات بأن مؤسس إمارة الدانشمنديين في سيواس الأمير كمشتكين أحمد دانشمند حصل على إذن رسمي من الخلافة العباسية في بغداد قبل أن يشرع في فتوحاته داخل الأناضول. كما أعطي منشوراً يمنحه صلاحية حكم الولايات التي يتمكن من بسط نفوذه عليها. وزعم آخرون^(٣) بأن الخلافة العباسية قد أشارت على الدانشمند أن يبدأ بتخليص ثغور بلاد الشام من السيطرة البيزنطية، ولكنه استطاع اقناعها بضرورة توجيه عمله أولاً إلى الأناضول.

وإذا صحت هذه الرواية فإن الدانشمند أراد لأعماله الأولى أن تتم وفق إرادة ومشورة الخلافة، فيبادر الراغبون في الجهاد إلى الانخراط في صفوف جيشه، وبالتالي يكثر عدد أنصاره ويزداد مؤيدوه، فلا يظهر أمام الناس على أنه أمير مغتصب للبلاد التي سوف يستعيدها، سيما وأن الدانشمند قد وجه اهتمامه إلى داخل الأناضول، وهذه المنطقة برمتها - كما هو معروف - تقع تحت

(١) للحصول على مزيد من المعلومات حول وضع الخلافة العباسية إبان العصر السلجوقي انظر: (حسين أمين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي، بغداد ١٩٦٥م)؛ (عبدالنعم حسن: سلاجقة إيران والعراق، ط ٢، القاهرة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م)؛ (حسن محمود وأحمد الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط ٤، الكويت ١٩٨٠م)؛ (محمد مسفر الزهراني: نفوذ السلاجقة السيلبي في الدولة العباسية ٤٤٧ - ٥٩٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).

(٢) عارف علي: دانشمندنامه، ص ٣-٤ هزافن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ٩٩.

- Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.472.

3) Osman Turan: Selcuklular Zamanında Türkiye Tarihi. P.123.; Akkaya Sukru: Kitab-i Mklık Danismend Gazi-Danismend name. P.135.

سيطرة الدولة البيزنطية، وهي إحدى القوى المعادية للخلافة العباسية. وقد قدرت الخلافة العباسية الأعمال العظيمة التي قام بها الدانشمند ضد النصارى داخل الأناضول، يتجلى ذلك من خلال الموقف الإيجابي الذي وقفه الخليفة العباسي المستظهر بالله (٤٨٧-٥١٢هـ / ١٠٩٤-١١١٨م) تجاه الدانشمند حينما نشب الخلاف بين هذا الأمير وبين السلطان السلجوقي قليج أرسلان سنة ٤٩٦هـ / ١١٠٣م^(١) حول إطلاق سراح الأمير الصليبي بوهمند، فعمد السلطان إلى تحريض الخلافة العباسية ضد الدانشمند بدعوى أنه أفرج عن أخطر أعداء الإسلام نظير مبلغ زهيد من المال قبل استشارة الخلافة في ذلك^(٢). وقد باءت محاولات السلطان السلجوقي بالفشل، إذ لم يصدر عن بغداد أي رد فعل تجاه هذه المسألة خوفاً من تصعيد الموقف بين الدانشمنديين والسلاجقة، الأمر الذي قد يؤدي إلى تمزق الجبهة الإسلامية داخل الأناضول.

ولما توفي الدانشمند سنة ٤٩٩هـ / ١١٠٥م^(٣) اتبع ابنه وخليفته في سيواس الأمير غازي (٤٩٩-٥٢٩هـ / ١١٠٥-١١٣٥م) نهج أبيه في علاقاته (الدبلوماسية) مع الخلافة العباسية، فأرسل إلى الخليفة المسترشد بالله (٥١٢-٥٢٩هـ / ١١١٨-١١٣٥م) رأس أمير أنطاكية الصليبي بوهمند الثاني حينما هزمه وقتله في معركة سهل عين زربي سنة ٥٢٥هـ / ١١٣٠م، ومعها هدايا متنوعة ودروع وخيول غنمها من هذه المعركة. فرد الخليفة برسالة استحسان وتشجيع مع بعض الهدايا إلى الأمير غازي^(٤).

وفي سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٥م صدر تشريف الخلافة العباسية الذي يقضي بمنح الأمير غازي لقب ملك^(٥)، حيث أرسل إليه سفارة لتقليده شارة اللقب الجديد. وعندما وصل سفراء الخلافة إلى ملطية وجدوا الأمير غازي مريضاً. ثم وافته

1) Oldenbourg: The Crusades. P.196.

2) Grousset: Histoire des Croisades. V.I. P.398.

3) Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait. Arm.I. P.256.

4) Michel le Syrien: Extrait de la chronique de Michel le Syrien. V.3. P.227; Chalandon: les Comnene II. P.82.; Setton: A History of the crusades. V.3. P.431.

5) Michel le Syrien: Extrait de la chronique. V.3. P.237.

□ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤٧.

المنية في العام نفسه (٥٢٩هـ / ١١٣٥م)، فخلعوا حينئذ على ابنه وولي عهده الأمير محمد وأعلنوه ملكاً^(١).

ولما حصل النزاع سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٦م^(٢) بين الخليفة العباسي الراشد بالله (٥٢٩هـ - ٥٣٠هـ / ١١٣٥ - ١١٣٦م) وبين السلطان السلجوقي غياث الدين مسعود بن محمد^(٣) (٥٢٩هـ - ٥٤٧هـ / ١١٣٥ - ١١٥٢م)، طلب الخليفة النجدة من بعض أمراء المسلمين في الأناضول، وكان من ضمنهم أمير سيواس محمد بن غازي الدانشمندي^(٤). ولكن هذا الأمير كان وقتئذ في وضع لا يسمح له بتلبية طلب الخليفة، إذ أن قواته كانت موزعة على جبهتين إحداهما في ملطية لقمع الحركات التي كان يقوم بها بعض أخوته هناك. والأخرى على حدود إمارته المتاخمة لأرمينية الصغرى حيث كانت القوات البيزنطية بقيادة الإمبراطور حناكومنين تتمركز هناك، وتستعد للانقضاض على مناطق النفوذ الدانشمندي القريبة من أرمينية^(٥).

وليس من المستبعد أن يكون الأمير محمد قد تخاذل عن نصره الخليفة مخافة أن تسوء علاقاته بالسلطان السلجوقي في العراق، حيث كان أكثر أهمية وتأثيراً عليه من الخليفة.

1) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique. P.237.; Chalandon: Les Comnene II. P.89.

(٢) فضلاً عن أحداث هذا النزاع في: ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٤٢٤.

(٣) أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي الملقب غياث الدين، أحد ملوك السلجوقية المشاهير. ولد يوم الجمعة الثالث من ذي القعدة سنة ٥٠٢هـ، ولما تولى السلطنة استوزر شرف الدين أنوشروان بن خالد القاشاني الذي كان وزيراً للخليفة المسترشد، وكان السلطان غياث الدين مسعود عادلاً، لين الجانب، كبير النفس، له مناقب كثيرة، فرق مملكته على أصحابه، ولم يكن له من السلطنة إلا الاسم. توفي بمدينة همدان في اليوم الحادي عشر من جماد الآخرة سنة ٥٤٧هـ. (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٠٠-٢٠٢).

(٤) ابن العمراشي: الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، ط ٢، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٢٢٣.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٥٣؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٥٣.
- Chalandon: Les Comnene II. P.89.

ومما سبق اتضح لنا قيام علاقات (دبلوماسية) بين الخلافة العباسية والدانشمنديين إبان فترة قوتهم. ولكن حينما انغمس أمراء الدانشمنديين في مشاكلهم الداخلية بدءاً من عهد أمير سيواس محمد بن غازي (٥٢٩- ٥٣٧هـ / ١١٣٥- ١١٤٢م) أصيبت هذه العلاقات بالفتور، إذ أننا لم نقف بعد ذلك على أي اتصال (دبلوماسي) بين الجانبين.

* * *

٣ - علاقات الدانشمنديين «الدبلوماسية» بالدولة الزنكية

أشرنا في أثناء دراستنا لعلاقات الدانشمنديين السياسية بالدولة الزنكية إلى أن الأتابك نورالدين محمود تولى حماية أكثر أمراء الدانشمنديين في سيواس من الأخطار الخارجية المحيطة بهم. ولذا فمن الطبيعي أن تجري بين الدولة الزنكية والإمارة الدانشمندية بعض الاتصالات الدبلوماسية.

وكان الأتابك عمادالدين زنكي هو الذي بدأ ذلك عندما أنفذ سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٨م رسائله إلى بعض حكام القوى الإسلامية في بلاد الجزيرة الفراتية والآناضول، وكان من بينهم أمير سيواس محمد بن غازي الدانشمندي، يدعوهم للوقوف إلى جانبه ضد البيزنطيين^(١).

وكان الأمير الدانشمندي ذوالنون بن محمد قد وجد في مدينة دمشق الخاضعة لتفوذ صهره نورالدين محمود ملاذاً آمناً حينما داهمته القوات السلجوقية في قيصرية سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م^(٢).

وعندما هاجمه السلطان السلجوقي قليج أرسلان الثاني في سيواس سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م لجأ هذا الأمير إلى نورالدين محمود الذي كان وقتئذ يقف على رأس قواته في الموصل^(٣). وعند وصول الأمير ذي النون إليه «أكرم نورالدين نزله، وأحسن إليه، وحمل له مايليق أن يحمل إلى الملوك، ووعدته بالنصرة والسعي في رد ملكه إليه»^(٤).



(١) رشيدان: تاريخ الحروب المملوكية، ج ٢، ص ٣٤٦؛ السيد الباز العريني: الشرق الأوسط، ج ١، ص ٥١٥؛ عماد الدين خليل: عماد الدين زنكي، ص ١٤٦.

(2) Cahen: Pre-ottoman Turkey. P.102.

(٣) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص ١٦٠.

(٤) أبو شامة: كتاب الروضتين، ج ١، ص ٥٤٢.

الفصل الخامس

العلاقات السياسية بين الدانشمنديين والقوى الفرنجية

- ١٥ أولاً: جهاد الدانشمنديين مع القوى الإسلامية ضد الحملة الصليبية الأولى.
- ١٦ ثانياً: علاقات الدانشمنديين بإمارة انطاكية الصليبية.
- ١٧ ثالثاً: علاقات الدانشمنديين بإمارة الرها الصليبية.
- ١٨ رابعاً: جهاد الدانشمنديين مع القوى الإسلامية ضد الحملة الصليبية الثانية.
- ١٩ خامساً: علاقات الدانشمنديين الدبلوماسية بالأرمن والصليبيين.

أولاً: جهاد الدانشمنديين مع القوى الإسلامية ضد الحملة الصليبية الأولى

بعد أن تولى الإمبراطور الكسيوس كومنين (٤٧٤-٥١٢ هـ / ١٠٨١-١١١٨ م) عرش الدولة البيزنطية، انتهاز فرصة عقد مؤتمر ديني برئاسة البابا أوربان الثاني Urban II (٤٨١-٤٩٣ هـ / ١٠٨٨-١٠٩٩ م) في مدينة بياكنزا بشمال إيطاليا سنة (٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م) فأرسل مبعوثين من جانبه لحضور هذا الاجتماع، وهناك شرح سفراء الإمبراطور أوضاع النصارى في الشرق تحت الحكم الإسلامي^(١). وعندما انعقد مؤتمر ديني آخر في مدينة كليرمونت بجنوب فرنسا في وقت لاحق من العام المذكور وجه البابا أوربان الثاني الدعوة للاستيلاء على الأراضي المقدسة في فلسطين. وكان أدهيمر أسقف لي بوي Adhemar of le Puy أول من بادر إلى إعلان استجابته لهذه الدعوة، وبالتالي تم ترشيحه مندوباً عن البابوية في الحملة الصليبية الأولى^(٢).

وقد كانت لدعوة البابا صدى واسع النطاق في غرب أوربا حيث أبدى كثير من الناس رغبتهم للمشاركة في هذه الحملة، وبالفعل توجهت إلى القسطنطينية أولى طلائع هذه الحملة وكانت مؤلفة من الفلاحين والفقراء والبسطاء الذين خرجوا للخلاص مما كانوا يقاسونه من ظروف معيشية صعبة في بلادهم، فزحفوا قبل أن يعطوا البابا والأمراء فرصة تنظيم هذه الحملة تنظيماً جيداً من الناحيتين السياسية والحربية، ولهذا السبب عُرفوا باسم الحملة الشعبية أو حملة العامة^(٣)، وكانوا بزعامة بعض القادة مثل والتر الملقب بالمفلس Walter the Penniless، وبطرس الناسك وغيرهما، وعند وصول حملة العامة إلى

(١) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٥٦. ؛ باركر أرشت: الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، ص ٢٣.

2) Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem. P.8; Stevenson: The Crusaders in the East. P.6; Ostrogorsky: History of the Byzantine State. P.320.

(٢) انتوني بروج: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة أحمد غسان وشيبل الجيروني، دمشق ١٩٨٥ م، ص ٣٩-٣٨. ؛ السيد الباز العريني: الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١، ص ١٥٠-١٥١. ؛ سعيد علشور: الحركة الصليبية، ج١، ص ١٣٨-١٣٩.

العاصمة البيزنطية سنة ٤٩٠هـ / ٣٠ يوليو ١٠٩٦م^(١)، نصح الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنن قواد الحملة بعدم التوغل داخل الأناضول حتى تلحق بهم القوات الصليبية النظامية القادمة من الغرب، إلا أنهم تجاهلوا ذلك وهاجموا بعض المدن السلجوقية المحاذية للقسطنطينية وفجأة وجدوا أنفسهم وجهاً لوجه أمام قوات السلاجقة قرب العاصمة السلجوقية^(٢) نيقية^(٣).

ويبدو أن الصليبيين أخذوا ببعض الانتصارات التي أحرزوها خلال المناوشات المبكرة التي جرت بينهم وبين السلاجقة فهاجموا العاصمة نيقية، إلا أن السلاجقة ألحقوا بهم خسائر فادحة فأجبروهم على التراجع إلى القسطنطينية، وهناك أخذوا ينتظرون مقدم الحملة النظامية المعروفة بحملة الأمراء التي وصلت أولى مجموعاتها في نفس العام ٤٩٠هـ / نوفمبر ١٠٩٦م بقيادة جودفري أوف بويون Godfrey of Bouillon وإخيه بلدوين Baldwin، ثم جاءت المجموعة الثانية بقيادة بوهمند أكبر أبناء الزعيم النورماني روبرت جويسكارد ومعه ابن اخته تانكرد Tancred^(٤). كذلك وصلت في نفس العام للمجموعة الصليبية الثالثة القادمة من إقليم بروفانس Provence تحت زعامة ريموند الصنجيلي Raymond Saint Gilles، وكان بصحبته الأسقف أدهير Adhemar الذي اختاره البابا ليكون نائباً عنه في القيادة العليا لهذه الحملة^(٥). وقد اكتمل عقد حملة الأمراء بقدوم المجموعة الرابعة المكونة من الفرنسيين بزعامة روبرت النرمندي Robert of Normandy، وصهره ستيفن Stephen،

(١) ابن القلانسي: نيل تاريخ لمشق، ص ١٣٤. المؤلف المجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص ١٩.

2) Anna Comnena: The Alexiad. P.311.

(٣) نيقية: من أعمال استانبول على البر الشرقي، وقد عرفها الترك باسم يزنيق أو أزنيق (الهروي: كتاب الإشارات، ص ٥٨. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٩٠).

4) Albert of Aix: Historia Hierosolymitana. PP.313-314; Setton: A History of the Crusades. V.I. P.289; Ostrogorsky: History of the Byzantine State. P.321.

□ إسحاق عبيد: روما وبيزنطة، مصر ١٩٧٠م، ص ٩٤-٩٨.

(٥) المؤلف المجهول: أعمال الفرنجة، ص ٢٢. أنتوني ويست: الحروب الصليبية، ترجمة شكري محمود شديم، بغداد ١٩٦٧م، ص ٥٤.

وابن عمه روبرت الثاني^(١) Ropert II وخلال إقامة الأمراء الصليبيين في العاصمة البيزنطية وافق معظمهم على أداء يمين الولاء للإمبراطور البيزنطي وإعادة جميع المدن البيزنطية التي يقومون بتحريرها إليه، مقابل أن يقدم لهم كل المساعدات العسكرية والمادية التي يحتاجونها^(٢). وبعد أن أمضى الصليبيون قرابة أسبوعين في القسطنطينية عبروا البسفور، ونفذوا إلى الممتلكات السلجوقية وحاصروا نيقية. وكان الإمبراطور البيزنطي قد انتقل إلى مدينة بيليكانيوم Pelekanum القريبة من نيقية ليتسنى له أن يراقب الأحداث عن كثب، فيما أرسل فرقة عسكرية بقيادة بوتومايتز Boutoumites لكي تساند القوات الصليبية التي تحاصر نيقية^(٣). وكان السلطان السلجوقي قليج أرسلان في ذلك الوقت بعيداً عن نيقية حيث كان قد دخل في صراع مع كمشتكين الدانشمند من أجل السيطرة على مدينة ملطية^(٤).

ولم يكتفِ السلطان السلجوقي في بادئ الأمر بأخبار هذه الحملة بدليل أنه ترك أسرته وأمواله داخل نيقية معتقداً أن حاميتها سوف تتمكن من إنزال هزيمة أخرى بالصليبيين كما فعلت قبل ذلك بحملة العامة أتباع بطرس الناسك^(٥).

ولم يتنبه السلطان السلجوقي كذلك إلى ضخامة القوات الصليبية إلا في وقت متأخر. وعند ذلك بعث بقسم من قواته للدفاع عن نيقية، واشتبك الجانبان في قتال عنيف ودارت الدائرة على الجيش السلجوقي فلاذ بالفرار تاركاً نيقية

1) Ostrogorsky: History of the Byzantine State. P.322.

١- رنسيهان: تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص٢٣٦. سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص١٦٠.

2) Albert of Aix: Historia Hierosolymitana. P.314; The Cambridge Medieval History. Volume IV. P.215.

3) Anna Comnena: The Alexiad. P.330; Setton: A History of the Crusades. V.I. P.289; Vasiliev: History of the Byzantine Empire. V.2. P.408.

4) Radulph of Caen: Gesta Tancredi. P.616; Oldenbourg: The Crusades. P.88; Grousset: Histoire des Croisades. V.I. P.28.

5) Setton: A History of the Crusades. V.II. P.289.

١- رنسيهان: تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص٢٥٠. سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص١٦٢.

تواجه مصيرها المحتوم حيث قال السلطان قليج أرسلان لأهل نيقية «اعملوا من الآن وصاعداً ما ترونه مناسباً»^(١) وانطلق مسرعاً إلى ملطية حيث اتفق مع الدانشمند على وقف القتال، والاتحاد معاً لصد الخطر الصليبي الذي يهدد كافة القوى الإسلامية داخل الأناضول وخارجها^(٢).

وفي هذه الأثناء استسلمت حامية مدينة نيقية السلجوقية بعد اتصالات سرية جرت بين رجال الحامية وبوتومايتز ممثل الإمبراطور البيزنطي في الجيش الصليبي، وذلك مقابل تأمين سلامة أرواح عائلة السلطان وجميع سكان المدينة أثناء خروجهم منها^(٣).

وقد أدى سقوط مدينة نيقية سنة (٤٩٠هـ / يونيو ١٠٩٧م) إلى رفع الروح المعنوية لدى الصليبيين وشجعهم ذلك على المضي قدماً لمواصلة زحفهم على بقية مدن الأناضول، فقاموا بتقسيم قواتهم إلى قسمين، أحدهما كان يضم نورمان إيطاليا بزعامة بوهمند ونورمان فرنسا بزعامة روبرت، واتجه هذا القسم ناحية شمال شرقي الأناضول، أما القسم الآخر ويضم المندوب البابوي أدهيمر ومعه جودفري بويون وريموند الصنجيلي فقد زحف إلى جهة الجنوب الشرقي، وقد اتفق قواد هذين القسمين على اللقاء عند مدينة^(٤) «دوريليوم»^(٥).

وفي الوقت الذي شاع فيه خبر سقوط نيقية بأيدي الصليبيين والبيزنطيين في أرجاء الأناضول كان السلطان السلجوقي قليج أرسلان قد نجح في إقناع الدانشمند بتكوين جبهة تركية إسلامية لمنع الخطر الصليبي من التغلغل داخل

(١) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ١٣٤.

□ Anna Comnena: The Alexiad. P.334.

2) Oldenbourg: The Crusades. P.90; Setton: A History of the Crusades. V.I. P.290.

3) Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem. P.38; Anna Comnena: The Alexiad. P.338; William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.I. P.166.

4) Albert of Aix: Historia Hierosolymitana. P.327; William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.I. P.169; Setton: A History of the Crusades. V.I. P.292.

(٥) دوريليوم: هي مدينة درولية وتسمى حالياً أسكي شهر وتقع غرب العاصمة التركية أنقرة (لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٦٧).

الأناضول. ومن ثم حشد الأتراك المسلمون جيشاً هائلاً تحت إمرة ثلاثة من كبار زعمائهم وهم السلطان قليج أرسلان وحاكم سيواس الأمير كمشتكينز الدانشمند، والأمير حسن^(١) أحد أمراء كبادوكيا، وقد اتخذت الجيوش الإسلامية مواقعها في واد قرب دوريليوم حيث نصبوا كميناً استعداداً للانتقاض على الصليبيين الذين كان يرفقتهم سرية بيزنطية يقودها تاتيكيوس Taticius^(٢).

وعندما اجتمعت القوات الصليبية من جديد عند الجسر الذي يقع على النهر الأزرق^(٣) في قرية لويكي تقرر تقسيم الجيش مرة أخرى إلى قسمين وذلك لحل مشكلة المؤونة بحيث يسبق أحدهما الآخر، ويفصل بينهما يوم واحد. وتولى بوهمند قيادة المجموعة الأولى واتخذ طريقه إلى دوريليوم، في حين تولى ريموند قيادة المجموعة الثانية^(٤).

وأثناء عبور بوهمند وقواته فوق سهل دوريليوم^(٥) في (شعبان ٤٩٠هـ / يونيو ١٠٩٧م) انقضت عليهم الكمين الإسلامي بشكل سريع، وكان أفرادهم يصرخون

(١) يرى كلود كلان أن الأمير حسن هو الأمير بولداجي أحد أمراء الأناضول الذي برز بعد وفاة سليمان بن قتلمش سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م. انظر كتابه: Pre-Ottoman Turkey, P.78. ولكننا نعتقد أن المقصود بالأمير حسن هو حسن بن أيوب أحد قواد الدانشمند الذين سبقت الإشارة إليهم في الفصل الثاني من هذا البحث، وقد ثبت أن حسن بن أيوب قد لقي مصرعه في إحدى حروبه ضد الصليبيين. انظر:

□ Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend. tome.I. P.127.

2) Albert of Aix: Historia Hierosolymitana. P.329; Anna Comnena: The Alexiad. P.341; William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.I. P.169.

(٢) النهر الأزرق: أحد روافد نهر الفرات، وهو يتحد إلى شمال غربي حصن منصور (السترنج: بلدان الخلافة، ص ١٥٦).

4) Setton: A History of the Crusades. V.I. P.292; Oldenbourg: The Crusades. P.90.

[أ] رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ٢٦٨.

□ August C. Krey: The First Crusade. (Gloucester Mass Peter Smith 1978) p.113.

(٥) كان الموقع الدقيق للمعركة موضع خلاف بين بعض المؤرخين، ففي حين أشارت أنكومنين إلى أنها حدثت فوق سهل دوريليوم. انظر: (The Alexiad. P.341) ذكر البورت أكس بأنها وقعت في وادي بيجورجانهي Degorganhi الذي يعرف الآن باسم أوزيليس Ozellis. انظر: (Historia Hierosolymitana. P.329).

بأعلى أصواتهم مرددين عبارة «الله أكبر» فأمر بوهمند فرسانه بأن يترجلوا ويسارعوا إلى نصب المتاريس في الحال، واثناء قيامهم بذلك كان بوهمند قد ركب فرسه، وأخذ يطوف بالصفوف ليرفع معنويات جنوده ويقول: «أنتم أقوى الفرسان (المسيحيين)، وإمامكم معركة ضارية يتم التجهيز لها حولنا الآن، وعلى كل فرد منكم أن يتقدم بشجاعة نحوهم»^(١)، وأخبرهم أن الفرار مستحيل، والاستسلام يعني الوقوع في الأسر مدى الحياة^(٢). وما أن فرغ الجنود من إعداد المتاريس حتى أحاط بهم الجيش الإسلامي^(٣) من كل جانب. وقد ضاقت بهذا الجيش المرتفعات والجبال والأودية والسهول المحيطة بأرض المعركة. وأخذوا يرشقون أفراد الجيش الصليبي بقطع الأخشاب والسهام بطريقة لا تحتمل.

وإثناء القتال بعث بوهمند رسولا إلى الجيش الصليبي الثاني يحثه على التعجيل في سيره للمشاركة في هذه المعركة^(٤). وبوصول هذا الجيش ودخوله إلى ساحة القتال حدث ارتباك في صفوف الأتراك المسلمين، ولم يستطيعوا أن يحولوا دون اجتماع الجيشين، بعكس الصليبيين الذين تشجعوا، وقويت روحهم المعنوية، وأعدوا ترتيب صفوفهم من جديد، وشن القواد الصليبيون هجوماً شاملاً على الأتراك المسلمين، وأخذ كل قائد منهم يذكر زميله الآخر بما سوف يحصلون عليه من غنائم وأموال طائلة إذا تحقق لهم النصر^(٥).

(١) المؤلف المجهول: أعمال الفرنجة، ص ٣٩.

□ Albert of Aix: Historia Hierosolymitana. P.329.

2) Setton: A History of the Crusades. V.I. P.293.

(٢) ليس هناك تقدير دقيق لعدد أفراد الجيشين الإسلامي والصليبي فقد أشار المؤلف المجهول إلى أن عدد جيش الأتراك المسلمين يبلغ ثلاثمائة وستين ألف مقاتل (أعمال الفرنجة، ص ٤٠) وقال المؤرخ العظيمي أن قوام جيش الفرنج اثناء عبوره إلى القسطنطينية ثلاثمائة ألف رجل (تاريخ العظيمي، ص ٢٧١) أما ابن العديم فقال بأن عدد الفرنج اثناء زحفهم إلى بلاد الشام حوالي ثلاثمائة وعشرين ألف شخص (زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٣٠-١٣١).

(٣) المؤلف المجهول: أعمال الفرنجة، ص ٣٩-٤٠.

□ William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.I. P.170; Oldenbourg: The Crusades. P.90.; James A. Brundage: The Crusades. (Milwaukee Wisconsin 1976) PP.50-51.

5) William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.I. P.172; Setton: A History of the Crusades. V.I. PP.293-294.; Oldenbourg: The Crusades. P.90.

□ رشيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج ١، ص ٢٦٣.

ويعرو أحد^(١) المؤرخين الصليبيين قدرة القوات الصليبية على تحويل مسار المعركة لصالحها إلى قدوم الفرقة الصليبية الثانية بقيادة جودفري ورفاقه بعد بداية المعركة بوقت قليل. كما زعم بعض المستشرقين^(٢) أن خطة أدهيمر هي التي أربكت الجيش التركي الإسلامي عندما ظهر فجأة ومعه كتيبة من صليبي جنوب فرنسا من التلال الواقعة خلف المواقع التركية الإسلامية، وهذا الشيء لم يضعه الأتراك المسلمون ضمن حساباتهم، كما أنهم لم يتوقعوا أن وقت المعركة سيطول إلى هذا القدر حيث استمرت المعركة حوالي ست ساعات دون انقطاع، الأمر الذي سبب إرباكاً لهم، وجعلهم يترددون بين الصمود والانسحاب، ولكنهم وجدوا أنفسهم مجبرين على الانسحاب ناحية الشرق عبر مضائق الجبال، ومنازل السهول تاركين وراءهم كامل معسكرهم الذي وقع في أيدي الصليبيين فعاثوا فيه، وسلبوا كل غنائمه وثرواته. ثم اقتفى الصليبيون أثرهم مدة أربعة أيام حتى بلغهم أن السلطان السلجوقي قليج أرسلان أحد الزعماء الثلاثة في الجبهة التركية الإسلامية ترك بقية القواد وانسحب هو ورجاله إلى التلال المجاورة^(٣).

أما بالنسبة للأميرين الدانشمند وحسن فقد توجهوا إلى مدينة هرقلية. وبالرغم من انتصار الصليبيين في هذه المعركة فإنهم واجهوا مصاعب جمة، وقد وصف مؤرخ^(٤) صليبي أحوالهم أثناء هذه المعركة بقوله: «ولم تجد مانسد به رمقنا سوى الشوك الذي كنا نقتله، ونسحقه بأيدينا لنأكله وهو الطعام الذي عشنا عليه ونحن في أشد حالات الضنك. وعندما تعرضت جيادنا للهلاك اضطر عدد كبير من فرساننا أن يسيروا مترجلين، وركب جماعة منا الثيران، وقمنا بجمع الكلاب والماعز والخراف لحمل أمتعتنا».

(١) المؤلف المجهول: أعمال الفرنجة، ص ٤١.

2) Setton: A History of the Crusades. V.I P.294; Ernle Bradford: The Sword and The Selmitar -Saga of Crusades. London 1974. PP.55-56.

٣- انترني بروج: تاريخ الحروب الصليبية، ص ٧٢.

3) Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem P.108., Setton A History of the Crusades. V.I. PP.293-294., James A Brundage The Crusades. PP.50-51

(٤) المؤلف المجهول: أعمال الفرنجة، ص ٤٢.

وبعد أن استراح الجيش الصليبي مدة يومين في دوريليوم^(١) بدأ قادته في بحث خط السير الذي سوف يسلكونه أثناء زحفهم إلى الشرق، وقد تبين لهم أن الطريق الحربي البيزنطي في وسط الأناضول يخترق إقليم كبادوكيا الذي يسيطر عليه الدانشمنديون لذلك لا يمكن الاطمئنان إليه. واستمع قادة الحملة إلى نصيحة مبعوث الإمبراطور البيزنطي المرافق لهم وهي السير عبر الطريق القديم الذي يجتاز صحراء الأناضول، فتحرك الصليبيون من دوريليوم في شعبان ٤٩٠هـ / ٣ يوليو ١٠٩٧م، واتفقوا أن تكون كل فرق الجيش على اتصال ببعضها لتجنب ماسبق أن تعرضوا له من أخطار في دوريليوم، وشق الجيش طريقه صوب الجنوب الشرقي عبر هضبة الأناضول حتى وصل إلى قونية، وعسكر على ضفاف إحدى أنهارها مدة يومين. وفضل نصيحة بعض الأرمن المقيمين بالقرب من قونية حمل العساكر معهم من الماء ما يكفيهم حتى يصلوا إلى وادي مدينة هرقله الخصب^(٢). وعند هذه المدينة التقى الصليبيون مرة أخرى بالقوات التركية الإسلامية التي كانت تتربص بهم بقيادة كل من الدانشمند والأمير حسن الذي قاد بمفرده ثمانين ألف مقاتل من المشاة المسلحين تسليحاً جيداً^(٣). ونشب بينهما قتال شديد، وكان بوهمند يقود ميمنة الجيش الصليبي، فتولى مهمة البحث عن القوات الدانشمندية. ولقد أشار بعض المؤرخين^(٤) إلى أن الأميرين التركيين كانا يأملان من حضورهما إلى هرقله إجبار الصليبيين عند رؤيتهم على اجتياز جبال طوروس إلى ساحل البحر المتوسط، وعدم سيرهما عبر الطريق الحربي المؤدي إلى أملاكهما في كبادوكيا، لكن الصليبيين عندما

1) Ernle Bradford: The Sword and The Scimitar - Saga. P.56.

2) William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.I. P.178.; Ostrogorsky: History of the Byzantine State. P.322.; Setton: A History of the Crusades. V.I. P.295.

□ رنسيما: تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص٢٦٨. عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص١٦٧.
3) Anna Comnena: The Alexiad. P.342.; Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P.181.

4) Setton: A History of the Crusades. V.I. P.295.; Grousset: Histoire des Croisades V.I. P.38

ل رنسيما: تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص٢٦٩.

شاهدوا الأتراك المسلمين يادروا إلى مهاجمتهم، ولم تكن لدى الترك المسلمين وقتئذ الرغبة في القتال، ولهذا أسرعوا إلى الانسحاب ناحية الشمال.

وتقول المؤرخة البيزنطية أناكومنين^(١) أن الصليبيين تذكروا هنا وصية والدها الإمبراطور قلم يقوموا بمطاردة الأتراك المسلمين.

وبعد سقوط مدينة هرقله بأيدي الصليبيين^(٢) تعددت أمامهم الطرق المؤدية إلى أنطاكية التي كانت أحد الأهداف الرئيسة لهم، فبالإضافة إلى الطريق القصير الذي يمر فوق جبال طوروس عبر الممر الكبير لبوابات أرمينية الصغرى فقد تيسر لهم طريق آخر يؤدي إلى أنطاكية عبر قيصرية ومرعش^(٣).

وكان تاتيكيوس Taticius موفد الإمبراطور قد نصح بهذا الطريق، وقبل بعض القادة مشورته، في حين عارضه كل من تانكرد وبلدوين وبقية الأمراء الذين يحملون في نفوسهم كرهاً للبيزنطيين. فاتخذوا من هذا السبب ذريعة للانفصال عن بقية الجيش الصليبي، ومن ثم سلكوا الطريق الذي يمر عبر جبال طوروس إلى أرمينية^(٤).

أما بالنسبة للجيش الرئيس فقد تحرك ناحية الشمال الشرقي إلى قيصرية، وعند قلعة أغوستوبوليس^(٥) Augustopolis اصطدموا بالأتراك المسلمين بقيادة الأمير حسن فالحق الصليبيون بهم هزيمة أخرى، وأجلوهم عن هذه القلعة^(٦).

وفي غضون ذلك وضع الصليبيون أيضاً أيديهم على حصن مجاور لهذه القلعة من حصون الأرمن، فبادروا بتسليمه إلى أمير أرمني معادٍ للترك المسلمين يدعى «سيمون»^(٧). وعندما وصلوا إلى مدينة قيصرية وجدوها

1) Anna Comnena: The Alexiad. P.342.

2) Anna Comnena: The Alexiad. P.342.; Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P.116.

3) Setton: A History of the Crusades. V.I. P.296.; Vasiliev: History of the Byzantine Empire. V.II. P.408.

4) Setton: A History of the Crusades. V.I. P.296.; Oldenbourg: The Crusades. P.93.

٥) أغوستوبوليس: هذا هو الاسم البيزنطي لقلعة قيرشهر التركية الواقعة على بعد ثمانين ميلاً غرب مدينة قيصرية في وسط الأناضول (لسترنج: بلدان الخلافة، ص ١٧٩).

6) Anna Comnena: The Alexiad. P.342.

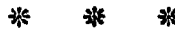
٧) المؤلف المجهول: أعمال الفرنجة، ص ٤٥.

مهجورة تماماً، وأسرعوا في الحال إلى الجنوب الشرقي ناحية مدينة كومانانا^(١) Comana. وكان الدانشمنديون يحاصرون هذه المدينة، إلا أنهم ابتعدوا عنها عند علمهم بمسير الصليبيين إليها^(٢).

ولما وصل الجيش الصليبي إلى كومانانا طلب سكانها من المندوب البيزنطي أن يعين حاكماً لهم يتولى أمر المدينة باسم الإمبراطور، فرشح لهذه الوظيفة أحد القواد وهو «بطرس الأبوسي Petrus de Alpibus» وتقدم الجيش الصليبي من كومانانا إلى مدينة كوكسن Coxon وهي «جُكشن الحالية» فأقام بها ثلاثة أيام^(٣).

وحينما أراد الصليبيون الانتقال من جُكشن إلى مرعش لم يسلكوا الطريق المعتاد وذلك خوفاً من أن يكون الأتراك المسلمون قد أعدوا لهم كميناً فيه حيث سلكوا طريقاً وعراً بالغ الضيق ناحية الجنوب حتى وصلوا إلى الوادي الذي يقع على مشارف مرعش. ومن هناك اتجهوا إلى أنطاكية فوصلوها في اليوم الثاني من شوال سنة ٤٩٠هـ / ٢٠ أكتوبر ١٠٩٧م^(٤).

ومما سبق تبين لنا أن الحملة الصليبية الأولى شقت طريقها عبر بلاد الأناضول بعد أن حققت انتصارات عديدة على جيوش الأتراك المسلمين، وبعد أن وصلت إلى مشارف بلاد الشام من ناحية الشمال بدأ بعض قادتها في تنفيذ أحد أهدافهم المتمثل في تكوين إمارات صليبية مستقلة ذات مواقع استراتيجية، وذلك على حساب البلاد الإسلامية.



(١) كومانانا: إحدى مدن أرمينية الصغرى وأصبحت تسمى بلاسنتيا Placentia.

Setton: A History of the Crusades. V.I. P.297.

2) Grousset: Histoire des Croisades. V.I. P.38; Oldenbourg: The Crusades. P.93.

(٣) المؤلف المجهول: أعمال الفرنجة، ص ٤٦.

Grousset: Histoire des Croisades. V.I. P.38.

(٤) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ١٣٤. ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٢٧٤. المؤلف المجهول: أعمال الفرنجة، ص ٤٩٤٧.

Setton: A History of the Crusades. V.I. P.298; James A. Brundage: The Crusades. P.51.

ثانياً: علاقات الدانشمنديين بإمارة أنطاكية الصليبية

دخلت قوات الفرنج أنطاكية التي كانت تحت سيطرة الأمير ياغي سيان^(١) يوم الأحد ٢ شعبان سنة ٤٩١هـ / ٣ يونيو ١٠٩٨م وذلك بعد حصار طويل استطاع خلاله القائد بوهمند أن يوطد صلته بقائد أحد أبراج المدينة ويدعى فيروز^(٢) الأرمني الذي كان يضمّر في نفسه كرهاً شديداً للأمير ياغي سيان، حيث سمح للفرنج بالتسلل ليلاً إلى أنطاكية عن طريق البرج الذي يتولى حراسته. وكان ياغي سيان قد استنجد ببعض أمراء المسلمين في الشام والموصل، فأسرعوا للدفاع عن المدينة. وقد لقي ياغي سيان مصرعه عندما حاول الهروب عنها بعد تشديد الحصار عليها. وخاض المسلمون بقيادة أمير الموصل كربوقا^(٣) حرباً شرسة ضد الفرنج، ولكن المسلمين هُزموا، فدخلت قوات الفرنج مدينة أنطاكية^(٤). وقد حدث بين قواد الجيش الصليبي نزاع شديد حول من يتولى إدارة مدينة أنطاكية منهم إلا أن الأمور مالبتت أن استقرت بينهم، وظفر بوهمند بالحكم ليصبح بذلك مؤسس أول إمارة صليبية في أنطاكية^(٥).

(١) أورد ابن الأثير اسمه هكذا «ياغي سيان بن محمد بن الب التركماني». (الكامل: ج ١٠، ص ٢٧٥). وهو أحد قواد السلطان السلجوقي ملكشاه بن الب أرسلان، وكان بصحبته عند قدومه إلى أنطاكية سنة ٤٧٩هـ حيث تسلمها السلطان من الحسن بن طاهر وزير سليمان ابن قتلمش وولى عليها ياغي سيان، وظل أميراً عليها حتى اقتحمها الفرنج سنة ٤٩١هـ. (ابن العديم: زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٠١).

(٢) أشارت بعض المصادر العربية إلى أن اسمه «زّراد» من الزّرّانين ويُعرف برؤّبه (ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ١٣٥). ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٢٧٤.

(٣) كربوقا: قوام الدولة أبوسعيد كربوقا من قواد السلطان السلجوقي ركن الدين بركيارق. وقد ملك كربوقا مدينة الموصل في ذي القعدة سنة ٤٨٩هـ. وتوفي سنة ٤٩٥هـ عند مدينة خري بأذربيجان. (ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٢٥٨، ٣٤١).

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ١٠٥. ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٢٧٤. ابن شداد: الأعلام، الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ميكروفيلم بمكتبة جامعة الإمام بالرياض رقم ٦٠. ملف ورقة ١٢/ب).

(٥) العظيمي: تاريخ العظمي، ص ٣٧٣. ابن العديم: زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٣٤.

□ Vasiliev: History of the Byzantine Empire. V.2. P.408.; Cambridge Medieval History. V.IV. P.741.

□ لمعرفة المزيد من التفاصيل عن هذه الإمارة الصليبية طالع: حسين محمد عطية: إمارة أنطاكية الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية لعام ١٩٨١م.

وفي مستهل حكم الأمير بوهمند تعرضت انطاكية لبعض الأخطار الخارجية وقد جاء أولها من الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين الذي رأى أن بوهمند قد خدعه، وحث باليمين الذي قطعه على نفسه بتسليمه انطاكية فور استعادتها من المسلمين^(١).

وفي سنة ٤٩٣هـ / ١١٠٠م وقع بوهمند أسيراً بيد أمير سيواس الدانشمندي وذلك عند قيامه بالدفاع عن مدينة ملطية التي كان الدانشمند يحاصرها بغية انتزاعها من حاكمها جبريل الأرمني^(٢).

وقد اختلفت الروايات حول تحديد مكان إقامة بوهمند أثناء نهوضه لمساعدة أمير ملطية فيذكر المؤرخ اللاتيني فولشر دي شارتر^(٣) أن بوهمند لم يكن بعيداً عن ملطية حينما هاجمتها القوات الدانشمندية غير أنه لم يحدد موقعه بصورة دقيقة. وحسب هذه الرواية فإن بوهمند كان يرى آنذاك أن ملطية يجب أن تؤوّل إليه نتيجة العلاقات الطيبة التي تربطه بأمرها جبريل.

أما المؤرخ رادولف دي كان^(٤) فيشير إلى أن بوهمند حينما علم عن طريق جواسيسه أن القوات الدانشمندية فرضت حصارها حول ملطية التي تبعد مسيرة عشرة أيام أو أكثر عن انطاكية جمع قواته، وهرع مسرعاً إليها لرفع الحصار عنها. ونجد في بعض^(٥) المصادر العربية تطابقاً مع هذه الرواية فهي تذكر بأن بوهمند حينما بلغه خبر هجوم الدانشمند على ملطية كان وقتئذ قد نزل في حصن أفامية^(٦)، فعاد مسرعاً إلى انطاكية، وحشد جيشاً قصد به ملطية.

وقد ساق المؤرخ ابن العديم^(٧) رواية تختلف عن الروايات السابقة حيث قال

1) Stevenson: The Crusaders in the East. P.12.; Ostrogorsky: History of the Byzantine State. P.323.

2) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.188.

١- ابن الأثير: الكامل، ج١، ص٣٠٠؛ أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٢١٢.

3) Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem. P.135.

4) Radulph of Caen: Gesta Tancredi. P.704.

٥) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص١٣٨؛ العظيمي: تاريخ العظيمي، ص٣٧٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج١، ص٣٠١.

٦) حصن أفامية: مدينة حصينة من سواحل الشام (ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٢٢٧) وهي حالياً تقع شمال غرب دمشق على بعد ٢٥٦ كلم (أكرم وفؤاد الساطع: الدليل الأخضر، ص٧٧).

٧) زبدة الحلب، ج٢، ص١٤٥.

أن بوهمند كان وقت الهجوم الدانشمندي على ملطية يستعد لحصار مدينة حلب، وحشد لذلك جيشاً في المُشْرِفة في الناحية الجنوبية من حلب. وبعد يوم أو يومين من ذلك الغى بوهمند خطته التي ترمي إلى محاصرة حلب، وزحف إلى ملطية للدفاع عنها.

ويبدو أن حروب بوهمند في شمال الشام ضد كل من أمير حلب السلجوقي رضوان بن تنش، وأمير مرعش ثاتول الأرمني^(١) خلال الفترة التي سبقت الهجوم الدانشمندي على ملطية هي التي أوجدت اللبس حول مكان وجوده وقت وقوع هذا الهجوم. وكان بوهمند في أنطاكية حينما طلب جبريل مساعدته. أو ربما أنه كان في طريقه عائداً إليها من شمال الشام، حيث بادر على الفور بتجميع قواته، وهرع مسرعاً إلى ملطية لي فك عنها الحصار الدانشمندي المضروب عليها بعد أن أقسم صاحبها ثلاثة أيمان بتسليم مدينته للصليبيين إذا وقفوا إلى جانبه في محنته^(٢). وفي الوقت الذي اكتفى فيه أحد المؤرخين^(٣) بالقول أن بوهمند خرج إلى ملطية ومعه بعض رفاقه، ذكر ابن الأثير^(٤) أن هذا الأمير ورد على ملطية في خمسة آلاف مقاتل، في حين ذهب البعض^(٥) إلى القول بأن جيش بوهمند كان قليلاً حيث لا يتجاوز عدده ثلاثمائة فارس وهناك من قدر عدده بخمسمائة فارس^(٦).

(١) كانت مرعش تحت سيطرة الأمير الأرمني فيلاريتوس براخامبوس، ولكن الأتراك المسلمين استعانوا منه، ثم انتقلت منهم بحدود سنة ١٠٩٠هـ / ١٠٩٧م إلى الصليبيين الذين سلموها بدورهم إلى الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين، فعهد بحكمها إلى الأمير ثاتول الأرمني، وظل فيها حتى سنة ١١٠٤هـ / ١١٠٤م حين أخذها الصليبيون منه. (علية الجنزوري: إمارة الرها الملبية، القاهرة ١٩٧٥م، ص ٣٤).

(٢) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.188.

(٣) Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem. P.135.

(٤) الكامل، ج ١٠، ص ٣٠٠.

(٥) Stevenson: The Crusaders in the East. P.73; Cahen: la Syrie de Nord ou Temps des Croisades. P.228.

٦- رنسيهان: تاريخ الحروب الملبية، ج ١، ص ٤٥٣.

(٦) Grousset: Histoire des Croisades. V.I. P.379

ولقد عزا بعضهم^(١) خروج الأمير الصليبي بهذا العدد القليل من العساكر اعتقاداً منه بأنه سيتمكن من قهر الدانشمند بهذه القوة الصغيرة العدد، فسار وصعد التلال التي تفصل ملطية المحاصرة عن وادي نهر آق صو^(٢)، ولكن الدانشمند تربص له في ذلك الموضع، وقام بنصب الكمائن في أماكن متعددة^(٣). ومن الملاحظ هنا أن أكثر المصادر لم تتفق فيما بينها بشأن تحديد الموقع الذي جرى فيه القتال بين الطرفين، ففي حين اكتفى بعضها^(٤) بالإشارة إلى أن القتال حدث في مكان ليس ببعيد عن ملطية، نجد ابن العديم^(٥) يذكر بأن الدانشمند لقي بوهمند بأرض مرعش. ومن المحتمل أن هذه الموقعة قد حدثت بالفعل في مكان يتوسط بين ملطية ومرعش، ومعروف أنه ليس هناك مسافة تذكر بين هاتين المدينتين ومما يرجح هذا الاحتمال الوصف الذي أورده المؤرخ رادولف دي كان^(٦) لهذه المعركة حيث ذكر أن الدانشمند لما علم باقتراب بوهمند منه تراجع بجيشه كعادة الأتراك في القتال ورفع الحصار عن ملطية وانسحب عنها قليلاً، وعند وصول بوهمند إلى ملطية لم يجد حولها أحداً من الأتراك فعقد مجلساً للتشاور مع رجاله، فأشاروا عليه التقدم ببطء شديد، ثم التريث لنيل قسطاً من الراحة، ولكن بوهمند رفض هذا الرأي، وانطلق لمطاردة القوات الدانشمندية. وفجأة انقضت عليه الكمائن التي نصبها الدانشمند من كل جانب، وجرى بين الجانبين قتال مرير في شهر ذي القعدة سنة ٤٩٣هـ/

(١) رنسيان: تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ٤٥٣.

(٢) Grousset: Histoire des Croisades. V.I. P.379; Cahen: la Syrie de Nord ou Temps des Croisades. P.228.

(٣) آق صو: أحد منابع نهر جيحان الذي يقع في جنوب شرقي الأناضول (استرنج: بلدان الخلافة، ص ١٥٥).

(٤) Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem. P.135; Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.230; Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.188.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج١، ص ٣٠٠؛ أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص ٢١٢.

(٦) Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem. P.135; William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.I. P.411.

(٥) زبدة الحلب، ج٢، ص ١٤٥.

(6) Radulph of Caen: Gesta Tancredi. P.705.

١٥ أغسطس ١١٠٠م تكبد خلاله اتباع بوهمند من الفرنج والأرمن خسائر فادحة^(١)، ووقع بوهمند نفسه في الأسر، كما لقي كل من أسقف أنطاكية سيبريان Cyprien، وأسقف مرعش جريجوري Gregoire حتفهما في هذا القتال. وقد لاذ بعض الناجين من المعركة بالفرار، واتجهوا صوب مدينة الرها^(٢).

ويزعم بعض المؤرخين^(٣) بأن هزيمة بوهمند سببها الخيانة التي قام بها بعض أمراء الأرمن في هذه المنطقة خوفاً من أن يقوم بوهمند بتجريدهم من أملاكهم بعد استيلائه على ملطية، فعاتبوا جبريل على دعوته له. فتنبه أمير ملطية وأدرك أنه قد أخطأ، وبالتالي كتب للدانشمند يخبره بقدم بوهمند.

وعندما رأى جبريل أن بوهمند قد وصل إلى مكان قريب من ملطية يسمى جافينا Gafina، أخذ يعمل على تأخير خادعاً إياه بكلمات كاذبة ريثما يفرغ الدانشمند من نصب الكمائن لبوهمند استعداداً للقبض عليه.

أما المؤرخ متى الرهاوي^(٤) فقد زعم أن سبب هزيمة بوهمند عدم إكترائه بالقوات الدانشمندية، فقد كان يسير قبل وصوله إلى خصمه قرب ملطية في أمان تام دون أن يتخذ الاحتياطات اللازمة (حتى أن جنوده خلعوا دروعهم، وتجربوا تماماً من معداتهم العسكرية، وتزينوا بالحلي وكأنهم قد خرجوا إلى مناسبة دينية، واعتمدوا على عبيدهم في العناية بأسلحتهم).

وهكذا دفع بوهمند الثمن غالياً من جراء عدم مبالاته حيث أصيب بجروح، ووقع أسيراً في أيدي الدانشمنديين الذين زحفوا لمواصلة حصار ملطية^(٥). وقد

(١) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ١٣٨. ؛ العظمي: تاريخ العظمي، ص ٢٧٤. ؛ ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٣٠٠. ؛ ابن الوردي: تنمة المختصر، ج ٢، ص ٢١.

□ Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem. P.135.

2) Radulph of Caen: Gesta Tancredi. P.705.; Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.231.; William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.I. P.411.

3) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.188.

ل. ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٣٦.

4) Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I. PP.230-231.

5) Radulph of Caen: Gesta Tancredi. P.705.; Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem. P.135.; William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.I. P.411

عمد الدانشمندیون إلى إثارة الرعب في نفوس أهل ملطية، فرفعوا رؤوس القتلى على أسنة الرماح، وكشفوا عن الأسرى وهم مكبلين بالأغلال، وكانوا متوقعين أن يبادر أهل ملطية بتسليم المدينة^(١). ولكن الدانشمندیين مالبثوا أن انسحبوا إلى سيواس عند سماعهم بخبر زحف أمير الرها الصليبي بلدوين البولوني إليهم. وجرى إرسال الأسيرين بوهمند وريتشارد إلى نيكسار (قيصرية الجديدة) حيث تقبر سجنهما هناك^(٢).

وكان لحادثة أسر بوهمند ردود فعل متباينة لدى الأوساط الإسلامية والبيزنطية والصليبية. فبالنسبة للمسلمين فقد أثار هذا النبأ موجة الحماسة داخل صفوفهم، حيث انتهز بعض الأمراء المسلمين هذه الفرصة لاستعادة أملاكهم التي سلبها الفرنج منهم. وتحقيقاً لهذا الهدف فقد حاول أمير حصن كيفا وآمد سقمان بن أرتق (٤٩٥-٤٩٨ هـ / ١١٠١-١١٠٤ م) استرداد بلدة سروج^(٣) التي ضمها بلدوين إلى إمارة الرها، وأسرع سكان المدينة لعقد معاهدة مع الأمير سقمان^(٤). كذلك تشجع أمير حلب رضوان بن تتش السلجوقي (٤٨٨-٥٠٧ هـ / ١٠٩٥-١١١٣ م)^(٥) وخرج لكي يستولي على مزارع الغلال المجاورة لحلب ونصب معسكره قرب^(٦) سرمين^(٧). كما أن أمير حمص جناح الدولة حسين^(٨) (٤٨٩-٤٩٦ هـ / ١٠٩٥-١١٠٢ م) أتابك رضوان بن تتش^(٩) استغل من جانبه غياب بوهمند فاسترد مدينة

1) Grousset: Histoire des Croisades. V.I. P.380; Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend. tome.I. P 95.

□ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ٤٥٤.

2) Radulph of Caen: Gesta Tancredi. P.705; Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem. P.135; Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.231.

٣) سروج: بلدة قريبة من حران من نيار مضر (ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص ٢١٦).

4) Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.232.

١) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص ٥٢٨، ٤٨٣.

٢) العظمي: تاريخ العظمي، ص ٣٧٤؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص ٥٠٩.

٣) سرمين: بلدة مشهورة من أعمال حلب (ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص ٢١٥).

٤) جناح الدولة حسين أتابك الملك فخر الملوك رضوان بن تتش. وشب عليه نفر من الباطنية فقتلوه وهو يؤدي صلاة الجمعة مع جماعة من أصحابه وذلك سنة ٤٩٦ هـ. (ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ١٣٣، ١٤٢).

٥) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ١٤٢؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص ٤٨٧، ٤٩١.

طرطوس^(١)، وشمالى معرة النعمان^(٢)، وأسفونا^(٣). واجتاح كذلك جبل السّماق^(٤)، إلا أن عمله الأخير أدخله في مواجهة مع سيده أمير حلب رضوان بن تتش^(٥). وفي الجانب البيزنطي أصبح الإمبراطور الكسيوس كومنين متفائلاً أكثر من أي وقت مضى في مسألة عودة أنطاكية إلى حوزة الإمبراطورية، حيث كان بوهمند قبل أسره قد رفض مراراً كل الدعوات التي وجهها الإمبراطور إليه لتسليمه مدينة أنطاكية وذلك التزاماً باتفاق القسطنطينية الذي تم بين الإمبراطور وأغلب أمراء الحملة الصليبية ومن بينهم بوهمند، ويقضي الاتفاق بتسليم جميع المدن التي يستولي عليها الصليبيون من المسلمين إلى الإمبراطور^(٦). ولم يكن الغرض من الحملة العسكرية التي أرسلها الإمبراطور إلى أرمينية الصغرى فور بلوغه خبر أسر بوهمند انتزاع المدن البيزنطية التي سيطر عليها بوهمند قبل أسره فحسب، بقدر ما كانت تهدف إلى استطلاع أحوال أنطاكية والتعرف على إمكانية القيام بهجوم بيزنطي مفاجئ عليها^(٧).

أما بالنسبة للصليبيين فقد استفاد بعضهم فائدة كبيرة من أسر بوهمند؛ ففي أنطاكية قرر أصحاب الرأي فيها استدعاء تانكرد وهو ابن أخت بوهمند الذي كان يحكم إقليم الجليل بفلسطين ليتولى الوصاية على مدينتهم^(٨). ويلاحظ

(١) طرطوس: بلدة في الشام مشرفة على البحر قرب عكا والمرقب (ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٣٠).

(٢) معرة النعمان: مدينة قديمة من أعمال حمص بين حلب وحماة، وقد سميت بذلك نسبة إلى الصليبي النعمان بن بشير الذي توفي له ولد فدفنه بها، وأقام في هذه المدينة (ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص١٥٦).

(٣) أسفونا: حصن كان بالقرب من معرة النعمان بالشام (ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص١٧٩).

(٤) جبل السّماق: جبل عظيم من أعمال حلب الغربية يشتمل على مدن وقرى وقلاع كثيرة. (ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص١٠٢).

5) Cahen: la Syrie de Nord ou Temps des Croisades. P.230.

6) Albert of Aix: Historia Hierosolymitana. P.314.; Anna Comnena: The Alexiad. P.340.; Vasiliev: History of the Byzantine Empire. V.2. P.410.; Ostrogorsky: History of the Byzantine State. P.323.

7) Chalandon: Essai sur le Regne D'Alexis I er Comnene (1081-1118) Paris 1900. P.221.; Cahen: la Syrie de Nord ou Temps des Croisades. P.230.

8) Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem. P.28.

أن استدعاء تانكرد إلى أنطاكية قد سبقه بوقت قليل وفاة ملك بيت المقدس^(١) جودفري أخو بلدوين أمير الرها، وبرحيل تانكرد عن الجليل استطاع بلدوين الذي قدم إلى بيت المقدس ليحل محل أخيه أن يتخلص من أخطر منافسيه في فلسطين. ولكن تانكرد أثناء مغادرته سنة ٤٩٤هـ/ مارس ١١٠٠م اشترط على بلدوين أنه في حالة عودة خاله بوهمند من الأسر ينبغي عليه أن يرد إليه كامل إقطاعه في فلسطين. ولذا كان من مصلحة كل من بلدوين وتانكرد ألا يجري التعجيل بإطلاق سراح بوهمند. وعلى هذا الأساس لم يقوما بأية محاولة للتفاوض مع أسريه^(٢).

ونرى أن شعور كل من تانكرد وبلدوين تجاه بوهمند لا يعبر بالضرورة عن شعور بقية أمراء الصليبيين الذين كانوا يعتبرون الأمير الأسير بطلاً من أبطالهم^(٣).

في سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م وصلت إلى القسطنطينية حملة صليبية جديدة متجهة إلى الشرق، وعند استقبال الإمبراطور البيزنطي الكيسوس كومنين لرجال الحملة نقل إليهم خبر حادثة أسر بوهمند، وفي الوقت ذاته نصحهم بضرورة سلوك الطريق المعتاد الذي سلكته الحملة الصليبية الأولى وهو الطريق الذي يمر من نيقية ودوريليوم وقونية ويؤدي إلى الأراضي المقدسة في فلسطين. ولكن عندما استقرت هذه الحملة في معسكر أقيم بالقرب من نيقوميديا^(٤)

(١) بيت المقدس: مدينة جليلة قديمة البناء كانت تسمى إيلياء وهي على جبل يصعد إليها من كل جانب. وتعد ثاني أكبر مدينة بفلسطين بعد مدينة الرملة. فيها مسجد بيت المقدس وموضع الصخرة وهي من أخصب بلاد فلسطين على مر الأوقات. وفي سورها موضع يعرف بمحراب داود النبي عليه السلام. تقع إلى الجنوب منها على بعد ستة أميال مدينة بيت لحم. انظر: (ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٥٨؛ الأديسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٥٨).

2) William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.I. P.415.; Stevenson: The Crusaders in the East. P.73.

□ رنسيمن: تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٥٧؛ زكي النقاش: العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية، بيروت ١٩٥٨م، ص ٢٤؛ إسحاق عبيد: روما وبيزنطة، ص ١٢٩.

(٢) رنسيمن: تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٤٢.

(٣) نيقوميديا: إحدى مدن الأناضول تقع شمال العاصمة السلجوقية نيقية، وقد عرفها البلدانابون العرب باسم نيقودية، وسماها الترك (أزنكميد) ثم اختصروها إلى أزميد وهو ما تعرف به اليوم (لسترنج: بلدان الخلافة، ص ١٩٠).

Nicomedia نشب جدل بين أمرائها، حيث أصر اللومبارديون^(١) منهم الذين كانوا يؤلفون نصف هذا الجيش الصليبي على أن يكون إنقاذ بوهمند الأسير في مدينة نيكسار أول عمل يقومون به^(٢). ورغم معارضة بعض رجال الحملة وعلى رأسهم قائدها ريموند دي تولوز Raymond of Toulouse لهذا الرأي فإن اللومبارديين تمسكوا بطلبهم، سيما وأنهم وجدوا مساندة من بعض الأساقفة المرافقين لهم ولذلك تغير مسار الحملة، ولم تسلك الطريق الذي نصح به الإمبراطور. ولاشك أن هذا يعد مغامرة من جانب اللومبارديين لأن الأمير الدانشمندي كان قد احتاط لنفسه، وحمل أسيره إلى أعماق بلاده في قلعة نيكسار بالقرب من الساحل الجنوبي الشرقي للبحر الأسود. وهذا يعني أن على أفراد هذه الحملة التوغل في أقصى شمال شرقي الأناضول على بعد حوالي ألف كيلو متر من البوسفور باتجاه منطقتي أرمينية الكبرى والقوقاز.

ويبدو أن أصحاب هذا الرأي قد تجاهلوا كل هذه الصعوبات الاستراتيجية. ومن الجائز أنهم قد خططوا للقيام بنهب بعض المدن الدانشمندية الواقعة على خط سيرهم إذا لم يتمكنوا من تخليص بوهمند^(٣). ونزولاً عند رغبة اللومبارديين فقد سلك قواد هذه الحملة الطريق المؤدي من نيقوميديا إلى مدينة أنقرة^(٤) الخاضعة للسلاجقة فهاجموها واستولوا عليها، وأعادوها للبيزنطيين^(٥).

وعندما علم السلطان قليج أرسلان باستيلاء الصليبيين على أنقرة كتب إلى الدانشمند يخبره بذلك ويحثه على الاستعداد لقتالهم^(٦). فبادر الدانشمند عند تلقيه النبأ بالكتابة إلى حلفائه من أمراء المسلمين في البلاد المجاورة يدعوهم

(١) سبق التعريف باللومبارديين في الفصل الثالث، ص (٨٠).

2) Setton: A History of the Crusades. V.2. P.354.; Grousset: Histoire des Croisades. V.I. P.324.; Oldenbourg: The Crusades. PP.176-177.; Cahen: la Syrie de Nord ou Temps des Croisades. P.231.

ل. رسيمن: تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٤٢.

3) Grousset: Histoire des Croisades. V.I. P.324.

4) Setton: A History of the Crusades. V.2. P.355.

□ Boase (T.S.R.): Kingdom and Strongholds of the Crusades. London 1971. P.32.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ١، ص ٣٠٠ + ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ١٨٨.

6) Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I P.243

إلى الوقوف بجانبه ضد الصليبيين الذين اتجهوا ناحيته في شمال شرقي الأناضول.

وصل الصليبيون إلى مدينة جانجرا Gangra الواقعة جنوب بافلاجونيا فوجدوا أن تحصيناتها القوية تحول دون تدميرها، فتركوها متجهين إلى مدينة قسطنطيني Kastmuni، وفي طريقهم إليها تعرضت مقدمة الجيش الصليبي لهجوم مباغت من الأتراك المسلمين راح ضحيته سبعمئة مقاتل من اللومبارديين^(١).

وقد أجبرت هذه الحادثة رجال الحملة على أن يسلكوا الطريق الرئيسي عبر نهر قزل إيرماق (هاليس سابقاً) لأنه يؤدي مباشرة إلى مدينة أماسيا التي كان يحكمها الأمير إسماعيل بن دانشمند^(٢)، وإلى مدينة نيكسار التي يوجد بوهمند أسيراً فيها^(٣).

وعند وصول الصليبيين إلى مدينة مرسيفان Mersivan الواقعة بين أماسيا ونهر قزل إيرماق اتضح لهم أنهم دخلوا حدود بلاد الدانشمند الذي حشد إلى جانبه قوات تركية إسلامية هائلة ضمت كلاً من أمير حلب رضوان بن تنش، وأمير مدينة حران^(٤) قراجا التركي^(٥)، والأمير الأرمني بك بن بهرام حاكم مدينتي سروج وبالو، إضافة إلى السلطان السلجوقي قليج أرسلان.

أعد القائد الصليبي العام ريموند جيشه لخوض المعركة ضد القوات الإسلامية، وتمت المواجهة بين الطرفين عند سهل أولوس Aulos الذي يبدو

1) Oldenbourg: The Crusades. P.178.; Grousset: Histoire des Croisades. V.I. PP.326-327.

٢) أشار كل من ابن الأثير وابن خلدون إلى أن الفرنج حاصروا قلعة فيها إسماعيل بن دانشمند ولكن هذين المؤرخين لم يذكر اسم تلك القلعة. انظر (الكامل، ج ١٠، ص ٣٠٠؛ العبر، ج ٥، ص ١٨٨). وقد أشار بعض المؤرخين المحدثين إلى أن إسماعيل بن دانشمند كان أميراً على أماسيا أثناء حصار الفرنج لها. انظر: حسين حسام الدين، تاريخ أماسيا، ج ٢، ص ٣٠١-٣٠٢؛ Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.140.

3) Setton: A History of the Crusades. V.2. P.355.

٤) حران: قصبة نيار مضر قريبة من الرها والرقعة (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣٥).
٥) قراجا التركي أحد مماليك السلطان السلجوقي ملكشاه بن ألب أرسلان. توفي سنة ٥٠٦هـ، وقام ولده قرجان مكانه، وكان ظالماً مثل أبيه. (ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٣٧٣، ٤٩٣).

انه احد سهول مدينة مرسيفان حسما اشار إليه المؤرخ متى الرهاوي^(١). واستمرت هذه المعركة عدة أيام. ففي اليوم الأول تصدى الصليبيون للهجوم الذي قام به فرسان الأتراك المسلمين، وفي اليوم الثاني (يوم الأحد) رد الصليبيون على القوات التركية الإسلامية بهجوم عنيف واقتحموا قلعة إسلامية حصينة قرب مدينة مرسيفان، ولكنهم اثناء عودتهم إلى المعسكر وقعوا في كمين نصبه لهم القائد كمشتكين الدانشمند وفقدوا فيه كل ماسلبوه من غنائم، كما سقط منهم رجال كثيرون. وفي يوم الإثنين خطب رئيس اساقفة ميلانو انسلم دي بويه Anselm of Buis في أفراد الجيش الصليبي حتى يرفع من روحهم المعنوية المنهارة وحثهم على الاعتراف بذنوبهم، كما عرض عليهم بعض الآثار التي كانت مقدسة عندهم.

ولما انتهى الأسقف من خطبته اتفق قواد الصليبيين على تقسيم الجيش إلى خمسة فرق هي (البرجنديون Burgundians، وريموند وقواته، والألمان، والفرنجة الغربيون، واللومبارديون الذين تقرر أن يكونوا في مقدمة الجيش)^(٢). تقدم الجيش الصليبي إلى الأمام، في حين أخذت القوات التركية الإسلامية بقيادة الدانشمند تمارس ضدهم تكتيكها العسكري المعتاد الذي يقوم على المناوشة لخفض معنويات العدو دون أن يلتحموا معه في قتال شديد^(٣). ومن جراء ذلك وقع الاضطراب بين الصليبيين، وأخذ الناجون من قوادهم يلوذون بالفرار تحت جناح الظلام الواحد يتلو الآخر، ثم اقتفى الجنود أثرهم، وأخذ الأتراك المسلمون كل ماتركه الصليبيون من غنائم^(٤).

1) Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.243; Cahen: la Syrie de Nord ou Temps des Croisades. P.231.

2) Setton: A History of the Crusades. V.2. P.356.

3) Grusset: Histoire des Croisades. V.I. P.327; Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend. tome.I. PP.96-97

4) Chalandon: Les Comnène I. P.227; Setton: A History of the Crusades. V.2. P.357; Oldenbourg: The Crusades P.179

١- رشميان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٤٥.

وقد بالغت بعض المصادر التاريخية^(١) في ذكر عدد أفراد الجيش الصليبي الذي خاض هذا القتال حيث قالت بأنه مكون من ثلاثمائة ألف مقاتل لم ينج منهم سوى ثلاثة آلاف أكثرهم كانوا يعانون من جروح خطيرة. إذ أنه ليس من المعقول أن يكون هذا الجيش مساوياً في عدده لقوات الحملة الصليبية الأولى التي قدر عدد أفرادها بحوالي ثلاثمائة ألف مقاتل خاصة إذا علمنا أن الجيش الصليبي الأخير لم يعد أساساً للدخول في قتال منفرد مع المسلمين قبل انضمامه إلى قوات الحملة الصليبية الأولى التي سبقتها بالحضور إلى البلاد الإسلامية بحوالي أربع سنين. وقد أشرنا إلى أن الحملة الأخيرة قد التحمت مع قوات الأتراك المسلمين داخل الأناضول نتيجة إلحاح وضغط من جانب رجال الفرقة اللومباردية الذين كانوا يشكلون نصف أفراد الحملة حينما أصروا على إنقاذ بوهمند من الأسر مهما كلفهم الثمن.

وهناك تقديرات آخر حول عدد أفراد الجيش الصليبي (اللومباردي) أشار إليها بعض المؤرخين^(٢) وهي أكثر واقعية حيث ذكروا بأن عدده يتراوح ما بين مائة ألف إلى مائتي ألف شخص. وأن ربع هذا العدد كانوا من المدنيين نساءً وأطفالاً ورجالاً طاعنين في السن. وقد سقط منهم في ميدان المعركة حوالي مائة وستين ألف قتيل.

ولقد ترتب على هذه المعركة نتائج بالغة الأهمية شملت كل الأطراف المشتركة بها. فالصليبيون أخفقوا في تحقيق مبتغاهم بإطلاق سراح بوهمند، كما أن هوة الخلاف قد اتسعت بين الصليبيين والبيزنطيين عندما ألقى رجال هذه الحملة الصليبية باللوم على الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين واعتبروه مسئولاً عن الكارثة التي حلت بهم على أساس أنه قادهم إلى طريق يخضع لسيطرة الأتراك المسلمين ليلقوا حتفهم فيه^(٣).

1) Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.244.

□ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ١١٤. ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٢٠٠. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٥٨. ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٢١٢.

2) Oldenbourg: The Crusades. P.176., Grousset: Histoire des Croisades. V.I. P.327.

3) Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.244.; Setton: A History of the Crusades. V 2. PP.357-358.

ونرى أن الصليبيين قد تحاملوا بهذا الاتهام على الإمبراطور لأنه - كما عرفنا - قد نصحهم بأن يسلكوا طريق الحملة الصليبية الأولى فلم يعملوا بنصيحته. وقد طرح أحد الباحثين^(١) رأياً حول هذا قال فيه إن الصليبيين حاولوا التقليل من شجاعة وبراعة الأتراك المسلمين بقيادة الأمير الدانشمندي كمشتكين وما طبقوه من خطط بارعة لتحقيق النصر، فاتخذوا الإمبراطور البيزنطي كبش فداء كي يلقوا عليه مسئولية الهزيمة الساحقة التي حلت بهم.

أما بالنسبة لآثر هذه المعركة على الدانشمنديين فإنها أعادت لهم الروح المعنوية التي كانوا قد فقدوها من جراء الهزائم المتتالية التي لحقت بهم من الصليبيين أثناء سير جيوش الحملة الأولى في الأناضول، إذ لم يلبث الدانشمند عقب هذه المعركة مباشرة أن واصل فتوحاته في منطقة نهر الفرات حتى وصل عند حدود مدينة الرها^(٢). ولم يكد الدانشمنديون يخلدوا إلى الراحة قليلاً بعد انتصارهم في مرسيفان حتى فوجئوا بقوات صليبية آخر مكونة من خمسة عشر ألف من الفرسان والمشاة بقيادة وليم الثاني كونت نيفر Conte de Nevers تجتاز قونية في طريقها إلى هرقة، وكانت هذه القوات قد تحركت من القسطنطينية صوب الشرق على أمل أن تلتحق بالحملة اللومباردية لكي تنضم إليها، وقد حاول نيفر السيطرة على عاصمة السلاجقة قونية لكنه فشل في ذلك. وكانت القوات التركية الإسلامية قد تفرقت عن الدانشمند فاستنجد بالسلطان السلجوقي قليج أرسلان وأسرعاً معاً لملاقاة هذا العدو الجديد حيث اتجهوا ناحية الجنوب لدخول مدينة هرقة قبل وصول القوات الصليبية إليها، ونصب الأتراك المسلمون الكمائن على امتداد الطريق المؤدي إلى هذه المدينة^(٣)، وما أن عبره الصليبيون حتى طوقهم الأتراك المسلمون من كل ناحية فانهارت

(١) علي الغامدي: المجاهد المسلم كمشتكين بن دانشمند، ط١، الطائفة ١٤١١هـ، ص ٤٨.

(٢) رشيمان: تاريخ الحروب الملبية، ج ٢، ص ٤٧؛ السيد الباز العريني: الشرق الأوسط، ص ٣٨١.

3) Chalandon: Les Comnène I. P.228.; Grousset: The Crusades. V.I. P.329.; Setton: A History of the Crusades. V.3. P.359.; Irene Melikoff: La Geste de Melik Danışmend. tome.I. P.97.; Laurent: Sur les Emirs Danichmendites Jusqu'en 1104. P.173.

مقاومتهم بعد معركة قصيرة ولقي معظم رجال الجيش الصليبي مصرعهم ولم ينج منهم إلا بعض القادة وفي مقدمتهم وليم الثاني كونت نيفر وعدد قليل من الفرسان حيث تمكنوا من الهروب إلى أنطاكية^(١).

وبعد أيام قلائل من المعركة السابقة وذلك في العام نفسه ٤٩٥هـ / ١١٠١م، شق جيش صليبي ثالث مؤلف من الفرنسيين بقيادة وليم التاسع دوق اكيثانيا William of Aquitaine والألمان بقيادة ولف الرابع دوق بافاريا وسط الأناضول في طريقه إلى هرقله التي كانت خاضعة للدانشمنديين فيادر سكانها إلى إخلائها لتمكين القوات الدانشمندية من التمرکز في المواقع الاستراتيجية داخل المدينة. وحينما انتشر الجيش الصليبي في الغابات الواقعة على شاطئ نهر هرقله انقض عليه الدانشمنديون، وألقوا به هزيمة ساحقة، حيث لقي بعض قادته حتفهم في هذه المعركة، كما جرح آخرون، وكان من بين الجرحى القائد هيو كونت فرماندو Vermando الذي توفي فيما بعد متأثراً بذلك^(٢).

أما بالنسبة للأميرين وليم التاسع وولف الرابع فقد تمكنوا من الفرار بصعوبة وتوجها إلى أنطاكية حيث قررا الإقامة هناك بعض الوقت.

أخذ وليم التاسع خلال تواجده في أنطاكية يُحرّض كلاً من أمير الرها بلدوين الثاني (٤٩٤-٥١٢هـ / ١٠٠١-١١١٨م)، وأمير أنطاكية تانكرد على السعي من أجل فك أسر بوهمند، حيث رأى أن الوقت قد حان للاعتماد على الصليبيين المقيمين في هذه المنطقة للقيام بهذه المهمة العسيرة التي فشلت في تحقيقها كل المحاولات العسكرية التي أقدم عليها الصليبيون القادمون من الغرب الأوربي^(٣).

1) Oldenbourg: The Crusades. P.182.; Brehier Louis: The Life and Death of Byzantium V.5.P.219.; Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. PP.476-477.

□ رنسيما: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٤٨.

2) Radulph of Caen: Gesta Tancredi. P.709.; Cahen: la Syrie de Nord ou Temps des Croisades. P.231.

3) Radulph of Caen: Gesta Tancredi. P.709.; Setton: A History of the Crusades. V.3 PP 359 362., Chalandon: Les Comnène I. P.228.

□ رنسيما: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٥٢.

وليس من الواضح ما إذا كانت بصيحة وليم التاسع لأمرء الصليبيين هي وحدها التي جعلت هؤلاء يبادرون للتفاوض مع الدانشمند من أجل الإفراج عن بوهمند؟ أم أنه كان للأخبار التي وصلت في ذلك الوقت إلى مسامع الصليبيين عن وجود مفاوضات سرية بشأن بوهمند بين الدانشمند والإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين^(١) دور مؤثر في تحريك هؤلاء الأمراء لتخليص زميلهم من الأسر؟

تعددت الآراء حول الأسباب التي دفعت بالدانشمند إلى إيقاف التفاوض مع الإمبراطور البيزنطي بشأن بوهمند واتجاهه إلى التفاوض مباشرة مع الصليبيين. حيث زعم بعض المؤرخين^(٢) أن تدخل السلطان السلجوقي قليج أرسلان في هذه المفاوضات وإصراره على اقتسام نصف الفدية التي سيدفعها الإمبراطور للدانشمند قد أوصل هذه المفاوضات إلى طريق مسدود حيث أراد الدانشمند حرمان السلطان السلجوقي من هذه الأموال، ولم يجد وسيلة تؤدي إلى ذلك سوى التخلي عن مفاوضات الإمبراطور.

ويرى أحد الدارسين^(٣) بأن تفضيل الأمير الدانشمندي العرض الصليبي - رغم قلته - على العرض البيزنطي دليل على أنه كان سياسياً بعيد النظر فهو يعرف أن قيامه بتسليم بوهمند للإمبراطور البيزنطي قد يؤدي بالإمبراطورية إلى انتزاع أنطاكية وقليقية (أرمينية الصغرى) مما يجعلها تطوق بمتلكات الدانشمنديين والسلاجقة في الأناضول من ناحيتي الغرب والجنوب الأمر الذي يخدم الهدف البيزنطي العتيد الرامي إلى طرد الأتراك المسلمين من كل أنحاء الأناضول.

أخلى الدانشمند سبيل أسيره بوهمند فعاد سنة (٩٩٥هـ / ١١٠٣م)^(٤) إلى

1) Vasiliev: History of the Byzantine Empire. V.2. P.410; Oldenbourg: The Crusades. P.196.

2) Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend. tome.I. P.100; Oldenbourg: The Crusades. P.196; Osman Turan: Selcuklular Zamanında Türkiye Tarihi. P.143; Grousset: Histoire des Croisades. V.I PP.396-397.

(٢) علي الغامدي: كمشتكين بن دانشمند، ص ٧٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٣٤٥.

أنطاكية، واستقبله أهلها استقبالا حافلاً^(١).

وكما كان لأسر بوهمند ردود فعل واسعة النطاق فإنه كان لإطلاق سراحه ردود فعل مماثلة لدى الأوساط الصليبية والإسلامية؛ فالصليبيون استبشروا بعودته، وبخاصة في أنطاكية، أما المسلمون فقد أزعجهم كثيراً إطلاق سراح بوهمند، ونتج عن هذا الحدث أن ثارت الشحنة بين الدانشمند وبين حليفه السلطان السلجوقي قليج أرسلان، كما ظهر استياء القوى الإسلامية الأخر من الدانشمند. ويصور ابن الأثير^(٢) شعور هذه القوى من سلوك الدانشمند بقوله: «ولما خلاص بيمند (بوهمند) من أسره عاد إلى أنطاكية فقويت نفوس أهلها به، ولم يستقر حتى أرسل إلى أهل العواصم وقنسرين^(٣) وماجاورها يطالبهم بالأتاوة، فورد على المسلمين من ذلك ماطمس المعالم التي بناها الدانشمند».

ولما استقرت الأمور لبوهمند في أنطاكية شرع يحارب جيرانه المسلمين بشراسته المعروفة، وهاجم بعض البلدان التابعة لرضوان بن قتش أمير حلب ولم ينسحب عنها إلا بعد أن دفع له الأمير رضوان مبلغاً من المال^(٤). ويظهر أن بوهمند كان يهدف من مهاجمة بعض البلدان الإسلامية إلى استرداد الأموال التي اقتترضها الصليبيون للحصول على الفداء اللازم لإطلاق سراحه^(٥). ولم تتوقف أطماع بوهمند في البلاد الإسلامية عند حدود حلب فحسب بل خرج في سنة ٤٩٧هـ / ١١٠٤م لمساعدة بلدوين الثاني أمير الرها ضد قوات المسلمين. واشترك بوهمند مع ابن اخته تانكرد، وجوسلين أمير مريش في الهجوم على مدينة حران الخاضعة لسيطرة الأمير قراجا التركي، وذلك لكي يصرفوا أنظار المسلمين عن الرها. فدارت معركة حامية نتجت عن مصرع عدد كبير من

1) William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.I. P.451; Brehier Louis: The Life and Death of Byzantium. V.5. P.219; Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.478.

(٢) الكامل، ج ١٠، ص ٣٤٥.

(٣) قنسرين: تقع جنوب غرب مدينة حلب في سوريا على بعد ١٥ كم (الكرم وفؤاد الساطع: الدليل الأخضر، ص ٩٧).

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٤٧. ١٤٨. ابن الشحنة: الدر المنتخب، ص ٢١٧.

(٥) السيد البار العريني: الشرق الأوسط، ص ٣٨٤. سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٠٩.

الصليبيين، ووقع أمير الرها بلدوين في الأسر في حين فر كل من تانكرد وبوهمند إلى الرها^(١).

وقد خسر بوهمند أعداداً كبيرة من جنوده في هذه المعركة، وضعفت الروح المعنوية في جيشه، كما تجاهل بوهمند مسألة أسر حليفه بلدوين ولم يبادر إلى اقتدائه، الأمر الذي أدى إلى جعله عرضة لكره وسخط المسلمين والبيزنطيين والصليبيين. ومن ثم أصبح لزاماً عليه أن يبقى في إمارته فيزداد وضعه سوءاً، وإما أن يعود إلى أوروبا ليقوم بمغامرة جديدة. وقد اختار بوهمند الطريق الثاني، وأتاب عنه في إمارة أنطاكية ابن أخته تانكرد، ثم أبحر إلى إيطاليا، وبقي هناك حتى مات سنة ٥٠٥هـ / ١١١١م^(٢).

وفي سنة ٥٢٠هـ / ١١٢٦م آل الحكم في إمارة أنطاكية إلى بوهمند الثاني، وقد أظهر هذا الأمير أنه لا يقل حقدًا وخطرًا على المسلمين من أبيه^(٣). وقد وصف مؤرخ معاصر^(٤) وصوله إلى الحكم بأنه «بلية عظيمة على المسلمين» إذ أنه تطلع إلى استعادة كل المدن التي كانت تخضع في السابق لإمارة أنطاكية سواء ماكان منها بأيدي الأرمن أو المسلمين. ولهذا فقد زحف سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م على رأس جيش صغير إلى مدينة عين زربي الخاضعة للأمير الأرمني ليو الروبيني.

وفي هذه الأثناء قاد أمير سيواس غازي بن دانشمند (٤٩٩-٥٢٩هـ / ١١٠٥-١١٣٥م) قواته في طريقه هو الآخر إلى عين زربي^(٥). وقد ارتاع الأمير ليو من مسير بوهمند الثاني إليه فلم يسعه إلا الاستنجاد بالأمير غازي^(٦)، ودارت بين الجيشين الدانشمندي والصليبي معركة شرسة يوم الخميس منتصف شهر

(١) ابن الفلاس: نيل تاريخ دمشق، ص ٩٤٣؛ ابن الأثير: الكامل، ج ١، ص ٢٧٤؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٩؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٤٨.

□ Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem. P.29; Ali Sevim: Suriye ve Filistin Seiguklulari Tarihi. Ankara 1983. P.197.

2) Anna Comnena: The Alexiad. P.366; Ostrogorsky: History of the Byzantine State. P.324; Vasiliev: History of the Byzantine Empire. V.2. P.410.

(٢) العظيمي: تاريخ العظمي، ص ٣٩٧؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤١؛ سعيد عاشور: الحركة الملبية، ج ١، ص ٥٤٠.

(٣) أسامة بن منقذ: كتاب الاعتبار، تحقيق قاسم السمرائي، ط ١، الرياض ١٤٠٧هـ، ص ١٤٢.

(٤) Chalandon: Les Comnene II. P.81.

(٥) رنسيمن: تاريخ الحروب الملبية، ج ٢، ص ٢٩٢.

رمضان سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م انتصر فيها الدانشمنديون وقتلوا الأمير بوهمند الثاني^(١). ويروى أن الأمير غازي قال أنه لم يكن يعرف أن قائد الصليبيين في هذه المعركة هو ريمس الثاني. ولو عرف ذلك لأفاه حراً، وطالب بفدية كبيرة مقابل إطلاق سراحه كما فعل والده الدانشمند بأبيه بوهمند الأول من قبل. وبالرغم من انتصار الأمير الدانشمندي غازي فإنه لم يمض قدماً إلى عين زربي وذلك بسبب تدخل البيزنطيين، ولهذا ظلت هذه المدينة في أيدي الأرمن^(٢). وفي العام التالي ٥٢٦هـ / ١١٣١م قاد الأمير غازي حملة عسكرية إلى أرمينية، ولكن حاكمها ليو أنصل به، وأقنعه بإيقاف الحملة مقابل أن يدفع له جزية سنوية^(٣).

وكان مصرع بوهمند الثاني على أيدي الدانشمنديين أنفسهم بمثابة كارثة أخرى حلت من جديد بإمارة أنطاكية الصليبية. وبعد هذه الحادثة لم تسجل المصادر التاريخية المتوفرة بين أيدينا وقوع حوادث عسكرية بين الدانشمنديين والأمراء الصليبيين الذين خلفوا بوهمند الثاني في أنطاكية.



1) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.227.

□ ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ورقة ٢١٤(ب).

2) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.227;

Grousset: The Crusades. V.I. P.671.

□ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٢٩٢-٢٩٣.

٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤٤.

ثالثاً: علاقات الدانشمنديين بإمارة الرها الصليبية

تعتبر إمارة الرها هي أقرب الإمارات الصليبية إلى حدود إمارتي الدانشمنديين في كل من سيواس وملطية. وقد أسس هذه الإمارة الصليبية بلدوين البولوني أحد قادة الحملة الصليبية الأولى وذلك سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م^(١). وكان بلدوين قد تلقى دعوة من أمير الرها الأرمني ثوروس بن هيثوم (٤٨٧-٤٩٢هـ / ١٠٩٤-١٠٩٨م) يطلب مساعدته ضد خصومه في داخل المدينة وخارجها. وحينما وصل بلدوين إلى الرها حظي باستقبال رائع من جانب أهلها الذين قاموا بالضغط على ثوروس حتى أجبروه على تسليم زمام السلطة للأمير الصليبي بلدوين، ومالبت ثوروس أن لقي مصرعه وانفرد بلدوين بحكم مدينة الرها^(٢). وقد قام بلدوين فور توليه مقاليد الحكم بتوجيه حملة عسكرية ضد صاحب قلعة سميساط المحاذية للرها الذي حاول أن يعترض طريقه أثناء زحفه إلى الرها^(٣). وتشير بعض الروايات^(٤) إلى أن سميساط إبان هجوم بلدوين عليها كانت خاضعة للدانشمنديين ويحكمها بك بن الدانشمند. أما المؤرخ الرهاوي المجهول^(٥) فيقول أن سميساط خلال هذه الفترة كانت تحت قبضة عدد من التركمان وعلى رأسهم رجل من بلدوقيا. ونحن نرى أن قلعة سميساط لم تكن خاضعة للدانشمنديين آنذاك وإن

(١) لمعرفة المزيد من التفاصيل عن ظروف قيام إمارة الرها الصليبية انظر:

□ Isin Demirkent: Urfa Hacli Kontlugu Tarihi (1098- 1118) Istanbul 1974. P.45.

□ عليه الجنزوري: إمارة الرها الصليبية، ص ٥٣.

2) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.184; William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.I. P.191; Vasiliev: History of the Byzantine Empire. V.2. P.408; Setton: A History of the Crusades. V.2. P.303.

3) William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.I. P.192; Setton: A History of the Crusades. V.2. P.302.

(٢) عليه الجنزوري: إمارة الرها الصليبية، ص ٧٣.

□ Laurent Joseph: Sur les Emirs Danichmendites Jusquem 1104. P.170.

(٣) انظر: سهيل زكار: الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٤٦٦.

أميرها بلك لايمت بصلة للدانشمنديين وذلك لعدة اعتبارات منها: أن هذه القلعة وقت هجوم أمير الرها بلدوين عليها سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م كان يفصل بينها وبين سيواس حاضرة الدانشمنديين العديد من المدن والقلاع التي يخضع بعضها لأمراء الأراتقة حكام الجزيرة الفراتية، وبعضها يقع تحت سيطرة أمراء الأرمن. أضف إلى ذلك أن الدانشمنديين لم يفرضوا آنذاك سيطرتهم بعد على مدينة ملطية، بل كانوا يبذلون محاولات متكررة لتحقيق هذا الغرض. ولهذا فإننا نستبعد أن يكون الدانشمند قد تمكن من تخطي كل هذه البلاد وبسط نفوذه على هذه القلعة البعيدة جداً عن سيواس. ويرى ابن العديم^(١) أن سميساط في سنة ٤٩٠هـ / ١٠٩٦م - أي قبل زحف بلدوين عليها بحوالي سنتين - كانت تتبع الأمير الأرمني سليمان بن ايلغازي. وهذا يرجح بأن سميساط كانت خاضعة للأراتقة، وأن أميرها بالدوق أو بالدوخ Baldoukh هو أحد أفراد هذه الأسرة وليس ابناً للأمير غازي بن الدانشمند كما يظن كازانوفيا^(٢).

ولقد توقف كذلك أحد المستشرقين^(٣) عند هذه النقطة وأشار إلى أن أمير هذه القلعة يعتبر بصفة عامة إما دانشمندياً أو أرمنياً. وقال أنه كان يوجد في العراق آنذاك قبيلة تركية تحمل اسم هذا الأمير (بالدوكيا Baldougiya) ولايستبعد أن يكون أمير سميساط ينتسب إليها.

وكان أول اتصال سياسي حقيقي جرى بين الدانشمنديين وأمير الرها بلدوين عندما تمكن الدانشمند سنة ٤٩٣هـ / ١١٠٠م من أسر أمير أنطاكية بوهمند قرب ملطية فاستنجد بوهمند بالأمير بلدوين وبعث إليه رسالة مع أحد الجنود يلتمس منه المجيء لإنقاذه قبل أن يتمكن الدانشمند من نقله إلى بلاده في أعماق الأناضول، وكان بوهمند قد أرفق مع الرسالة خصلة من شعره كي يتحقق بلدوين من صدق كلامه^(٤). ولم يتردد بلدوين في الاستجابة إلى مطلب بوهمند ذلك أنه بغض النظر عن مشاعر التضامن مع جاره أمير أنطاكية فإن الأمر

(١) زبدة الحلب، ج٢، ص ١٣٦.

2) Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P.54.

3) Cahen: la Syrie de Nord ou Temps des Croisades. P.181.

4) Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem. P.135

يتعلق أيضاً بإنقاذ ملطية، وهي كما يقول جروسية^(١) «أنها مدينة أرمنية كانت تدخل منطقياً في نطاق الإمارة الصليبية - الأرمنية في الرها، غير أنها لاتخضع لسيادة أمير الرها».

ولم تمض ثلاثة أيام على حادثة ملطية، حتى زحف بلدوين على رأس جيشه إلى ملطية التي كان الدانشمند يحاصرها، ولكنه لما سمع باقتراب بلدوين رفع الحصار عنها، وعاد إلى سيواس قاناً بما حصل عليه من غنائم^(٢).

واخذ بلدوين يطارد الجيش الدانشمندي لمدة ثلاثة أيام، لكنه رأى أن التوغل داخل حدود الدانشمنديين مغامرة قد تنعكس عليه بعواقب وخيمة^(٣)، ولهذا عاد بلدوين إلى ملطية، ولم تسمح له الظروف بالإقامة فيها طويلاً حيث أجبرته وفاة أخيه جودفري دي بويون Godfrey of Bouillon ملك بيت المقدس سنة ٤٩٣هـ / ١١٠٠م على العودة سريعاً إلى الرها، ومنها اتجه إلى فلسطين^(٤).

ولما توفي جودفري ملك بيت المقدس جرى انتخاب أخيه بلدوين خلفاً له. إلا أن ذلك الأمر اصطدم بمعارضة شديدة من جانب الشخصيات القيادية في فلسطين، حيث دعا المعارضون بوهمند أمير انطاكية للحضور من أجل تولي عرش مملكة بيت المقدس الصليبية وذلك قبل أن يعلموا بخبر أسرته. ولكن حامل هذه الدعوة تم احتجازه في مدينة اللاتقية^(٥) في نفس الوقت الذي وقع فيه بوهمند أسيراً بأيدي الدانشمنديين. وبذلك تبددت آمال المعارضة ووجد بلدوين

1) Grousset: The Crusades. V.I. P.380.

2) Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem. P.135.; Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.231.

3) William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.I. P.412.

4) Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem. P.136.; Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.231.; Grousset: History des Croisades. V.I. P.381.; Isin Demirkent: Urfa Hacli Kontlugu Tarihi (1098-1118) P.65.

٥) اللاتقية: مدينة في ساحل بحر الشام (البحر المتوسط)، وهي من أعمال حلب (ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٥). وهي حالياً إحدى مدن سوريا وتبعد عن العاصمة دمشق مسافة ٣٤٨ كلم، وتقع غرب مدينة حلب على بعد ١٨٦ كلم. (أكرم وفؤاد الساطع: الدليل الأخضر، ص١٠٣).

طريق الوصول إلى عرش بيت المقدس مهياً أمامه^(١). وكان بلدوين قبل رحيله إلى بيت المقدس قد أسند إمارة الرها لأحد القادة الصليبيين وهو بلدوين دي بورج Baldwin of Bourg المعروف ببلدوين الثاني (٤٩٤-٥١١ هـ / ١١٠٠-١١١٨ م)^(٢)، الذي تزوج بعد توليه من كيرا مورفيا Morfia ابنة جبريل حاكم ملطية^(٣). وكان هذا قد خشي من قيام الدانشمند بشن هجوم مفاجئ عليه فطلب من صهره بلدوين الثاني الحضور لمساعدته، ولكن بلدوين أرسل بعض الإمدادات، واعتذر عن حضوره شخصياً على أساس أنه أحد أعضاء الوفد الصليبي - الأرمني المشترك الذي يبذل مساعي حثيثة مع الحكومة الدانشمندية في سيواس من أجل الإفراج عن بوهمند، إذ قد تؤدي مساعدته للأمير جبريل إلى التشويش على سير هذه المفاوضات، وكان بلدوين قد سعى إلى الإفراج عن بوهمند بعد تخوفه الشديد من اطماع تانكرد نائب بوهمند في أنطاكية^(٤).

وفي سنة ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م استعان الأمير بلدوين الثاني بأحد أقاربه وهو ابن عمه جوسلين دي كورتناي Joscelin of Courtenay في تدبير شئون القطاع الغربي من إمارة الرها^(٥). وجوسلين هذا هو الذي خلف الأمير بلدوين الثاني على إمارة الرها حينما زحف إلى فلسطين سنة ٥١١ هـ / ١١١٨ م بعد انتخابه ملكاً على بيت المقدس^(٦).

ولقد حكم جوسلين الرها إلى جانب وصايته على إمارة أنطاكية. وإثناء فترة حكمه تعرضت مدينة كيسوم التابعة لإمارة الرها سنة ٥٣٦ هـ / ١١٣٦ م لحصار قام به أمير سيواس غازي بن دانشمند. وقد حاول جوسلين الخروج لصد الخطر

1) William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.I. P.419.

[رنسيان: تاريخ الحروب الملبية، ج ١، ص ٤٥١.] إسحاق عبيد: روبا وبيزنطة، ص ١٢٩.

2) Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.231.

3) William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.I. P.450.

٤) رنسيان: تاريخ الحروب الملبية، ج ٢، ص ٦٧.] سعيد علشور: الحركة الملبية، ج ١، ص ٤٠٧.

5) William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.I. P.450; Isin Demirkent: Urfa Hacli Kontlugu Tarihi (1098- 1118) P.4.

٦) ابن القلاسي: نيل تاريخ دمشق، ص ١٩٩.] العظمي: تاريخ العظمي، ص ٣٨٥.] ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٣٤٥.

ـ Isin Demirkent: Urfa Hacli Kontlugu Tarihi (1098- 1118) P.19.

الدانشمندي إلا أن ظروفه الصحية الشديدة منعتة من ذلك^(١). فأمر ابنه جوسلين الصغير بالخروج من الرها للدفاع عن مدينة كيسوم. ولكن الابن طلب من أبيه أن يعفيه من تلك المهمة لأن قدراته العسكرية لا تمكنه من الوقوف في وجه الدانشمنديين^(٢). فتحامل جوسلين الكبير على نفسه، وأمر بتجهيز نقالة لحمله فيها، ومضى على رأس قواته لمحاربة الدانشمنديين.

وعندما وصل جيش الرها مدينة دلك قضى جوسلين نحبه. ولما علم الأمير غازي بن دانشمند بذلك أراد أن يثبت شهرته، فأمر رجاله برفع الحصار عن كيسوم، وبعث برسالة عزاء لابنه جوسلين الصغير وسكان الرها.

وبعد وفاة جوسلين خلفه في الحكم ابنه جوسلين الثاني (٥٢٦هـ / ١١٣١م - ١١٥٠م) وفي عهده نشب سنة ٥٣١هـ / ١١٣٦م نزاع بين الأرمن والصليبيين عندما اتفق أمير أنطاكية ريموند دي بواتييه Raymond of Poitiers (٥٣١هـ / ١١٤٩م) مع بلدوين صاحب مرعش على شن هجوم ضد أرمينية، وانتزاعها من صاحبها لبو الرويني، فأسرع هذا واستنجد بخاله أمير الرها جوسلين الثاني وبواسطته تمكن من طرد جيش ريموند وبلدوين، وقد وافق ليو بعد أن أحرز هذا النصر على الاجتماع ببلدوين ولكن هذا غدر به فأسره وسلمه إلى أمير أنطاكية^(٣)، وإثناء غياب ليو وقع خلاف بين أبنائه داخل أرمينية فأغار عليها أمير سيواس محمد بن غازي بن دانشمند (٥٢٩هـ / ١١٣٥م - ١١٤٢م) ودمر محصولاتها^(٤)، وانصرف عقب ذلك إلى مرعش، فأحرق معظم القرى والأديرة هناك، ثم زحف ناحية كيسوم التي أشرنا إلى أنها تتبع إمارة الرها، فلم يجزؤ جوسلين الثاني على النهوض لمساندة حاميتها التي لم تستطع الاستمرار في المقاومة فوافقت على الاستسلام للقوات الدانشمندية^(٥).

1) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.232.

2) Isin Demirkent: Urfa Hacli Kontlugu Tarihi. P.99.

□ رشميان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٢٩٦.

3) Cahen: la Syrie de Nord ou Temps des Croisades. P.358; Setton: A History of the Crusades. V.3. P.445.

١) رشميان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٢٢١. السيد الباز العريني: الشرق الأوسط، ص٤٠٦.

5) Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P.174; Isin Demirkent: Urfa Hacli Kontlugu Tarihi. P.113; Osman Turan: Selcuklular =

ورغم العداء القائم بين الدانشمنديين وإمارة الرها الصليبية فإن ذلك لم يمنع أحد أفراد الأسرة الدانشمندية هو الأمير عين الدولة بن غازي من اللجوء إلى جوسلين الثاني سنة ١١٤٢هـ / ١١٤٢م عندما احتدم الصراع بينه وبين أخيه أمير سيواس محمد بن غازي^(١). وقد رحب جوسلين الثاني بالأمير عين الدولة ووافق على قبوله لاجئاً سياسياً عنده كي يستخدمه سلاحاً بيده يهدد به أخاه محمد بن غازي إذا حاول القيام بهجوم على الرها.

وعندما علم أمير ملطية عين الدولة بن غازي بن الدانشمند سنة ١١٤٢هـ / ١١٤٧م (١١٤٨م) بوفاة بلدوين حاكم مرعش وهروب جوسلين الثاني أمير الرها إلى سميساط بعد تعرضهما لهزيمة ساحقة في الرها من قبل نورالدين محمود، هاجم الأمير عين الدولة بعض الأديرة في أرمينية وهي دير روبير الكبير، وتاجنكار، وثمانج، وشيكار، فاستولى عليها جميعاً خلال ثلاثة أيام^(٢).

ويزعم ميخائيل السرياني^(٣) أن الأمير عين الدولة هاجم هذه الأديرة اعتقاداً منه بأن رهبانها قد تواطؤوا ضده مع جوسلين الثاني أسير الرها على تسليمه إحدى القلاع في أرمينية مقابل أن يقف جوسلين معهم حتى يتخلصوا من الخراج الباهظ الذي كان الأمير الدانشمندي قد فرضه عليهم.

وفي سنة ١١٤٥هـ / ١١٥٠م أسر جماعة من التركمان جوسلين الثاني أمير الرها، فقاموا بتسليمه إلى نور الدين محمود، وسجنه في مدينة حلب^(٤).

وبعد أسر جوسلين الثاني اندثرت إمارة أثرها الصليبية واستعادها المسلمون (للمرة الثانية)، حيث استولى نورالدين محمود على كافة أملاكها^(٥).

* * *

= Zamaninda Turkley Tarihi. P.174.

□ عليه الجنزوري: الثغور البرية الإسلامية، مصر ١٩٧٩م، ص ٨٤.

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٥٣.

□ Chalandon: Les Comnène II. P.243.

(٢) المؤرخ الرملوي المجهول: الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية، ترجمة سهيل زكار، كتاب الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٥٢٤.

(٣) الخلاء العباسيون والحروب الصليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ٩٩.

(٤) ابن القلائسي: نيل تاريخ دمشق، ص ٣١٠. سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٢٠٧.

□ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٧٣.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ١٥٥. ابن قاضي شهاب: الكواكب الدرية، ص ١٣٧.

رابعاً: جهاد الدانشمندان مع القوى الإسلامية

ضد الحملة الصليبية الثانية

حينما بلغ مسامع الغرب الأوربي نبأ سقوط إمارة الرها الصليبية بأيدي المسلمين (الأول مرة) على يد عماد الدين زنكي سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م^(١)، قام البابا يوجينوس الثالث Eugenius III في روما بتحريض الرأي العام الغربي ضد المسلمين. ولقيت حملة البابا هذه تأييداً واسعاً من أغلب ملوك أوروبا حيث قرر كل من ملك ألمانيا كونراد Conrad، وملك فرنسا لويس السابع Louis VII الخروج للدفاع عن الصليبيين في الشرق. واتفقا على أن يسير كل واحد منهما بجيشه منفصلاً عن الآخر^(٢). وكانت القوات الألمانية بقيادة الملك كونراد هي البادئة في الوصول إلى القسطنطينية سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م، فاستقبلهم الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنين (٥٣٨ - ٥٧٦هـ / ١١٤٣ - ١١٨٠م)^(٣) وأمر بعض رجاله بمرافقة هذه الحملة لارشاد أفرادها أثناء اجتيازهم وسط الأناضول. وقد زحفت القوات الألمانية حتى وصلت إلى مدينة نيقية حيث جرى هناك عزل الرجال الغير مدربين عسكرياً عن الجيش الرئيسي الذي سوف يسلك بقيادة الملك كونراد الطريق المؤدي إلى داخل الأناضول وهو نفس طريق الحملة الصليبية الأولى.

وعندما وصل هذا الجيش إلى نهر باثيس Bathes قرب مدينة دوريليوم أي قرب الموقع الذي انتصر فيه الصليبيون على الأتراك المسلمين قبل خمسين سنة تقريباً^(٤)، انقضت عليهم القوات التركية الإسلامية التي حشدتها السلطان

(١) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ٢٧٩. ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ١١٢. ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٩٨. ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٥٧.

2) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.60; William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.2. PP.164-165.

(٢) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ٢٩٧.

□ Cinnamus: Epitome Historiarum. P.63; William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.2. P.165.

4) Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P.121; Cambridge Medieval History. V.IV. P.742.

٣ رنسيمن: تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٤٣٦.

السلجوقي مسعود بن قليج أرسلان من أرمينية، وإقليم كبادوكيا وهو إقليم إمارة الدانشمنديين في سيواس، ومن بلاد الجزيرة الفراتية^(١). وكانت القوات التركية الإسلامية بقيادة مامبلانس Mamplanes^(٢)، فألحقت بالصلبيين هزيمة ساحقة، وقتلت معظم جنودهم. ولم ينج من الجيش الألماني سوى الملك كونراد، وقلّة من رجاله، ولاذوا بالفرار إلى نيقية^(٣).

وإثناء هزيمة القوات الألمانية كان الملك لويس السابع قد وصل بالقوات الفرنسية إلى القسطنطينية. ومنها اتجه إلى نيقية حيث علم بخبر هزيمة الجيش الألماني^(٤). ومن ثم سار إلى مقر القيادة الألمانية في نيقية لزيارة الملك كونراد. واتفق الملكان على أن تسير الحملتان الألمانية والفرنسية جنباً إلى جنب عبر الطريق الساحلي الذي يخترق المدن الخاضعة للبيزنطيين.

ووصلت القوات الصليبية المشتركة مسيرها حتى بلغت مدينة أفسوس Ephesus^(٥)، وهناك شعر الملك كونراد بعدم قدرته على مواصلة المسير بسبب تأثره بالجروح التي أصابته في المعركة السابقة وبالتالي قرر العودة إلى القسطنطينية^(٦).

أما الملك لويس فقد سار في مقدمة القوات الصليبية، وكان قد تلقى رسالة من الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين نصحه فيها بأن يحتاط لنفسه من

1) William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.2. PP.167-168.

2) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.68.

□ ذكر المؤرخ وليم الصوري بأن اسم هذا القائد التركي (باراموس Paramus)، انظر كتابه:

□ History of Deeds Done Beyond the Sea. V.2. P.172.

3) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.70.; William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.2. P.172.

أودو أوف نويل Odo of Deuil: حملة لويس السابع إلى الشرق (De Profectione Ludovici VII in Orientem) ترجمة سهيل زكار، الحروب الصليبية، ج١، ص٣٥٥.

□ William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.2. P.172.

٥) أفسوس: مدينة تقع على ساحل بحر إيجه، عرفها البلدانيون العرب باسم أفسوس، واشتهرت لأن فيها كهف أصحاب الكهف، وعرفت بعد ذلك باسم أياسلوق أو أياسلينغ (لسترنج: بلدان الخلافة، ص١٨٨).

٦) أودو أوف نويل: حملة لويس السابع، ص٣١٩.

□ Cinnamus: Epitome Historiarum. P.70.

الوقوع بأيدي القوات التركية الإسلامية التي كانت ترصد تحركاته. غير أن الملك لويس لم يأبه بنصيحة الإمبراطور حيث إنه عندما وصل مدينة ديكيرفيوم قرب نهر المياندر سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م اشتبك جيشه مع الأتراك المسلمين، ولكن الصليبيين سرعان ماشقوا طريقهم عبر الجسر المقام على نهر المياندر حتى بلغوا مدينة لأوديقيا Laodicea (٨)، ومنها زحفوا إلى أنطاكية (٩)، فعسكروا هناك. وخلال إقامتهم في أنطاكية قرر الملك لويس أن يكمل رحلته إلى أنطاكية عبر طريق البحر لكي يتفادى الكمائن التي قد ينصبها الأتراك المسلمون لجيشه على الطريق البري. وبينما كانت الاستعدادات تجري لتجهيز السفن شن الأتراك المسلمون هجوماً مفاجئاً على المعسكر الصليبي في أنطاكية فأسرع الملك لويس بشحن أسرته وحاشيته في السفن القليلة التي تم إحضارها، وأبحرت بهم إلى ميناء السويدية بأنطاكية (١٠).

ومما سبق يتضح لنا مدى الفشل الذي منيت به الحملة الصليبية الثانية داخل الأناضول على أيدي الأتراك المسلمين.



(١) لأوديقيا: كانت تسمى لانقية، ثم أطلق عليها اسم لانق، وهي تقع غرب مدينة قونية، وقد سماها الأتراك (ننزلو) لوفرة المياه فيها. ويعرف هذا الموضع في وقتنا الحاضر باسم اسكي حصار اي (القلعة القديمة). انظر (لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٨٦).

(٢) أنطاكية: ميناء كبير يقع على البحر المتوسط، ويبعد نحو مائة ميل غرب ميناء اللايا، وقد ورد اسمه في أخبار الحروب الصليبية بصورة ستاليا Setalia أو أتاليا Attaleia (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٧٠؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص ١٨٣-١٨٤).

3) William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.I. PP.174-179.

٤- أوف دويل: حملة لويس السابع، ص ٣٧٠-٣٧١؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٤٣٦.

خامساً: علاقات الدانشمنديين الدبلوماسية بالأرمن والصليبيين

عامل الأمير كمشتكين الدانشمند أتباعه النصارى معاملة كريمة^(١) فأدى ذلك إلى قيام علاقات طيبة بينه وبين جيرانه الأرمن حكام منطقة أرمينية الصغرى. وقد زعم بعض المؤرخين السريان^(٢) أن بوهمند أمير أنطاكية الصليبي وقع أسيراً بيد الدانشمند نتيجة هذه العلاقات حيث خاف بعض أمراء الأرمن، ومنهم كوع باسيل أمير كيسوم ورعبان وأبناء روبيين أصحاب بعض نواحي أرمينية أن يستولي الفرنج بقيادة بوهمند على بلادهم «فكتبوا سراً إلى الدانشمند ليكمن لهم».

أما المؤرخ الأرمني متى الرهاوي^(٣) فقد زعم من جانبه أن الأمير كوع باسيل استغل العلاقة الطيبة التي تربطه بالدانشمند فأقنعه بالتفاوض مع الصليبيين بدلاً من الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين إذا كانت عنده الرغبة في الإفراج عن بوهمند، وتعهد كوع باسيل بدفع مبلغ مائة ألف دينار. كما تعهد بإطلاق سراح ابنة أمير أنطاكية السابق ياغي سيان التركي التي وقعت في أسر بوهمند بعد اقتحامه أنطاكية^(٤).

وقد ترأس كوع باسيل أثناء مفاوضاته مع الدانشمند وقدأ ضم بلدوين الثاني أمير الرها، وبطربرك أنطاكية برنارد دي فالنس Bernard de Valence^(٥). ولما نجحت وساطة الأمير الأرمني سار إلى حدود الإمارة الدانشمندية في سيواس سنة ٤٩٥هـ / ١١٠٣م لا يصال القدية المطلوبة واستلام الأمير بوهمند^(٦).

1) Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait. Arm.I. P.256.

2) Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.188.

□ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٢٦.

3) Chronique Extrait. Arm.I. PP.252-253.

٤) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٣٤٥.

5) Radulph of Caen: Gesta Tancredi. P.759.

6) Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait. Arm I.p.253.

وبعد هذه المفاوضات جرت اتصالات (دبلوماسية) مباشرة بين الدانشمنديين وبعض قادة الإمارات الصليبية وذلك عن طريق بعض المراسلات التي بدأها أمير سيواس غازي بن دانشمند سنة ٥٢٦هـ / ١١٣١م عندما بلغه وهو يحاصر مدينة كيسوم خبر وفاة أمير الرها جوسلين. فأراد الأمير غازي أن يثبت شهامته فبعث برسالة عزاء إلى ابنه جوسلين الصغير وسكان مدينة الرها قال فيها: «إنني أوقف القتال الآن حتى لا يقال أبني انتصرت عليكم بسبب موت أميركم، وعليكم أن تباشروا أعمالكم بتؤدة وتمهل، وأن تختاروا أميراً جديداً لكم حسبما جرت به العادة عندكم، ولكم أن تتموا أعمالكم باطمئنان وأمان، ولا تخشوا شيئاً من جانب قواتي الآن»^(١).

ومن المراسلات التي تمت أيضاً بين الدانشمنديين والصليبيين تلك الرسالة التي تلقاها أمير ملطية عين الدولة بن غازي بعد أن أحكم سيطرته على بعض الأديرة في أرمينية سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م (١١٤٨م) وذلك من أمير الرها جوسلين الثاني الذي عرض الصلح على الأمير عين الدولة عبر رسالة قال فيها: «إنك قد استوليت على كنائس وأديرة كانت تابعة لإمارتي، وكنت أنا قد استوليت على دير برصوما، وقد تنازلت عنه لك فلئنني أطلب الآن الصلح منك»^(٢).

ولقد رد عليه الأمير عين الدولة برسالة أشار فيها إلى أنه موافق على الصلح الذي يطلبه، ولكن بأي دين سيتقدم بالعهد عليه؟ لأن جوسلين - حسب رواية ميخائيل السرياني^(٣) - لم يكن مسلماً وإن كان نصرانياً فقد مرق الإنجيل وكسر الصليب، ولذلك فإن الأمير عين الدولة لم يعد يأمنه حتى يتعاهد معه.



1) Chronique de Michel le Syrien. V 3. P 232.

(٢) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ٩٩.

(٣) نفسه.

الفصل السادس

العلاقات السياسية بين الدانشمنديين والإمبراطورية البيزنطية

⑤ أولاً: العلاقات في عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين.

(٤٧٤-٥١٢ هـ / ١٠٨١-١١١٨ م)

⑥ ثانياً: العلاقات في عهد الإمبراطور حنا كومنين.

(٥١٢-٥٣٨ هـ / ١١١٨-١١٤٣ م)

⑦ ثالثاً: العلاقات في عهد الإمبراطور مانويل حنا كومنين.

(٥٣٨-٥٧٦ هـ / ١١٤٣-١١٨٠ م)

⑧ رابعاً: علاقات الدانشمنديين (الدبلوماسية) بالإمبراطورية البيزنطية.

أولاً: العلاقات في عهد الإمبراطور الكسئوس كومنين

٤٧٤ - ٥١٢ هـ / ١٠٨١ - ١١١٨ م

تعود العلاقات السياسية بين الدانشمنديين والبيزنطيين إلى فترة مبكرة جداً من بدء قيام الإمارة الدانشمندية في سيواس. فقد سبقت الإشارة إلى أن سيواس التي كانت خاضعة للبيزنطيين كانت أول مدينة استطاع الأمير كمشتكين الدانشمند أن يضع يده عليها داخل الأناضول، وذلك بعد أن هبأت له القوات البيزنطية الجو المناسب حينما انسحبت من أجزاء عديدة من أملاكها في وسط وشرق الأناضول.

وطبقاً لأكثر الآراء دقة فإن بداية ظهور الدانشمند في سيواس كانت سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م^(١). وقد عرفنا أن الدانشمند دخل هذه المدينة دون عناء بعد أن قام الجيش البيزنطي بقيادة الإمبراطور رومانوس الرابع بتخريبها انتقاماً من سكانها الأرمن بسبب ميلهم إلى جانب الأتراك، وذلك قبل سنوات قليلة من زحف الدانشمند إليها^(٢). وقد سبق القول أن سقوط سيواس دون عناء بيد الدانشمند قد شجعه على مواصلة فتوحاته في بقية الممتلكات البيزنطية، حيث فرض سيطرته بعد ذلك على مدن آخر مثل توقات وكومانا وجانجرا وعثمانجق وقسطنطيني ونيكسار وأماسيا وغيرها^(٣).

ويلاحظ أن المصادر^(٤) التي أرخت لهذه الفتوحات قليلة جداً، ومعلوماتها غامضة وتفتقر - من وجهة نظرنا - إلى الدقة، فهي تستقي مادتها من مصدر

1) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.173.

□ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١١٨.

٢) هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ٩٩.

□ Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend. tome.I. P.107; Friendly Alfred: The Dreadful Day (The Battle of Manzikert). P.165; Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.129.

٣) عالي: فصول حل وعقد، ورقة ٣٥(1). هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ٩٩.

□ Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. PP.469-471; Sukru Akkaya: Kitab Melik Danismend Gazi. P.136.

٤) عالي: فصول حل وعقد، ورقة ٣٥(1). هزارفن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ٩٩. محمود مقديش: نزهة الأناضول في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، ط١، بيروت ١٩٨٨م، المجلد الثاني، ص ٢٥.

واحد هو ملحمة دانشمندنامة التي يغلب على معظم رواياتها طابع الخيال أكثر من الحقيقة التاريخية. كما أن هذه المصادر لم تحدد السنوات التي تمكن الدانشمند خلالها من بسط نفوذه على المدن البيزنطية، ولم تفصح كذلك عن اسم الإمبراطور البيزنطي الذي كان معاصراً لتلك الأحداث. هذا بالإضافة إلى أنها لم تشر بشكل صحيح إلى أسماء قادة الجيوش البيزنطية الذين حاولوا التصدي للقوات الدانشمندية ومنعها من دخول مناطق نفوذهم داخل الأناضول^(١).

وبالرغم من أن تحت أيدينا روايتين تشير إحداهما^(٢) إلى أن الأمير دانشمند تمكن من السيطرة على مدينة أماسيا البيزنطية في شعبان سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧١م، وتذكر الأخرى^(٣) أن هذا الأمير انتزع مدينة نيكسار من البيزنطيين سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م، فإننا نشك في هاتين الروايتين لأن بداية ظهور الدانشمند في الأناضول كانت سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م^(٤).

وكانت الممتلكات البيزنطية داخل الأناضول وقعت تحت سيطرة الدانشمند خلال الفترة الممتدة من بداية قيام إمارته في سيواس سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م وحتى اجتياح القوات الصليبية مناطق النفوذ الدانشمندي في الأناضول سنة ٤٩٠هـ / ١٠٩٧م حيث ثبتت ملكية الدانشمند لمعظم البلاد التي سبقت الإشارة إليها عند قدوم الصليبيين إلى هذه المنطقة. ومما يؤكد هذا المعارك التي خاضها الدانشمنديون إلى جانب الأتراك المسلمين ضد الجيوش الصليبية أثناء اجتياحها للأناضول^(٥)، وكذلك ما جرى في عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين من صراع

(١) أشارت هذه المصادر إلى أسماء بعض القادة البيزنطيين مثل نسطور Nestor، وشاه شطاط Sah-i Sattat، وثيودور جابراس Theodore Gabras. ويبدو أن هؤلاء القادة عدا -ثيودور جابراس- ليسوا إلا شخصيات خيالية، أو أن اسماءهم محرفة بشكل يتعذر معه الوصول إلى الأسماء الحقيقية لهم، بدليل عدم وجود أي ذكر لهم عند المؤرخين البيزنطيين المعاصرين لتلك الحقبة الزمنية مثل: (ميخائيل بسيللوس Michael Psellus؛ وحننا زوناراس John Zonaras؛ والمؤرخة آنا كومنين Anna Comnena وغيرهم من مؤرخي هذه الفترة).

(٢) حسين حسام الدين: تاريخ أماسيا، ج ٢، ص ٢٧٧.

(٣) إسماعيل حقي: كتابه لر، ص ٥٨.

(٤) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.173.

(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١١٨.

5) Anna Comnena: The Alexiad. PP.341-342; Grousset: The Crusades. V.I. P.32.

عسكري بين دوق طرابزون ثيودور جابراس وبين الدانشمند حول قلعة قراحصار^(١) انتصر فيه ثيودور وانتزع هذه القلعة من الدانشمند^(٢).

أما بالنسبة إلى مدينة نيكسار وهي آخر مدينة استولى عليها الدانشمند من البيزنطيين قبل وفاته سنة ٤٩٩هـ / ١١٠٤م (١١٠٥م) تقريباً، فإن الدانشمند قد وضع يده عليها بعد أن خاض معارك عنيفة ضد دوق طرابزون ثيودور جابراس. وترجع الباحثة إيرين ميلكوف^(٣) Irene Melikoff أن الدانشمند سيطر على نيكسار خلال فترة الفوضى التي نجمت عن موت ثيودور جابراس سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م، وكان ثيودور قد لقي مصرعه على أيدي القوات الدانشمندية التي كان يقودها الأمير إسماعيل بن دانشمند حينما أرسله والده الدانشمند أمير سيواس من أجل تحرير مدينة بايرت^(٤) Paipert فأنزل به الأمير إسماعيل هزيمة ساحقة وتمكن من قتله^(٥).

ولقد تطرقت بعض المصادر الفارسية^(٦) إلى حملة عسكرية شنها الإمبراطور البيزنطي رومانوس ضد الدانشمند. وحيث إن رومانوس قد عُزل عن العرش ولقي حتفه سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧٢م^(٧) فيرجح أن الإمبراطور البيزنطي الذي قاد هذه الحملة هو الكسيوس كومنين الذي تولى العرش سنة ٤٧٤هـ / ١٠٨١م^(٨). وكان الجيش البيزنطي المشار إليه آنفاً يتألف من مائة وعشرين ألف مقاتل كاملي العدة والعتاد، وعندما ترامت إلى مسامع الدانشمند أنباء هذه التحركات البيزنطية أرسل إلى السلطان السلجوقي في الأناضول، وإلى بقية أمراء

(١) قراحصار: توجد عدة مدن وقلاع بهذا الاسم داخل بلاد الروم، وهذه القلعة هي التي تقع أقصى شمال شرقي الأناضول قرب مدينة أرزنجان وغرب بحيرة أقشهر (ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٣١٥). ؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص١٨٥.

2) Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.134.

3) La Geste de Melik Danismend. tome.I. P.137.

(٤) بايرت: ويطلق عليها أحياناً بليبورت وهي مدينة تقع بأرمينية في نواحي أرزن الروم (ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٣٠٧).

5) Anna Comnena: The Alexiad. P.350.; Chalandon: Les Comnene II. P.37.; Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.40.

(٦) حمدالله مستوفي: تاريخ كزيدة، ص٤٧٤؛ ميرخواند: روضة المفاء، جلد چهارم، ص٣٥٣.

7) Zonaras: Epitomae Historirum. P.709.

8) Vasiliev: History of the Byzantine Empire. V.I. P.353.

المسلمين في ديار بكر و ارزنجان و ديوركي رسائل اخبرهم فيها بأن عدواً لبدوا اغار على بلاد الإسلام، وحثهم على مساعدته لدفع هذا الخطر الذي قد يمتد زحفه إلى جميع البلاد الإسلامية إذا لم يتعاونوا في صدّه. وقد لقي نداء الدانشمند استجابة من معظم حكام البلاد الإسلامية القريبة من الاناضول حيث عقد هؤلاء الحكام العزم على مناصرته من أجل إيقاف الزحف البيزنطي، فانضم منهم إلى جانب الدانشمند نحو أربعين ألف مقاتل والتقى الجيشان بالقرب من بلدة زرة شرقي مدينة سيواس، ودارت الدائرة على الجيش البيزنطي، والحق به القوات الإسلامية هزيمة ساحقة^(١).

وكانت العلاقات بين الدانشمند وبين الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين قد أخذت في التحسن عندما أسر الدانشمند أمير انطاكية الصليبي بوهمند^(٢) الذي كان من أعداء الإمبراطور البيزنطي، حيث رفض بوهمند قبل أسره بوقت قليل تسليم انطاكية إليه^(٣) وفاءً بالقسم الذي قطعه أكثر أمراء الحملة الصليبية الأولى على أنفسهم أمام الإمبراطور والمتضمن تسليمه كل مدينة ينجحون في استعادتها من السيطرة الإسلامية^(٤). وحينما وقع بوهمند في الأسر وكثف ابن أخته تانكرد الوصي على انطاكية من هجماته على أراضي البيزنطيين في أرمينية الصغرى وشمال الشام سعى الإمبراطور للحصول على بوهمند فدخل في مفاوضات حول ذلك مع الدانشمند حيث عرض عليه فدية ضخمة مقدارها مائتان وستون ألف دينار مقابل تسليمه بوهمند^(٥)، ورغم أن عرض الإمبراطور كان سخياً فإنه لم يجد قبولاً من الدانشمند - كما سبق أن عرفنا - وحينما تبين للإمبراطور فشل حصوله على بوهمند طلب من الدانشمند أن يسلمه أسيراً آخر لديه هو ريتشارد ابن عم بوهمند فوافق على ذلك نظير

(١) محمود آقسرائي: مسامرة الأخبار، ص ٢٧.

2) Fulcher of Charters: A History of the Expedition to Jerusalem. P.135.

3) Vasiliev: History of the Byzantine Empire. V.2. PP.409-410; Ostrogorsky: History of the Byzantine State. P.323.

4) Albert of Aix: Historia Hierosolymitana. P.314.

5) Grousset: The Crusades. V.I. P.396.; Oldenbourg: The Crusades. P.196; Cahen: la Syrie de Nord ou Temps des Croisades. P.234.

مبلغ من المال دفعه الإمبراطور إليه^(١).

وقد انعكس فشل هذه المفاوضات بين الدانشمند والإمبراطور البيزنطي الكسيوس بشأن بوهمند على شكل العلاقات بين الجانبين، إذ رأى الإمبراطور أن الدانشمند قد قوّت عليه فرصة ثمينة كان من الممكن أن يستغلها في المساومة لاسترجاع بعض المدن التي كان بوهمند قد استولى عليها ويدعي البيزنطيون أحقيتهم بها^(٢).

وعندئذ قرر الإمبراطور أن يستفيد من الخلاف الذي نشب في هذه الأثناء بين الزعيمين الدانشمندي والسلجوقي^(٣) فسعى إلى تعميق هوة الخلاف بينهما، وسارع إلى إقامة ما يشبه التحالف العسكري بينه وبين السلطان السلجوقي قليج أرسلان^(٤). وأعد الإمبراطور في هذه الفترة خطة عسكرية لاستعادة الأراضي البيزنطية التي استولى عليها الدانشمند، وأسند تنفيذ هذه المهمة إلى حاكم جانيك جريجوري تارونيتيس Gregory Taronites الذي أصدر الإمبراطور سنة ٤٩٧هـ / ١١٠٣م قراراً بتعيينه دوقاً لطرابزون بدلاً من الدوق داباتينوس Dabatenos (٤٩٧-٤٩٧هـ / ١٠٩٨-١١٠٣م) وذلك مكافأة لجريجوري على بعض الانتصارات التي أحرزها ضد القوات الدانشمندية قرب ساحل البحر الأسود^(٥).
وحينما بلغ الدانشمند خبر تعيين خصمه جريجوري تارونيتيس دوقاً على طرابزون خرج من نيكسار على رأس جيشه للانتقام منه. وفي الطريق إلى مضى الدانشمند لحصار قلعة هارجومبيد^(٦) Hargumbed التي تعرف حالياً بحاركمبيد^(٧)، ولكن تحالفاً عسكرياً تشكل لمواجهة بقيادة جريجوري نفسه، فاضطر الدانشمند عند ذلك إلى رفع الحصار عن القلعة، والعودة إلى نيكسار.

1) Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.252.

٢) عبد الحفيظ علي: المسلمون والبيزنطيون، ص ٤٧.

3) Grousset: The Crusades. V.I. P.397; Cahen: la Syrie de Nord ou Temps des Croisades. P.235.

٤) عبد الغني محمود: السياسة الشرقية للإمبراطورية في عهد الكسيوس كومنين، ص ٢١٦.

5) Chalandon: Les Comnene II. P.37; Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend. tome.I. P.117.

6) Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend. tome.I. P.107.

7) Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.125.

وبينما كان الدانشمند في طريقه إلى نيكسار هاجمه أعداؤه من البيزنطيين في ممر ضيق، وهزموا قواته هزيمة ساحقة، وأصيب الدانشمند نفسه بجروح في سبعة عشر موضعاً من جسده^(١)، ثم لقي حتفه متأثراً بجراحه وذلك سنة ٤٩٩هـ / ١١٠٤م (١١٠٥م) طبقاً لأرجح الروايات^(٢).

وبعد وفاة الدانشمند استولى دوق طرابزون على أكثر المدن الدانشمندية ولم يجد مقاومة من إمارة سيواس، إذ لا يزال الغموض يكتنف وضع هذه الإمارة عقب وفاة مؤسسها الدانشمند مباشرة، وبخاصة أن ابنه غازي كان بسبب حداثة سنه غير مؤهل للقيام بأعباء الحكم خلفاً لأبيه، وقد ذهب بعض المؤرخين^(٣) إلى أن الأمير غازي قد هرب إلى بغداد بعد وفاة أبيه ليستنجد بالخلافة العباسية ضد البيزنطيين.

ومما يرجح أن تلك الأحداث العسكرية بين الدانشمند وبين ممثل الإمبراطورية البيزنطية دوق طرابزون قد جرت في السنوات الأخيرة من حياة الدانشمند، تلك الرسائل التي بعثها ثيوفيلاكس Theophylacte أحد كبار الأساقفة البيزنطيين إلى الدوق جريجوري تارونيتيس وقد أثنى فيها عليه كثيراً. إذ قال الأسقف في رسالته إلى جريجوري «لقد أطلعت في انتصار واحد على الدانشمند ببرج الحماقة التركي في الأناضول، وقطعت بسيفك الأيدي الطامعة للدانشمند التي اعتادت تكديس الجزية على المدن البيزنطية». كذلك قال هذا الأسقف في رسالة أخرى بعثها إلى جريجوري «لأبد من وضع حد لغارات الدانشمند، ومنعه من المجيء لجمع الجزية، وإجباره على التخلي عن المدن البيزنطية المليئة بالسكان التي كان قد استولى عليها»^(٤).

وكان الأسقف ثيوفيلاكس قد كتب رسالته الأخيرة إلى دوق طرابزون قبل أن

(١) هزافن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠٠.

□ Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. PP.470-471.; Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend. tome.I. P.108.

2) Matthieu d'Edesse: Chronique Extrait Arm.I. P.256.; Laurent: Sur les Emirs Danichmendites Jusguem 1104. P.173.

(٢) عالي: فصول حل وعقد، ورقة ٣٥ (ب). هزافن: تنقيح تواريخ الملوك، ص ١٠١.

4) Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend. tome.I. P.117.; Osman Turan: Selcuklular Zamanında Turkey Tarihi. P.145.

يصل إليه نبأ مصرع الدانشمند على أيدي القوات البيزنطية بدليل أنه كان يتمنى فيها أن يتم تخليص نيكسار (قيصرية الجديدة) هي الأخرى من حوزة الدانشمند الذي قال عنه الأسقف: «أنه كان يحلم بالقضاء على الأخضر واليابس، ولكنه الآن بات يميل إلى طلب الصلح، ويسعى إلى صداقة هذا الذي وجد فيه عدواً لا يقهر» يقصد دوق طرابزون^(١).

ولقد كشف ثيوفيلاكس في إحدى رسائله التي بعثها إلى الدوق جريجوري بأن الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين قد اختار هذا الدوق لتمثيله في المفاوضات التي جرت بينه وبين الدانشمند بشأن تسليم بوهمند إليه، حيث هنا هذا الأسقف الدوق جريجوري بثقة الإمبراطور فيه^(٢).

وبعد تلك الانتصارات الحاسمة التي حققها جريجوري في الجبهة الدانشمندية تمرد على سيده الإمبراطور، وتحصن سنة ١١٠٧هـ / ١١٠٧م داخل قلعة كولوني Colonee في إقليم طرابزون. واستنجد بالدانشمنديين في سيواس^(٣)، ويبقى اتصال جريجوري بسيواس في هذا الوقت أمراً محيراً للغاية، فقد كان قبل ذلك بوقت قليل وراء مصرع أميرها السابق دانشمند. لكن جريجوري أراد أن يستغل فرصة الوضع المتوتر وقتئذ بين الدانشمنديين والبيزنطيين.

ولم يقدم الألكسياد Alexiad وهو المصدر البيزنطي الوحيد الذي أمدنا بهذه الرواية تفاصيل أخرى حول ماهية هذا الاتصال الذي لم يتم لأسباب تتعلق بالدوق جريجوري نفسه، إذ أن قوات الإمبراطور داهمته داخل قلعته في غفلة من أمره، وقبضت عليه^(٤).

وعقب وفاة السلطان السلجوقي قليج أرسلان سنة ١١٠٧هـ / ١١٠٧م^(٥) حاول الكسيوس كومنين أن يستفيد من الظروف التي أعقبت وفاته حينما نشب النزاع

1) Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend. tome.I. P.117.

2) Grousset: The Crusades. V.I. P.396.; Irene Melikoff: La Geste de Melik Danismend. tome.I. P.118.; Osman Turan: Selcuklular Zamanında Türkiye Tarihi. P.145.

3) Anna Comnena: The Alexiad. P.387.

4) Anna Comnena: The Alexiad. P.387.

٥) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ١٥٧. ؛ ابن الأثير: الكامل، ج ١، ص ٤٢٠.

على السلطة بين أبنائه. فألقى الإمبراطور تحالفه مع السلاجقة، وشرع في استعادة بعض المدن من حوزتهم. ولما فشل السلاجقة في التصدي للإمبراطور، اضطلع أمير سيواس غازي بن دانشمند (٤٩٩- ٥٢٩هـ / ١١٠٥- ١١٣٥م) بهذا الدور، وذلك إيماناً منه بأن الخطر البيزنطي لن يتوقف عند حدود السلاجقة فحسب. ولكن القوات الدانشمندية تعرضت هي الأخرى للهزيمة أمام البيزنطيين، وفقد الدانشمنديون أعداداً كبيرة من جنودهم، كما تمكن البيزنطيون من إطلاق سراح أسراهم الذين وقعوا من قبل في أيدي الدانشمنديين^(١).

وكان للدانشمنديين في أغلب الأحوال دور فاعل في الحروب التي يخوضها السلاجقة ضد البيزنطيين، ذلك أنه عندما تجدد الصراع سنة ٥٠٩هـ / ١١١٥م بين الإمبراطور الكسيوس وبين السلطان السلجوقي ملكشاه (٥٠٠- ٥١٠هـ / ١١٠٧- ١١١٦م) وقام الإمبراطور بتقسيم قواته إلى ثلاثة أقسام لمهاجمة العاصمة السلجوقية قونية، ظهرت في أنحاء الأناضول إشاعة قوية عن تحرك القوات الدانشمندية من جهة الشمال لشن غارة على الأملاك البيزنطية، وعند ذلك أصدر الإمبراطور أوامره إلى رجال جيشه بعدم متابعة سيرهم إلى قونية، وبالرغم من هذا القرار البيزنطي فإن السلطان السلجوقي ملكشاه لم يمنع رجال جيشه من التحرش بالقوات البيزنطية، بل كان يخطط لخوض معركة ضدها، لكنه عدل عن ذلك في آخر لحظة، وذهب لطلب الصلح من الإمبراطور البيزنطي^(٢).

وقد سعى السلطان السلجوقي ملكشاه إلى الصلح بسبب ضغط أمير سيواس غازي بن دانشمند عليه لأن الأميرغازي كان في ذلك الوقت يحاول استرداد ملطية^(٣).



(١) محمود عمران: السياسة الشرقية، ص ٥١.

2) Anna Comnena: The Alexiad. P.481.

(٣) عبد الحفيظ علي: المسلمون والبيزنطيون، ص ٣٥.

ثانياً: العلاقات في عهد الإمبراطور حنا كومنين

٥١٢ - ٥٣٨ هـ / ١١٨ - ١١٤٣ م

اعتلى الإمبراطور حنا الثاني العرش البيزنطي عقب وفاة والده الكسيوس كومنين سنة ١١١٢ هـ / ١١٨٨ م^(١). وكان أسر دوق طرابزون قسطنطين جابراس الذي كان خاضعاً للبيزنطيين وذلك على يد ثلاثة من القادة الأتراك في الأناضول سنة ١١١٣ هـ / ١١٨٩ م وهم أمير سيواس غازي بن داتشمند، وسلطان ملطية طغرل أرسلان السلجوقي، وحكم قلعة بولا الأمير الأرمني بلك بن بهرام، أول حادثة تتعرض لها الإمبراطورية من جانب الأتراك في عهد حنا كومنين^(٢). ورغم أن دوق طرابزون قد تخلص من الأسر دون تدخل السلطات البيزنطية وذلك بعد أن اقتدى نفسه بثلاثين ألف دينار^(٣)، فإن الإمبراطور البيزنطي قد أعطى هذا الحدث اهتماماً خاصاً بمجرد أن فرغ من إصلاح بعض الشؤون الداخلية في العاصمة البيزنطية، حيث توجه الإمبراطور بنفسه على رأس حملة عسكرية صوب الأراضي التركية، واقتحم بعض المدن السلجوقية، ولكنه ما لبث أن عاد إلى القسطنطينية^(٤). وكان الإمبراطور قد قام بهذه الحملة الخاطفة كي يجرب القوات الضخمة التي تركها له والده الكسيوس كومنين، ومعرفة مدى صلاحيتها للمهام الكبيرة التي سوف يقوم بها ضد الممتلكات الداتشمندية والسلجوقية في قلب الأناضول^(٥).

وليس معلوماً إن كان الإمبراطور حنا كومنين قد تدخل في النزاع الذي دار سنة ١١٢٧ هـ / ١٢٠٢ م بين الأمير السلجوقي عرب بن قليج أرسلان وبين أخيه

1) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.14.

(٢) العنبري: تاريخ العنبري، ص ٢٨٧. ؛ ابن الأثير: الكامل، ج ١، ص ٥٨٦.

□ Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.205; Chalandon: Les Comnene II. P.45.

3) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.205.

□ ابن العنبري: تاريخ الزمان، ص ١٢٧.

4) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.14.

5) Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye Tarihi. P.160.

□ عبد الحفيظ علي: المسلمون والبيزنطيون، ص ١٣٩.

السلطان مسعود وحليفه أمير سيواس غازي بن دانشمند^(١). لكن هناك تلميح من المؤرخ ميخائيل السرياني^(٢) للدعم الذي تلقاه بعض المسلمين من النصارى خلال هذا النزاع. إلا أن هذا التلميح غير مؤيد بمعلومات ثابتة حيث يقول ميخائيل بهذا الصدد: «وقعت كل هذه الأمور بين الأتراك الذين راحوا في قمة سخطهم على بعضهم بعضاً. يلتمسون عون المسيحيين». وقد حصل الأمير السلجوقي عرب بن قليج أرسلان خلال صراعه مع الأمير غازي على دعم من البيزنطيين كأخيه مسعود. ويؤيد الهجوم التالي الذي شنّه الأمير غازي على أملاك الإمبراطورية هذا الاعتقاد. إذ أنه بعد انتصاره على الأمير عرب تمكن من بسط سلطانه على كافة أنحاء إقليم كبادوكيا ثم اجتاحت بقواته بعض المناطق البيزنطية المطلة على ساحل البحر الأسود، وكانت تحت سيطرة أمير بيزنطي يدعى كاسيانوس^(٣) Kasianus. وقد تعذر علينا الحصول على معلومات عن هذه الشخصية البيزنطية وعن علاقاتها فيما بعد بالأمير غازي. غير أن شالندون^(٤) يرى أن كاسيانوس كان يحكم جزء من ولاية بافلاجونيا^(٥) Pafhlagonie أو بوسيليرس Bocellaires اللتين كانتا تحت السيطرة البيزنطية. ويقول أن المقصود به دوق طرابزون قسطنطين جابراس.

وكان احتلال الأمير غازي لهذه المدن والأراضي العائدة للإمبراطورية معروفاً في القسطنطينية. ولكن الإمبراطور حنا كومنين لم يحرك ساكناً في هذه الأثناء لإزالة الاحتلال الدانشمندي^(٦).

ولما انسحب الأمير غازي من منطقة البحر الأسود واتجه إلى أرمينية

1) Chalandon: Les Comnene II. P.80.

2) Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.224.

3) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.227.

لأ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤٣.

٤ Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P.230;

Brehier Louis: The Life and Death of Byzantium. V.5. P.224.

4) Chalandon: Les Comnene II. P.81.

٥ بافلاجونيا: ولاية مشهورة تقع على ساحل البحر الأسود واسمها حالياً قزل إحمدلي (لسترنج: بلدان الخلافة، ص ١٧٦).

6) Chalandon: Les Comnene II. P.81

الصغرى حينما علم بوفاة حاكمها ثوروس الأول سنة ١١٢٩هـ / ١١٢٩م^(١)، صمم الإمبراطور البيزنطي في هذا الوقت بالذات على ضرب قوة الأمير غازي فزحف بجيشه وشيّد مدينة على ساحل البحر الأسود قرب الحدود الدانشمندية، وبينما كان يستعد للهجوم حاك شقيقه إسحاق كومنين مؤامرة ضده بالتواطؤ مع كبار رجال دولته، ولما تأهب الإمبراطور للقضاء عليهم هرب شقيقه ولجأ إلى الأمير غازي بن دانشمند الذي أحسن وفادته، وعامله معاملة كريمة، ثم أرسله إلى قسطنطين جابراس في طرابزون. وفي حين أخذ الإمبراطور يتعقب بقية المتأمرين عليه حيث قام بنفيهم خارج البلاد، سعى أخوه إسحاق لكسب دوق طرابزون إلى جانبه^(٢). أما الأمير غازي فقد عزم على عدم التفريط بهذه الفرصة حيث استولى على قلعة صامانتي Symnada التابعة لشقيقة الإمبراطور البيزنطي. وواصل الأمير غازي زحفه لاجتياح أرمينية التي اضطر أميرها ليون إلى توقيع معاهدة التزم فيها بدفع الجزية للأمير غازي^(٣).

وعندما كان الأمير غازي يقيم في ملطية خلال فصل الشتاء سنة ١١٢٥هـ / ١١٣٠م (١١٣١م) قابل كلاً من السلطان السلجوقي مسعود وإسحاق كومنين الذي كان قد ترك دوق طرابزون.

وقصد إسحاق من وراء تنقلاته هذه جمع أمراء الأناضول حوله، إذ أنه بعد اتفاهه مع غازي ومسعود توجه إلى أرمينية فاستقبله حاكمها ليون، وأقام إسحاق عنده زمناً. ولكن الوفاق بينهما لم يدم طويلاً، فاضطر إسحاق وابنه حنا للهروب إلى السلطان السلجوقي مسعود في قونية^(٤).

ومن الواضح أن كل هذه الدسائس التي كان يحيكها إسحاق كومنين مع

1) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.227.

□ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤٣.

2) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.230; Chalandon: Les Comnene II PP.83-84.

3) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.230.

□ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤٤.

4) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.230.

□ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤٤.

┐ Chalandon: Les Comnene II P.84.

بعض امراء الأتراك والأرمن وعلى رأسهم غازي بن داشممد ضد أخيه الإمبراطور حنا كومنين كانت معروفة في القسطنطينية إذ أن الإمبراطور البيزنطي عاود سنة ٥٢٦هـ / ١١٣١م (١١٣٢م) اعتدائه على الأتراك المسلمين والأرمن، وقتل الكثير منهم، واستولى على قلعتين من قلاعهم^(١). ولم نستطع تحديد المنطقة التي هاجمها الإمبراطور لعدم دقة معلومات ميخائيل السرياني، ولكننا نميل إلى رأي شالندون الذي يرجح أن هذه المنطقة تقع على ساحل البحر الأسود^(٢) لوجود بعض المدن الساحلية التي يتقاسم كل من الدانشمنديين والسلاجقة والبيزنطيين السيطرة عليها.

ولقد حالت مؤامرة بيزنطية قامت داخل القسطنطينية دون استفادة الإمبراطور من المكاسب السياسية التي حققها إبان حملته الأخيرة، فقد احتفظ أخوه إسحاق كومنين بجماعة موالية له في العاصمة البيزنطية وانتهزوا فرصة غياب الإمبراطور وأحدثوا شغباً في الداخل، حيث اضطرب الأمن ونادوا بخلع الإمبراطور، وأرسلوا يبحثون عن أخيه إسحاق ليجعلوه مكانه. وعندما علم الإمبراطور بما يدبر ضده عاد على عجل فاخفقت مساعي المتآمرين^(٣).

ويمكن الربط بين هذه المؤامرة وبين الهجوم الذي شنّه الأتراك المسلمون في هذه الأثناء حيث زحفوا باتجاه مدينة سوزوبوليس^(٤) Sozopolis، إلا أنهم فشلوا في الاستيلاء عليها.

ومما دفعنا إلى القول بوجود صلة بين هذه المؤامرة الداخلية والهجوم التركي الإسلامي الأخير، تلك الحملة العسكرية التي شنّها كل من الأمير غازي بن داشممد والسلطان السلجوقي مسعود على ساحل البحر الأسود حيث حاصرا قلعة زينين ولكنهما لم يتمكنوا من احتلالها، بل عقدا صلحاً مع حاميتها البيزنطية التي تعهدت بأن تدفع لهما مبلغ أربعة آلاف دينار مقابل الانسحاب

1) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.232.

2) Chalandon: Les Comnene II. P.84.

3) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.232.

٤) سوزوبوليس: تقع جنوب غربي الأناضول وتسمى برغلر وأحياناً أبولونية Apollonia وقد أضحى اسمها في العهد التركي يلاواج، وكانت تتوسط بحيرتي اكريدور وأقشهر واسمها حديثاً (الوبرلو)، لسترنج: بلدان الخلافة، ص ١٨٤.

عنها^(١).

أما الحملة ضد الأمير غازي التي أوقفها تأمر الحزب الموالي لآخي الإمبراطور داخل القسطنطينية فقد استؤنفت سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٢م^(٢) بعد أن قام الإمبراطور بإعادة النظام في عاصمته. وكان هدف الإمبراطور من هذه الحملة هو تخليص حدود ولاية بافلاجونيا وذلك باحتلال مدينة قسطنموني التي كانت تابعة للأمير غازي، وإلى جانب أن قسطنموني تعتبر مدينة خصبة وغنية، فإنها قد أصبحت قاعدة مهمة ينطلق منها الأتراك المسلمون أتباع الدانشمندان لغزو أراضي الإمبراطورية. ورغم ضعف الجيش البيزنطي الذي كان يقوده الإمبراطور حنا كومنين بنفسه نحو قسطنموني مروراً بولايتي بيتينا وبافلاجونيا فإنه بمجرد ظهوره بادر سكان المدينة إلى الاستسلام^(٣). ولم تكن قسطنموني هي المدينة الوحيدة التي استعادها البيزنطيون خلال هذا الهجوم، إذ يشير بعض المؤرخين^(٤) إلى أن الإمبراطور قد استولى بالقوة على قلعتين مجاورتين لها، واقتاد الإمبراطور خلفه العديد من الأسرى في طريق عودته إلى القسطنطينية.

ولقد أحدث هذا العمل الذي قام به الإمبراطور ضد قسطنموني ردة فعل سريعة لدى الأمير غازي بن دانشمند حيث هاجم على الفور قلعة البيره التابعة للبيزنطيين، وبعد أن أحرز نصراً حاسماً على حاميتها أمر أتباعه بإشعال النار فيها، كما أسر كثيراً من أهلها^(٥).

وبينما كان الإمبراطور حنا كومنين يحتفل^(٦) في عاصمته بالنصر الرائع

1) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.232.; Chalandon: Les Comnene II. P.85.

٢) العظمي: تاريخ العظمي، ص ٤٠٧. ؛ ابن القرات: تاريخ الدول والملوك، ج ٢، ورقة ١٤٦ (ب).

3) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.20.; Chalandon: Les Comnene II. PP.85-86.; Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.479.; Cahen: Pre-Ottoman Turkey. P.95.; Brehier Louis: The Life and Death of Byzantium. V.5. P.224.

4) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique. V.3. P.233.

ج ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤٥.

5) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique. V.3. P.233.

٦) كان الإمبراطور بعد عودته من قسطنموني قد دخل القسطنطينية دخول القادة المظفرين حيث قدم له رجال الدين ومجلس الشيوخ والشعب بهذه المناسبة عربة من الفضة، لكن =

الذي حققه في قسطنطيني استبعاد الأمير غازي هذه المدينة مرة أخرى بعد أن حاصرها وقتل البيزنطيين المرابطين بها^(١).

وقد أغضب هذا العمل الإمبراطور البيزنطي الذي لم يتوان في تنظيم حملة جديدة في محاولة لاسترجاع هذه المدينة، وبعض الأراضي التي سلبها الأمير غازي من البيزنطيين.

ولكن الإمبراطور اضطر إلى تأخير حملته حتى الصيف التالي سنة ١١٣٩هـ/ ١١٣٤م بسبب وفاة زوجته الإمبراطورة إيرين الهنغارية في إقليم بثينيا Bithynia ومرض ابنه وولي عهده الكسيوس^(٢).

وبعد تشييع جنازة زوجة الإمبراطور، وإجراء مراسم دفنها، غادر الإمبراطور عاصمته ولحق بجيشه، ثم بدأ بالزحف ناحية الشرق. وفي هذه الأثناء ابتسم الحظ للإمبراطور، فقد توفي خصمه الأمير غازي بن دانيشمن سنة ١١٣٩هـ/ ١١٣٥م وتولى مكانه ابنه الأمير محمد^(٣). ولم يمر هذا التغيير في السلطة الدانيشمنية دون مشاكل فقد ثار على الأمير الجديد شقيقاه ياجان وعين الدولة، وطالبا بنصيبهما من أملاك إمارة سيواس^(٤). ولقد أراحت هذه الأحداث البيزنطيين بعض الشيء وساهمت في تقدمهم دون مضايقة^(٥).

وكان الإمبراطور حنا كومنين قد علم أثناء سيره بوفاة الأمير غازي فأجرى محادثات مع السلطان السلجوقي مسعود بن قليج أرسلان، ونجح في إقناعه

= الإمبراطور فخل أن يسير راجلاً أمام الجمالير التي تدافعت على طول الطريق الذي سيمر خلاله الموكب اعتباراً من الباب الشرقي للعاصمة وحتى كنيسة القديسة إياصوفيا.

□ Chalandon: Les Comnene II. P.87.

(١) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ٢٣٦.

□ Cinnamus: Epitome Historiarum. P.20; Michel le Syrien: Extrait de la Chronique. V.3. P.234; Cahen: Pre-Ottoman. Turkey. P.95.

2) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.20; Michel le Syrien: Extrait de la Chronique. V.3. P.234.

3) Schlumberger: Une Nouvelle Monnaie a Legende Grecque Emirs Danischmendides de Cappadoce. P 6.

4) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique. V.3. P.228; Chalandon: Les Comnene II. P.89.

5) Cambridge Medieval History. IV. P.223.

بالانضمام إليه ضد الأمير محمد بن غازي. وبذلك تمكن من بتر التحالف القائم منذ زمن طويل بين سلاجقة الأناضول والإمارة الدانشمندية في سيواس.

وقد وافق السلطان السلجوقي على ذلك التحالف مع الإمبراطور لكي يسترد بعض المدن السلجوقية التي سيطر الدانشمنديون عليها في عهد صهره الأمير الراحل غازي بن دانشمند، ولكي يتفادى في الوقت نفسه هجوماً محتملاً قد يشنه الإمبراطور عليه عقب انتهائه من الدانشمنديين.

وهكذا أرسل السلطان مسعود أحد نبلاء قصره على رأس جيش كبير للانضمام إلى القوات البيزنطية التي جاءت لاستعادة مدينة قسطنطيني من الدانشمنديين^(١).

رابطت القوات البيزنطية والسلجوقية معاً أمام أسوار قسطنطيني وفرضت عليها حصاراً طويلاً، اضطر الإمبراطور خلاله إلى تبديل خطته العسكرية الأولية الرامية إلى الانتظار حتى حلول فصل الربيع بعد أن بلغه ذات صباح أن القوات التي أرسلها السلطان مسعود غادرت المعسكر في الليلة السابقة، وأن سلطان قونية قد اتفق فجأة مع الأمير محمد بن غازي على وضع حد لخلافتهما فأمر جنوده بترك البيزنطيين والانسحاب فوراً^(٢).

أقلق هذا الأمر المفاجئ حنا كومنين فصمم على الانسحاب حيث خشي أن يستغل كل من الأمير الدانشمندي والسلطان السلجوقي غيابه، فيقوموا باجتياح الأراضي البيزنطية حيث إن جزءاً كبيراً من حاميتها قد تركت مواقعها الرئيسية هناك وانضمت إلى هذه الحملة^(٣).

وكانت الفكرة الأولى في رأس حنا كومنين هي التراجع إلا أنه كُتني عن قراره من قبل الرهبان البيزنطيين التابعين لبعض أديرة هذه البلاد الذين تصادف وجودهم معه فأخذوا يحثونه على مهاجمة مدينة قسطنطيني التي لا تقدر على المقاومة حسب نصيحتهم، وقد استجاب الإمبراطور للرهبان وهاجم سور

1) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.20.

2) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.21.; Chalandon: Les Comnène II. P.89.; Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.480.; Cahen: Pre-Ottoman Turkey P.96.

3) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.21

قسطنطيني إلا أن قواته قد دحرت، فأصدر أمره بالرحيل، وتراجع البيزنطيون حتى مدينة رينداكوس Rhyndacus حيث قضى الإمبراطور فصل الشتاء هناك مع جيشه.

ولقد تعرض البيزنطيون أثناء ذلك للمجاعة بسبب عدم وصول المؤن إليهم، وبالرغم من ذلك فقد أعاد الإمبراطور ترتيب قواته وتوجه مرة أخرى إلى قسطنطيني وتمكن من الاستيلاء عليها سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م^(١).

انطلق الجيش البيزنطي بعد ذلك إلى مدينة جانجرا (جانقري) الخاضعة للدانشمنديين. وكان نائبهم عليها الأمير التركي الب أرسلان قد توفي منذ فترة قليلة، واستلمت أرملته مقاليد الحكم في هذه المدينة، وتولت أمر الدفاع عنها^(٢). فحاصر الإمبراطور المدينة، ورفض سكانها في البداية عقد اتفاق مع الإمبراطور لأنهم علموا بأن قوات إسلامية جاءت لنجدتهم وقد تمركزت حول مدينة رينداكوس القريبة من جانجرا.

استمر الجيش البيزنطي في حصار المدينة، وبعد أن فقد السكان الأمل في وصول الدعم العسكري المنتظر قبلوا بعقد اتفاق مع الإمبراطور حيث حصلوا على شروط مناسبة إذ منح السكان الذين يرغبون في مغادرة البلد الحرية في ذلك. والتزم لهم الإمبراطور كذلك بإطلاق سراح الأسرى الذين تم أخذهم خلال حملة سابقة قام بها البيزنطيون على هذه المدينة، وحسب رأي كيناموس^(٣) فإن كثيراً من أهالي جانجرا لم يكونوا يتوقعون أن يعاملوا هذه المعاملة الطيبة كما زعم البعض^(٤) بأن هؤلاء بادروا إلى الانخراط في الخدمة داخل صفوف الجيش البيزنطي.

وقبل أن يرحل الإمبراطور عن جانجرا سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م ترك فيها حامية

1) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.21.; Ostrogorsky: History of the Byzantine State. P.336; Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P.119.

2) Chalandon: Les Comnene II. PP.89-90.

3) Epitome Historiarum. P.21.

4) Chalandon: Les Comnene II P.90; Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor P 119., Brehier Louis: The Life and Death of Byzantium V.5. P.225.

مؤلفة من العي جدي. غير أن هذه المدينة لم تنق طويلاً في أيدي البيزنطيين إذ عاد الأمير محمد بن غازي حوالي سنة ١١٣٦هـ / ١١٣٦م فحاصرها، واستردها منهم^(١).

وعقب هذه الحملة المضفرة التي أعادت لبيزنطة أراضي فقدتها منذ زمن طويل اعتقد الإمبراطور حنا كومنين أنه أضعف قوة الأتراك المسلمين داخل الأناضول وأصبح بإمكانه أن يقود حملاته إلى بلاد الشام وأرمينية دون أن تتعرض خطوط مواصلاته لهجمات مفاجئة من جانب السلاجقة والدانشمندان^(٢). وقد شجع ذلك الإمبراطور البيزنطي سنة ١١٣٦هـ / ١١٣٦م على قصد أرمينية والسيطرة على بعض المدن والحصون من حاكمها ابن ليون الأرمني^(٣).

وفي سنة ١١٣٩هـ / ١١٣٩م سار الأمير الدانشمندي محمد بن غازي إلى أرمينية واستعاد قلعتي فاهكة Vahga وجابنوبرت Gabnaupert اللتين سبق أن أخذهما البيزنطيون من الأرمن^(٤)، ثم تحول الأمير محمد بعد ذلك إلى المنطقة الساحلية الواقعة على ساحل البحر الأسود والتي كان يحكمها في السابق الدوق البيزنطي كاسيانوس Kasianus قبل دخوله في خدمة الدانشمندان، وبعد أن استولى الأمير محمد على هذه المنطقة، أسر أعداداً كبيرة من أهلها وقام ببيعهم في أسواق الرقيق^(٥).

وقد واصل الأمير الدانشمندي توسعه على حساب الدولة البيزنطية حتى أنه بلغ المناطق المجاورة لنهر سانجاريوس^(٦) Sangarius. الأمر الذي دفع

1) Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.480.

□ عبد الحفيظ علي: المسلمون والبيزنطيون، ص ١٥٦.

2) Chalandon: Les Comnene II. P.91.

(٢) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ٢٥٨. العظيمي: تاريخ العظمي، ص ٤١١. ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٥٣.

□ Robert Lee Wolff: The Later Crusades. (Philadelphia) V.II. P.133.

(٤) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ٨٤. ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٥٤.

(٥) ابن العبري: المصدر نفسه، ص ١٥٤.

□ Isin Demirkent: Urfa Hacli Kontlugu Tarihi P 131

(٦) سانجاريوس: نهر يقع غرب العاصمة التركية أنقرة. على طريق يؤدي إلى (اليوسفور) خليج القسطنطينية ويطلق على هذا النهر أسماء آخر مثل (البحر الأخضر، وصاغري، =

بالإمبراطور حنا كومنين إلى شن هجوم مصاد على البلاد الدانشمندية الواقعة في إقليم بافلاجونيا. ولكن الإمبراطور اكتشف إبان هذا الهجوم خللاً داخل جيشه، فانسحب إلى مدينة لوباديوم الواقعة تحت سيطرته، وشرع في تنظيم صفوفه وذلك تأهباً للقيام بهجوم أكبر على الدانشمنديين.

وفي تلك الأثناء أبدى عدد كبير من الجند عدم رغبتهم في القيام بعمل عسكري جديد بسبب الحملات المتتالية التي خاضوها حيث أصيبوا بالإرهاق والمرض، وقد بذل الإمبراطور معهم محاولات شتى حتى استطاع أن يقنعهم بالاستمرار في القتال^(١).

وعند ذلك قرر أن تكون ولاية طرابزون هي هدفه التالي وذلك بغية تحقيق هدفين هما: وضع حد لغزوات الأمير محمد بن غازي المتكررة على الممتلكات البيزنطية وإخضاع الدوق قسطنطين جابراس الذي أعلن وقتئذ تمرد، ووقف إلى جانب السلطات الدانشمندية ضد البيزنطيين^(٢).

وبعد أن أخضع الإمبراطور دوق طرابزون زحف بقواته عبر الطريق الساحلي على البحر الأسود حتى يضمن حصول قواته على المؤن والإمدادات اللازمة، كما أنه يعد أقرب الطرق المؤدية إلى حدود الإمارة الدانشمندية في سيواس، حيث إن الجيش الإمبراطوري تعرض أثناء زحفه لهجمات خاطفة قام بها اتباع الدانشمنديين في البلاد الواقعة على امتداد هذا الطريق فكانوا ينقضون عليه كالبرق وهم يمتطون صهوات خيولهم السريعة، ثم يختفون وكأن ريحاً أبعدتهم عن الطريق^(٣).

وقد عانى البيزنطيون كثيراً من هذه الهجمات حتى استطاعوا الوصول إلى مدينة نيكسار التي كانت عاصمة للدانشمنديين في أواخر عهد الأمير كمشتكين، وضرب الجيش البيزنطي حولها الحصار سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م وكان هدف الإمبراطور حنا كومنين تحطيم القلعة التي بناها الأمير الدانشمندي محمد بن غازي داخل هذه المدينة حيث دارت معارك عنيفة أمام أسوار نيكسار بين

= ونهر عمورية ميلان، والأخير أشهر هذه الأسماء). انظر: (ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص ٩٢، ٩٧، ١٠٦؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص ١٦٧).

(١) عبد الحفيظ علي: المسلمون والبيزنطيون، ص ١٥٨.

2) Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye Tarihi P.176.

3) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.25

الدانشمنديين والقوات البيزنطية^(١).

ولقد أوشكت نيكسار على الوقوع بأيدي البيزنطيين لولا حدوث مفاجأة وهي أن الإمبراطور رأى أثناء القتال محارباً إيطالياً بدون فرس فطلب من ابن أخيه حنا إسحاق^(٢) أن يعطيه فرسه، ولكنه رفض ذلك فأخذ الإمبراطور منه الفرس بالقوة، واستبد به الغضب، فدعا حنا إسحاق المحارب الإيطالي إلى مبارزته، ويكون الحصان جائزة للمنتصر منهما ولكن حنا رأى أنه غير قادر على الوقوف أمام غضب عمه الإمبراطور فنزل عن جواده، وفر إلى المعسكر الدانشمندي حيث رحبوا به واستقبلوه، فاعتنق الإسلام، وكشف لهم عن نقاط الضعف في الجيش البيزنطي^(٣)، فشدد الدانشمنديون ضغطهم على مؤخرة القوات البيزنطية والحقوا بها خسائر جسيمة، وأرغموا الإمبراطور في شهر رجب سنة ٥٣٥هـ / ديسمبر ١١٤٠م^(٤) على سحب قواته إلى شاطئ البحر الأسود، حيث أخذ يبحث عن مناطق آمنة لقواته تستطيع عبورها وهي تعود إلى القسطنطينية^(٥).

وفي الواقع فإن هذه الحملة تمثل قمة محاولات بيزنطة لغزو مدن شمال شرقي الأناضول بعد سيطرة الدانشمنديين عليها. ورغم أن الإمبراطور حنا كومنين قد حاصر مدينة نيكسار ستة أشهر^(٦)

1) Cinnamus: Epitome Historiarum. PP.25-26.

□ ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٧٩.

□ Brehier Louis: The Life and Death of Byzantium. V.5. P.226.

□ عبد الحفيظ علي: المسلمون والبيزنطيون، ص ١٥٨.

٢) سبق أن أشرنا إلى تأمر إسحاق كومنين وابنه حنا مع الدانشمنديين ضد أخيه الإمبراطور حنا كومنين. ولكن الأمير إسحاق قد عاد بصحبة ابنه حنا سنة ٥٣٦هـ / ١١٣٦م إلى القسطنطينية، وأعلننا خضوعهما للإمبراطور فعلاً عنهما (محمود عمران: السياسة الشرقية، ص ٥٧).

3) Osman Turan: Selcuklular Zamanında Turkiye Tarihi. P.176.; Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.481.; Cahen: Pre-Ottoman Turkey. P.96.

٤) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٧٩.

5) Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.481.

٦) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٥٥.

□ Brehier Louis: The Life and Death of Byzantium. V.5. P.226.; Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor P 119

فإنه لم يتمكن من تحقيق أهدافه نظراً لصدود الأمير الدانشمندي محمد بن غازي في الدفاع عنها. هذا بالإضافة إلى أن الجنود البيزنطيين كانوا قبيل مسير هذه الحملة قد أعلنوا أمام الإمبراطور تضجرهم من كثرة الأعمال الحربية التي شاركوا بها.

ولم يعد الإمبراطور من حملته هذه بخفي حنين، فقد تمكن من إعادة حدود الإمبراطورية حتى نهر قزل إيرماق (هاليس). كما استعاد كل ثغر بافلاجونيا القديم. وبذلك فإن المهمة التي سعت الحملة الصليبية اللومباردية إلى إنجازها سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م وفشلت في ذلك قد تمت بنجاح على يد الإمبراطور حنا كومنين بعد حوالي أربعين سنة^(١).

وهكذا استطاع أن يسترد للإمبراطورية البيزنطية الشاطئ الجنوبي للبحر الأسود من البوسفور حتى نهر تخوروك Tchoroka إلى إقليم طرابزون شرقاً^(٢). وفي ربيع سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م خرج الإمبراطور البيزنطي في آخر حملاته العسكرية ناحية الشرق مستهدفاً مدينة أنطاكية^(٣)، وأثناء زحفه إليها توقف في الطريق لطرد القوات الدانشمندية التي كانت آنذاك تحاصر مدينة سوزوبوليس Sozopolis.

وفي هذه الأثناء بلغ الإمبراطور نبأ وفاة الأمير الدانشمندي محمد بن غازي. وقد أزاح رحيل هذا الأمير عبئاً كبيراً من الضغط الذي كان الإمبراطور يواجهه من أكبر قوة عسكرية في الأناضول. وفي الوقت نفسه أدت وفاة الأمير محمد إلى قلب موازين القوة في هذه المنطقة لصالح السلاجقة حيث انتقلت السيطرة عليها إلى يد سلطان قونية مسعود بن قليج أرسلان^(٤).



(١) عبد الحفيظ علي: المسلمون والبيزنطيون، ص ١٦٠.

□ Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P.119.

2) Chalandon: Les Comnène II. P.91; Brehier Louis: The Life and Death of Byzantium. V.5. P.225.

□ سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٥٩١. + عبد الحفيظ علي: المسلمون والبيزنطيون، ص ١٦٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٩٢.

4) Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P.119; Cahen: Pre-Ottoman Turkey. P.96., Cambridge Medieval History. IV. P.224.

□ عبد الحفيظ علي: المسلمون والبيزنطيون، ص ١٦٠.

ثالثاً - العلاقات في عهد الإمبراطور مانويل حنا كومنين

٥٣٨ - ٥٧٦ هـ / ١١٤٣ - ١١٨٠ م

عقب وفاة الأمير الدانشمندي محمد بن غازي سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٢م تفجرت الصراعات الداخلية بين بعض أفراد أسرته الأمر الذي أدى إلى انقسام الإمارة الدانشمندية وقتئذ إلى ثلاثة أقسام، حيث استقل الأمير ذو النون بن محمد في قيصرية، وتسلم عمه ياغي بسان بن غازي مقاليد الحكم في سيواس، كما أعلن عمه الآخر عين الدولة بن غازي استقلاله في ملطية^(١).

وقد أدى هذا التقسيم إلى إضعاف الإمارة الدانشمندية، وبزوغ نجم السلطان السلجوقي مسعود في قونية ليصبح القوة الرئيسية في الأناضول^(٢) فسعى إلى فرض سيطرته على بلدان الإمارة الدانشمندية، حيث قام بشن غارة على سيواس فلانز أميرها ياغي بسان بالفرار إلى أحد الجبال القريبة، ثم تحول السلطان السلجوقي إلى ملطية وفرض عليها حصاراً استغرق عدة أشهر^(٣).

ازعجت اعتداءات السلطان مسعود المتكررة على أملاك الدانشمنديين أمير سيواس ياغي بسان فأسرع إلى عقد تحالف مع الإمبراطور البيزنطي مانويل حنا كومنين ليحمي بلاده من الأطماع السلجوقية. وقد رحب الإمبراطور البيزنطي بالعرض الدانشمندي سيما وأن السياسة البيزنطية في مستهل عهد هذا الإمبراطور لم تتخل عن أطماعها في الشرق، إذ وجدت في التحالف مع الأمير الدانشمندي وسيلة لتحقيق ذلك من جهة، ولتجميد جزء من قوى السلطان السلجوقي في قونية وتأمين بعض التسهيلات للوصول إلى منطقة أرمينية من

1) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.253.

□ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٥٦-١٥٥.

□ Chalandon: Les Comnene II. P.242.; Casanova: La Numismatique des Danichmendites. PP.50-51.

٢) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٩٢؛ أبو الفداء: المختصر، ج ٣، ص ١٦؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ١١٠.

3) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.254.

جهة أخرى^(١).

بإدراك الإمبراطور مانويل إلى تلبية نداء حليفه ياغي بسان فوجه اهتمامه إلى السلطان السلجوقي مسعود منتهزاً فرصة تواجد القوات السلجوقية في مدينة ملاجينة^(٢) Malagina الواقعة على الطريق الممتد من نيقية إلى دوريليوم، فزحف مانويل على رأس قواته في سنة ١١٤٥هـ / ١١٤٥م، وتمكن من رد السلاجقة على أعقابهم من مدينة ملاجينة، ولكنه مالبت أن عاد إلى القسطنطينية بسبب تدهور الحالة الصحية لأخته الكبرى ماريا Maria التي كانت مريضة في هذا الوقت^(٣). وقد أعطى انسحاب الإمبراطور المفاجئ دفعة معنوية عالية للسلاجقة للقيام بهجوم آخر ضد الأراضي البيزنطية.

وحينما علم الإمبراطور مانويل بذلك لم يتمالك نفسه من الغضب فحشد جيشاً لشن هجوم على العاصمة السلجوقية قونية، وأرسل وهو في طريقه إليها رسالة تهديد إلى السلطان السلجوقي قال فيها: «نريد إبلاغك أيها السلطان أنك قمت بأمور سببت هجومنا عليك، فقد استوليت على مدينة براكانا Prakana التي لاتخضع، وأخيراً هاجمت أراضي الروم، وحاربت حليفنا ياغي بسان بن دانشمند وولاة آخرين...»^(٤).

قاد الإمبراطور مانويل قواته في ربيع سنة ١١٤٦هـ / ١١٤٦م لقتال السلاجقة والانتقام منهم لحليفه أمير سيواس ياغي بسان، في حين أخذ السلطان السلجوقي يستعد لهذا الهجوم البيزنطي. وقد استطاع السلطان أن يضم إلى صفوفه بعض العناصر الدانشمندية التي أعلنت التمرد على أمير سيواس، ودخلت وقتئذ في خدمة السلاجقة احتجاجاً على تحالف أميرهم ياغي بسان مع البيزنطيين ضد السلاجقة، كما أن هذه العناصر قد سئمت من العيش في ظل

1) Chalandon: Les Comnène II. P.254.; Vasiliev: History of the Byzantine Empire. V.I. P.417.; Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P.119.

٢) مَلاجِنَة: تقع شمال غرب الأناضول في الطريق المؤدي من قلب الأناضول إلى القسطنطينية. انظر: ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص ٩٢.؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص ١٦١، ١٦٧.

3) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.37

4) Cinnamus: Op. Cit P.39.

حالة الفوضى والانقسام التي ظهرت داخل إمارة سيواس عقب وفاة الأمير محمد بن غازي. وكان لانضمام تلك العناصر الدانشمندية إلى القوات السلجوقية، إلى جانب الأنباء التي تلقاها الإمبراطور عن قرب قدوم الحملة الصليبية الثانية أكبر الأثر في إجبار الإمبراطور على الانسحاب من الأراضي السلجوقية والعودة إلى القسطنطينية^(١).

لم يستمر التحالف بين الدانشمنديين والبيزنطيين طويلاً فقد تخلى أمير سيواس ياغي بسان بن غازي سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م عن سياسة التقرب من الإمبراطورية البيزنطية، ودخل بقواته بعض مناطق النفوذ البيزنطي وذلك بمساعدة السلطان مسعود الذي تصالح مع ياغي بسان حينما تعرضت الإمبراطورية لهجوم شنه ضدها الألمان والمجريون من ناحية الغرب، فأسرع الإمبراطور لمهاجمة^(٢) صقلية^(٣).

ولقد أشار أحد الباحثين^(٤) إلى أن الأمير ياغي بسان قام بهذا العمل في ذلك الوقت حتى لا يكون بمعزل عن بقية إخوانه أمراء المسلمين الذين تعاونوا آنذاك لتصفية ممتلكات إمارة الرها الصليبية، أو ربما أنه وجد في هذا الهجوم تقريباً إلى السلطان السلجوقي مسعود الذي زاد نفوذه بعد استيلائه على بعض مدن إمارة الرها المنهارة. هذا فضلاً عن ازدياد الصلة بين السلطان مسعود والأتابك نورالدين محمود بعدما تم التصاهر بينهما.

ومن جانبنا فتحن لانميل إلى هذا الرأي إذ أن هجوم الأمير ياغي بسان الذي تم بمساعدة السلطان مسعود ضد الإمبراطورية البيزنطية أثناء انشغالها

1) Cinnamus: Epitome Historiarum. PP.43-44.; Vasiliev: History of the Byzantine Empire. V.2. P.417.; Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P.120.; Brehier Louis: The Life and Death of Byzantium. V.5. P.229.

2) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.82.

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ١٤٥.

(٢) مقلية: من جزائر بحر المغرب مقابلة لإفريقية وهي مثلثة الشكل، حصينة كثيرة البلدان والقرى، فتحها المسلمون في عهد الخليفة العباسي المأمون. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤١٦ القرويني. أثار البلاد، ص ٢١٥).

(٣) محمود عمران: السياسة الشرقية، ص ١٨٢.

في حروب مع الغرب قد جرى سنة ١١٤٤هـ / ١١٤٩م^(١) هي حبر ان سقوط ممتلكات إمارة الرها بأيدي بعض أمراء المسلمين قد بدأ على أثر الهجوم الذي قام به الأتابك بورالدين محمود ضدها سنة ١١٥٥هـ / ١١٥٠م وما عقب ذلك من أسر أمير الرها جوسلين الثاني^(٢).

وفي الواقع فإن العلاقات بين الأمير ياغي بسان والسلطان السلجوقي مسعود قد تحسنت بالفعل منذ قدوم الحملة الصليبية الثانية إلى الأناضول سنة ١١٤٧هـ / ١١٤٧م حيث فرض عليهم هذا الخطر القادم من الغرب ضرورة إقامة تحالف عسكري بينهما من أجل التصدي له^(٣).

وفي سنة ١١٥٢هـ / ١١٥٧م انتهب أمير سيواس ياغي بسان فرصة القتال الدائر بين البيزنطيين والسلاجقة بعد أن سيطر السلطان قليج أرسلان الثاني على مدينتي بونورا Pounoura وسبيل Sibya. فقام الأمير الدانشمندي من جانبه بالهجوم على مدينتي بافرا Bafra ويونه Unya الواقعتين على ساحل البحر الأسود. غير أن السيطرة السلجوقية والدانشمندية على هذه المدن البيزنطية لم تستمر، فقد جهز الإمبراطور مانويل في العام التالي (١١٥٣هـ / ١١٥٨م) حملة عسكرية أسند قيادتها للكسيوس جيفاردوس Alexius Giphardos الذي نجح في استعادة تلك المدن من السلطان السلجوقي والأمير ياغي بسان. وفي الوقت نفسه أجبر هذا القائد البيزنطي الأمير الدانشمندي ياغي بسان على التخلي عن قيادة حملة جديدة كان على وشك القيام بها ضد الأراضي البيزنطية^(٤).

وفي سنة ١١٥٦هـ / ١١٦١م لجأ الإمبراطور مانويل إلى ممارسة السياسة البيزنطية المعتادة الرامية إلى ضرب القوى التركية الإسلامية داخل الأناضول بعضها ببعض، حيث حرّض الإمبراطور أمير سيواس ياغي بسان الذي كان

1) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.82.

□ ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ١٤٥.

(٢) ابن القلانسي: نيل تاريخ دمشق، ص ٣٦٠. ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ١٥٤-١٥٥.

3) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.58; William of Tyre: History of Deeds Done Beyond the Sea. V.2. P.167.

4) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.135; Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor P.121.; Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.482.

وقتند على وفاق معه على قتال السلطان السلجوقي قليج أرسلان^(١). فنشبت الحرب بينهما بتأييد من الإمبراطور الذي حقق هدفه من زج هذين الزعيمين في ذلك الصراع، فقد عرض السلطان السلجوقي على الإمبراطور إقامة معاهدة بينهما كانت معظم بنودها لصالح الإمبراطور البيزنطي^(٢).

وحينما تبين للسلطان السلجوقي قليج أرسلان في أواخر سنة ١١٥٧هـ/ ١١٦١م أن الأمير الدانشمندي ياغي بسان إلى جانب أمراء دانشمنديين وسلاجقة آخرين يخططون للإطاحة به، وتولية أخيه شاهنشاه مكانه، قرر القيام بزيارة سريعة إلى القسطنطينية كي يطلب من الإمبراطور حمايته^(٣). وقد تظاهر السلطان السلجوقي بأن هدفه من هذه الزيارة هو التوقيع على المعاهدة التي تم الاتفاق عليها قبل ذلك مع الإمبراطور مانويل. كما أن السلطان كان يخشى أن يكون الإمبراطور وراء القلاقل التي كان يثيرها أمير سيواس ياغي بسان ضده. وعلى هذا الاعتبار قصد السلطان العاصمة البيزنطية على وجه السرعة لوقف وإحباط اتفاق بيزنطي دانشمندي يدبر ضده، أو على الأقل وقف تشجيع الإمبراطور للأمير ياغي بسان على محاربة القوات السلجوقية. وقد بقي السلطان فترة طويلة في القسطنطينية كي يلمس بنفسه مدى نجاحه في تلك المهمة^(٤).

وفي سنة ١١٥٩هـ/ ١١٦٣م قاد الإمبراطور حملة عسكرية ضخمة على بعض البلاد الخاضعة للسلطان قليج أرسلان وأمير سيواس ياغي بسان مما أوجب عليهما ضرورة تجاهل ما بينهما من خلافات والعمل على توحيد صفوفهما

1) Chalandon: Les Comnène II. P.457.; Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.482.

□ محمود عمران: السياسة الشرقية، ص ٢٦٣.

2) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.152.; Cahen: Pre-Ottoman Turkey. P.101.; Cambridge Medieval History IV. P.236.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٧٥.

□ Vasiliev: History of the Byzantine Empire. V.2. P.427; Sydney Fisher: The Middle East A History. London 1959. PP.163-164.

4) Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor P.122.

□ محمود عمران: السياسة الشرقية، ص ٢٧٥.

لمجابهة هذا الخطر. ومن ثم شنت القوات الدانشمندية والسجوقية معاً غارات ليلية مفاجئة على أطراف الجيش البيزنطي والحقت به خسائر فادحة كما استولت على بعض الحصون البيزنطية فأجبرت الإمبراطور مانويل على سحب قواته، والعودة بها إلى القسطنطينية^(١).

وعندما اشتعلت الحرب سنة ١١٦٠هـ / ١١٦٤م بين أمير سيواس ياغي بسان والسلطان السلجوقي قليج أرسلان بعد قيام الأول باختطاف روجة السلطان. أسرع السلطان يطلب النجدة من الإمبراطور البيزنطي مانويل ضد ياغي بسان، فأرسل الإمبراطور مدداً عسكرياً لمساندته، ولكن الحرب لم تقع بين الطرفين بسبب وفاة ياغي بسان في هذه الأثناء. وجرت تسوية الخلافات القائمة بين السلطان وبين ورثة أمير سيواس بشكل سلمي^(٢).

وحينما آل حكم إمارة سيواس إلى الأمير الدانشمندي ذي الدور بن محمد (٥٦٨ - ٥٧٠هـ / ١١٧٢ - ١١٧٤م)^(٣) طمع السلطان السلجوقي قليج أرسلان في بلاده فهاجمها وبسط نفوذه عليها وأخرج ذالنون منها. فرأى ذالدور أن يلجأ إلى الإمبراطور مانويل ولكنه عدل عن رأيه بسبب انشغال الإمبراطور آنذاك في أوروبا^(٤)، وبالتالي قرر اللجوء إلى الأتابك نورالدين محمود في الشام^(٥). ولما توفي نور الدين محمود سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م^(٦)، طلب ذالنون مساعدة الإمبراطور مانويل^(٧)، فأرسل له جيشاً كبيراً في سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م لتمكينه من العودة إلى

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣١٣-٣١٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣١٧. + العمري: مسالك الأنصار، ج ٢٧، ص ٤٣. + منجم بلشي:

منجم بلشي تاريخي، جلد ثاني، ص ٥٦١.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٨٧.

4) Chalandon Les Comnene II P 494

□ عمر كمال توفيق: الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٤٤.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣٩١.

(٦) ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٣٠٥. + ابن قاضي شوبه: الكواكب الدرية، ص ٢٢٨.

(٧) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية من مخطوطة ميخائيل السريلي، ص ١١٧. + ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٩٠.

— Cahen Pre-Ottoman Turkey P.103., Cambridge Medieval History IV
P 237, Schlumberger: Des Emirs Danischmendides de Cappadoce. P.2.

بلاذه بعد إخراج السلطان السلجوقي منها^(١).

تحرك الجيش البيزنطي الذي يبلغ عدد أفرادهِ ثلاثين ألف مقاتل إلى البلاد الدانشمندية التي وقعت تحت السيطرة السلجوقية وضرب حصاراً على مدينة نيكسار (قيصرية الجديدة) التي كانت من قبل تحت حكم الأمير الدانشمندي ذي النون نظراً لأنه يوجد بها بعض الموالين لهذا الأمير. وقد عملت الحامية السلجوقية التي كانت تدافع عن هذه المدينة على الوقعة بين قائد الجيش البيزنطي فاتاتزيس Vatatzes وهو ابن أخت الإمبراطور وبين الأمير الدانشمندي ذي النون. وأخذ أفرادها يرمون السهام المحملة بالرسائل للمعسكر البيزنطي وقفه كتبوا فيها أن الأمير ذا النون رجل مخادع وأنه لم ينس بني جنسه من الأتراك، وأنه يعمل على مساعدتهم، وكان لهذه الرسائل فعلاً أثر واضح في نفس قائد الجيش البيزنطي لدرجة أنه بدأ يأخذ حذره من الأمير ذي النون، وكان يتوقع خيانتَه في أية لحظة^(٢).

وفي هذه الأثناء أشاع السلاجقة نبأ كاذباً عن موت الإمبراطور مانويل مما نشر الذعر داخل الجيش البيزنطي، وبدأ أفرادهِ بالانسحاب، وأثناء تتبع السلاجقة لهم، قبضوا على القائد البيزنطي فاتاتزيس فقتلوه، وحملوا رأسه إلى السلطان قليج أرسلان^(٣).

أما بالنسبة للأمير الدانشمندي ذي النون فقد تخلى عن القيام بالدور المطلوب منه لمساعدة البيزنطيين، حيث أدرك أن انتصار الإمبراطور مانويل سيؤدي إلى انهيار سيطرة الأتراك المسلمين على الأناضول، وهذا يعني أن

1) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.224; Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P.123.; Mordtmann: Die Dynastie der Danschmende. P.485.

٢) الخلفاء العباسيون والحروب المليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ١٧٧.

□ Chalandon: Les Comnene II. P.507.

٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٩٢.

□ Cahen: Pre-Ottoman Turkey P104., Abdulhaluk Gay' Anadolunun Turklesmesinde Donum Noktasi. P 80

ذا النون قد شارك بنفسه في تدمير قومه مما سيلحق به عاراً يصعب سبانه^(١)
ولهذا فقد تخلى ذوالنون عن البيزنطيين ولاذ بالفرار إلى منطقة . لم تذكر
المصادر اسمها . تقع شمال أراضي الإمبراطورية البيزنطية في الأناضول، إلا أن
بعض البيزنطيين مالبتوا أن قبضوا عليه ووضعوه تحت تصرف الإمبرطور^(٢).

ارتاع مانويل لمقتل ابن أخته فاتاتزيس قرب قيصرية، فجهز جيشاً تولى
قيادته بنفسه، وكان يأمل في مباغطة السلطان السلجوقي قليج أرسلان داخل
عاصمته قونية. ولكن السلطان لم يفاجأ بوصول الجيش البيزنطي بل كان يتوقع
مثل هذا الهجوم وقد ضمن مساعدة بعض أمراء البلاد الإسلامية المجاورة،
وأصدر السلطان الأوامر بعدم التحرش بالجيش البيزنطي إلا عند وصوله إلى
الجبيل الذي يعسكر فيه مع قواته، واكتفى بتخريب القرى التي تقع على طول
الطريق الذي سوف يعبره البيزنطيون، وأمر بحرق المحاصيل وتسميم مياه
الآبار. ورغم ذلك كله كان قليج أرسلان يعرب عن خشيته من نتائج هذه الحملة^(٣)
وذلك خوفاً من انضمام العناصر الموالية للأمير الدانشمندي ذي النون في مناطق
وسط الأناضول إلى جانب خصومه البيزنطيين حيثما يبدأ القتال بينه وبينهم،
وذلك بعد أن بسط السلطان سيطرته على هذه المناطق الدانشمندية. وعلى أثر
ذلك أخذ السلطان يفاوض الإمبراطور البيزنطي من أجل منع نشوب الحرب
بينهما، وقام الأخير باستدعاء المجلس العسكري لمناقشة مبادرة السلطان^(٤).

وقد انقسم أعضاء هذا المجلس إلى فريقين أحدهما يرفض الحرب، والآخر
يؤيدها، وقد استجاب الإمبراطور لرغبة الفريق الثاني، وأخبر مبعوثي السلطان
أن مانويل سيدلي برأيه في قونية^(٥).

توجه الجيش البيزنطي نحو ممر تزيبرتز Tzibritze الذي احتشدت فيه

(١) علي الغامدي: معركة ميريكيندالوم ١٠٧٧م/ ١١٧٦م، مقال في مجلة جامعة أم القرى، السنة
الأولى، العدد الأول، عام ١٤٠٩هـ، ص ١٣٦.

(٢) الخلفاء العباسيون والحروب المليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ١١٨.

(٣) Chalandon: Les Comnene II. PP.507-508.

(٤) محمود عمران: السياسة الشرقية، ص ٣٤٢.

(٥) Chalandon: Les Comnene II. P.508.

القوات السلجوقية بعد رحيلها عن ميريوكيفالون Myriocephalon (٨).

وعند بدء القتال تمكن السلاجقة من شطر القوات البيزنطية إلى شطرين فأنزلوا بها خسائر فاحشة (٩). وقد تمكن الإمبراطور مانويل من التسلل إلى أحد شعاب الأودية القريبة ففجأ بأعجوبة. وأخذ يرسل السلطان عارضاً عليه الصلح وتعهده بتسليم المدن السلجوقية التي أخذها منه مقابل السماح لفلول القوات البيزنطية المنهزمة بالانسحاب (١٠).

ويتضح من أحداث هذه المعركة أن الإمبراطور مانويل أخفق في تحقيق الأهداف التي هاجم أملاك السلاجقة من أجلها، فقد خسر المعركة، وفشل في إعادة الأمير الدانشمندي ذي النون إلى بلاده حيث انقطعت أخبار هذا الأمير نهائياً بعد تلك المعركة.



(١) ميريوكيفالون: حصن قديم شيده الإمبراطور البيزنطي جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) على الطريق العسكري البيزنطي الرئيس في آسيا الصغرى، ويقع هذا الحصن جنوب غرب مدينة أنقرة وشمال غرب مدينة قونية، وليس من المعروف إن كان اسم ميريوكيفالون هو اسم الحصن الأصلي، أم سمي به بسبب الأحداث التي جرت فيه - ذلك أن كلمة ميريوكيفالون تعني ألف رأس - وآلاف من الروم (البيزنطيين) قد هلكوا عند هذا الحصن أكثر من مرة. وكان هذا الحصن خراباً في عهد الإمبراطور مانويل كومنين.

□ The New Encyclopedia Britannica. Vol.VIII. P.150.

□ وانظر: محمد زكي نجيب: علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عصر أسرة كومنين (١٠٨١-١١٨٥م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٨٨م، ص ١٨٤.

2) Chalandon: Les Comnene II. PP.508-509; Setton: A History of the Crusades. V.2. P.679; Glubb John: The Lost Centuries. P.166; Vryonis: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. P.124; Robert Lee Wolff: The Later Crusades. V.2. P.140.

(٢) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ١١٨-١١٩. ابن العربي: تاريخ الزمان، ص ١٩٣.

□ Vasiliev: History of the Byzantine Empire. V.2. P.428; Wittek: The Rise of the Ottoman Empire. P.23.; Abdulhaluk Gay: Anadolunun Turklesmesinde Donum Noktasi. P.72.

□ محمود عمران: السيلسة الشرقية، ص ٢٤٧-٢٤٨.

رابعاً: علاقات الدانشمنديين (الدبلوماسية) بالإمبراطورية البيزنطية

تعود الصلات الدبلوماسية بين الدانشمنديين والإمبراطورية البيزنطية إلى سنة ٥٢١هـ / ١١٢٧م، ففي هذا العام خرج الدوق البيزنطي كاسيانوس حاكم ولاية بافلاجونيا من تلقاء نفسه لملاقاة أمير سيواس غازي بن دانشمند الذي كان يتقدم جيشه لشن هجوم على المناطق البيزنطية المطلة على ساحل البحر الأسود. فبادر كاسيانوس إلى تسليم جميع القلاع التي كانت تحت سيطرته للأمير غازي، ودخل في خدمته بعد أن تمرد على الإمبراطور البيزنطي حنا كومنين، فكافأه الأمير الدانشمندي بمنحه وظيفة لديه^(١).

وفي سنة ٥٥٣هـ / ١١٥٨م جرى اتصال (دبلوماسية) مماثل بين القائد البيزنطي الكسيوس جيفاردوس والأمير الدانشمندي ياغي بسان بن غازي، حيث تمكن القائد البيزنطي من استمالة الأمير ياغي بسان، وأصبح هذا حليفاً قوياً للإمبراطورية البيزنطية^(٢).

إن قبول الأمير ياغي بسان بالتحالف مع البيزنطيين في هذا الوقت بالذات راجع لعدم رضاه عن السياسة التي كان السلطان السلجوقي قليج ارسلان الثاني قد انتهجها ضد الإمارة الدانشمندية منذ استلامه مقاليد السلطة في قونية حيث إنه لم يكف عن التدخل المستمر في شئون الدانشمنديين، وارتبط في أحلاف مع بعض أفراد هذه الأسرة، ومنهم أمير قيصرية ذي النون بن محمد وأمير ملطية ذي القرنين بن عين الدولة، وذلك ضد عمهما أمير سيواس ياغي بسان^(٣). وقد ظل هذا التقارب بين الأمير ياغي بسان وبين البيزنطيين قائماً بعد ذلك بدليل أن الأمير الدانشمندي أرسل في نفس العام ٥٥٣هـ / ١١٥٨م مبعوثاً للترحيب بالإمبراطور مانويل كومنين عند قدومه إلى الشام، شأنه في ذلك شأن عدد من

1) Michel le Syrien: Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. V.3. P.227

□ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤٣.

2) Cinnamus: Epitome Historiarum. P.135.

3) Chalandon: Les Comnène II. P.493; Mokrimin H: Danismendliler. in: Islam Ensiklopedisi. Cilt.3. P.472; Abdulhaluk Gay: Anadolunun Turklesmesinde. Donum. Noktasi. P.53.

□ تلمارا تالبوت رايس: السلاجقة، ص ٦٩.

حكام المسلمين المجاورين الذين أوفدوا مبعوثين من جانبهم لمقابلة الإمبراطور^(١).

وفي أواخر فترة الحكم الدانشمندي شهدت العلاقات الدانشمندية البيزنطية نشاطاً (دبلوماسياً) مكثفاً فقد انتهز أمير سيواس ياغي يسان تحسين العلاقات بين السلاجقة والبيزنطيين على أثر توقيع معاهدة الصلح بينهما سنة ٥٥٧هـ / ١١٦١م^(٢) فأرسل الأمير الدانشمندي وحليفة السلجوقي شاهنشاه شقيق السلطان قليج أرسلان الثاني سفارة إلى الإمبراطور مانويل تطلب منه التوسط لدى السلطان في عقد الصلح بينه وبينهما. ولكن الإمبراطور مانويل لم يستجب لمطلب السفارة، وأشار على أعضائها الاتصال مباشرة بالسلطان قليج أرسلان نفسه لبحث هذا الأمر^(٣).

وقد فعل الإمبراطور ذلك لأنه ليس من مصلحته أن يتم الوفاق بين القوى التركية الإسلامية في الأناضول، لأن في تضامنها وتظافرها خطراً على دولته. ولما فقد الدانشمنديون حليفهم القوي نورالدين محمود سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م، واستولى السلطان السلجوقي قليج أرسلان على سيواس^(٤)، قام الأمير الدانشمندي ذوالنون بن محمد بزيارة إلى القسطنطينية، وطلب المساعدة من الإمبراطور مانويل لطرد السلاجقة من سيواس. فوافق الإمبراطور على نجدة ذي النون، وأمدّه بجيش قوامه ثلاثين ألف مقاتل يقوده فاتاتريس ابن اخت الإمبراطور^(٥).

وفيما عدا زيارة الأمير ذي النون فلننا لم نقف في المصادر التي تحت إيدينا على زيارات آخر قام بها الأمراء الدانشمنديون إلى العاصمة البيزنطية. كذلك لم تبين هذه المصادر مراسم الاستقبال التي أجريت للأمير ذي النون عند وصوله إلى القسطنطينية، ولم تحدد مدة إقامته هناك.



1) cinnamus: Epitome Historiarum. P.139.

٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٧٥.

٣) محمود عمران: السيلسة الشرقية، ص ٢٧٦.

٤) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣٩٢.

٥) الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ص ١١٧.

ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٩٠.

الخاتمة

- توصلت من خلال دراستي عن الدانشمنديين وجهادهم في بلاد الأناضول إلى عدة نتائج أوجزها في النقاط التالية:
- (١) أدى تدهور الأوضاع السياسية والعسكرية داخل الإمبراطورية البيزنطية، وماتعرضت له من هزيمة ساحقة في معركة منازجرد سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م، ونشوب الثورات الداخلية في بعض الأقاليم البيزنطية إلى تمكين كمشتكين الدانشمند وغيره من أمراء الأتراك المسلمين من إقامة إمارات مستقلة لهم داخل الأناضول.
 - (٢) أحسن الدانشمند في اختيار مدينة سيواس لتكون حاضرة لإمارته، فالمدينة كانت تتمتع بموقع استراتيجي مهم، وكانت بعيدة عن مراكز القوى السياسية داخل الأناضول كالإمبراطورية البيزنطية التي كانت تشكل خطراً كبيراً على الدانشمنديين.
 - (٣) حرص الدانشمند على إقامة العدل والمساواة بين رعاياه المسلمين منهم والنصارى مما أكسبه محبتهم وميلهم الشديد إليه، وذلك سعيًا منهم للتخلص من عمليات الاضطهاد الديني المستمر التي كان البيزنطيون يمارسونها ضدهم.
 - (٤) حظي الأمير كمشتكين أحمد باللقب الفارسي «دانشمند» من جراء مهنته فقد كان رجلاً ذا علم غزير، وكان في بداية حياته معلماً للصبيان، ولقب دانشمند بالفارسية يعني «المعلم». وظل الأمير كمشتكين يحمل لقب أبيه دانشمند البخاري أحد علماء مدينة بخارى حيث كان يقال له أحياناً كمشتكين بن الدانشمند.
 - (٥) ينحدر الدانشمنديون من أصل تركي، وتربط بينهم وبين السلاجقة بعض صلات القربى، ونستبعد أن يكون الدانشمنديون من الفرس أو الأرمن كما ذهب إلى ذلك بعض الآراء التاريخية.
 - (٦) أقام الدانشمنديون إمارتهم المستقلة في سيواس سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م وليس من الممكن القول بأن قيام هذه الإمارة كان قبل ذلك التاريخ لأن الظروف

السياسية السائدة في سيواس والمناطق المحيطة بها لم تكن نسمح إطلاقاً بحدوث ذلك.

(٧) يعد ثاني أمراء الدانشمنديين في سيواس ملك غازي بن دانشمند من أقوى أفراد أسرته حيث تبوأ إمارة سيواس في عهده مقام الصدارة في الأناضول، ولهذا فقد بادرت الخلافة العباسية قبل وفاة ملك غازي بقليل إلى منحه لقب ملك فصار لقباً رسمياً من بعده لخلفائه أمراء الدانشمنديين في سيواس.

(٨) وصلت سيادة الدانشمنديين داخل الأناضول في عهد ياغي بسان بن ملك غازي إلى ذروتها. كما أصبح أمراء الدانشمنديين منذ وفاة هذا الأمير سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م يحكمون حكماً اسمياً تحت إمرة سلاطين سلاجقة الأناضول.

(٩) قامت الإمارة الدانشمندية في سيواس إبان عهود إمرائها الأربعة الأوائل^(١) بدور رئيس في توطيد الأتراك المسلمين النازحين إلى هذه المنطقة بعد افتتاحها، وأسهموا كذلك في نشر الإسلام بين النصاري المستوطنين هناك. كما فتح من أتى بعدهم من الأمراء الطريق أمام تفتيت وحدة الأناضول من أجل إرضاء رغباتهم الشخصية الأمر الذي أدى إلى تقويض أركان إمارتهم.

(١٠) عمل كل من الدانشمنديين والسلاجقة منذ وقت مبكر جداً على السيطرة على مدينة ملطية ذات الموقع الحيوي المهم والتي تسيطر على تقاطع مجموعة من الأنهر والطرق الرئيسية، كما أنها تقع في ملتقى حدود عدد من القوى السياسية كالإمارة الدانشمندية في سيواس، والدولة السلجوقية في قونية، وإمارتي الرها وأنطاكية الصليبيتين، والإمارات الأرمنية في بلاد الجزيرة الفراتية، والحكومات الأرمنية في منطقة أرمينية الصغرى. ولهذا بدأ الصراع بين السلاجقة والدانشمنديين في ملطية وانتهى كذلك في ملطية بتغلب السلاجقة وسقوط الحكم الدانشمندي.

(١١) اشتبكت القوات التركية الإسلامية في الأناضول تتقدمها القوات

(١) هم: كمشتكين أحمد الدانشمند وابنه ملك غازي ثم محمد بن ملك غازي وأخوه ياغي بسان بن ملك غازي.

الدانشمندية والسلجوقية في معارك ضارية مع الجيوش الصليبية اثناء تغلقها في وسط الاناضول، وكان اشدها معركتي دوريليوم وهرقله، وقد حقق الصليبيون النصر على الأتراك المسلمين في كلتا المعركتين. ولم ينس المسلمون عموماً والأتراك المسلمون بصفة خاصة الآثار الناجمة عن هذه الهزائم.

(١٢) كان لوقوع امير انطاكية الصليبي بوهمند في أسر الدانشمند صدًى واسع النطاق في البلاد الإسلامية والغرب الأوربي الذي سارع إلى تجهيز فرق صليبية متعددة سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م للزحف إلى الاناضول بغية تخليص الأمير بوهمند من الأسر، والانتقام من أسريه، ولكن هذه الحملة باءت بالفشل، ولقي أكثر قادتها وأفرادها مصيراً مروعاً.

(١٣) أدت وفاة كل من أمير سيواس محمد بن غازي سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م، والإمبراطور البيزنطي حنا كومنين سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٣م إلى قلب موازين القوة في الاناضول لصالح سلاجقة قونية حيث أصبحت السيطرة منذ ذلك التاريخ في يد السلطان السلجوقي مسعود بن قليج أرسلان الذي سعى إلى توطيد سيطرته على كافة القوى التركية الإسلامية داخل الاناضول. وقد نتج عن ذلك قيام أقوى تحالف سياسي بين الدانشمنديين والبيزنطيين في تاريخ هاتين الحكومتين. وقد جرى ذلك بين أمير سيواس ياغي بسان بن غازي وبين الإمبراطور مانويل حنا كومنين.

(١٤) حافظ أمراء الدانشمنديين في كل من سيواس وملطية طيلة فترة حكمهم على استمرار علاقاتهم الحسنة مع كل من الخلافة العباسية في بغداد والدولة الزنكية في عهد الأتابك نورالدين محمود الذي كان يعتبر نفسه حامياً للأسرة الدانشمندية، وكان بلاطه ملجأ لعدد من أفراد هذه الأسرة.

(١٥) لم تكن علاقات الدانشمنديين مع بقية القوى الإسلامية كالسلاجقة والاراتقة وبني منكوجك وبني سلق تسير على وتيرة واحدة إذ كانت متقلبة بين السلم تارة والحرب تارة أخرى. ولم تفلح المصاهرات المتعددة التي تمت بين بعض أمراء الدانشمنديين وبعض حكام هذه القوى الإسلامية في إذابة الخلافات التي كانت غالباً ماتنشأ بينهم.

(١٦) تكالبت على الدانشمنديين ظروف داخلية وأخرى خارجية عجلت باضمحلال وانهيار سلطتهم في سيواس وملطية، فقد أدى تنافس أمراء هذه الأسرة على السلطة إلى قيام الفرع الدانشمندي في ملطية، ووصول صغار السن من أفراد البيت الدانشمندي إلى سدة الحكم، مما أتاح الفرصة لبعض الأميرات الدانشمديات للتدخل في شئون الحكم. الأمر الذي أدى إلى أن فقد أتباع الدانشمنديين الثقة بحكامهم.

* * *

ملحق البحث

قائمة بأسماء الحكام المعاصرين لفترة البحث

* أمراء الدانشمندیين في بنبواس^(١):

- (١) أحمد دانشمند غازي ٤٧٧هـ / (٤٦٤هـ) / ١٠٨٤م (١٠٧١م).
- (٢) ملك غازي بن دانشمند ٤٩٩هـ / (١٠٤) / ١١٠٥م.
- (٣) ملك محمد بن غازي ٥٢٩هـ / ١١٣٥م.
- (٤) ملك ياغي بسان بن غازي ٥٣٧هـ / ١١٤٢م.
- (٥) جمال الدين إسماعيل بن ياغي بسان ٥٦٠هـ / ١١٦٤م.
- (٦) إبراهيم بن محمد بن غازي ٥٦٠هـ / ١١٦٤م.
- (٧) إسماعيل بن إبراهيم بن محمد ٥٦٠هـ / ١١٦٤م.
- (٨) ذوالنون بن محمد بن غازي ٥٦٨هـ / ٥٧٠هـ / ١١٧٢م - ١١٧٤م.

* أمراء الدانشمندیين في ملطية^(٢):

- (١) عين الدولة بن ملك غازي ٥٣٧هـ / ١١٤٢م.
- (٢) ذوالقرنين بن عين الدولة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م.
- (٣) محمد بن ذي القرنين (المرّة الأولى) ٥٥٦هـ / ١١٦١م.
- (٤) أبو القاسم بن ذي القرنين ٥٦٥هـ / ١١٦٩م.
- (٥) أفريدون بن ذي القرنين ٥٦٧هـ / ١١٧١م.
- (٦) ناصر الدين محمد بن ذي القرنين (المرّة الثانية) ٥٧١هـ / ٥٧٣هـ / ١١٧٥م - ١١٧٧م.

1) Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P.15; Laurent: Sur les Emirs Danichmendites Jusquem 1104. PP.168-173.

□ أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ٨٢.

2) Casanova: La Numismatique des Danichmendites. P.53; Schlumberger: Une Nouvelle mannaie a Legende Grecque Emirs Danischmendides de Cappadoce. PP.7-8

* الحلفاء العباسيون^(١)

- (١) المقتدي بأمر الله ٤٦٧-٤٨٧ هـ / ١٠٧٥-١٠٩٤ م.
- (٢) المستظهر بالله ٤٨٧-٥١٢ هـ / ١٠٩٤-١١١٨ م.
- (٣) المسترشد بالله ٥١٢-٥٢٩ هـ / ١١١٨-١١٣٥ م.
- (٤) الراشد بالله ٥٢٩-٥٣٠ هـ / ١١٣٥-١١٣٦ م.
- (٥) المقتفي لأمر الله ٥٣٠-٥٥٥ هـ / ١١٣٦-١١٦٠ م.
- (٦) المستنجد بالله ٥٥٥-٥٦٦ هـ / ١١٦٠-١١٧٠ م.
- (٧) المستضي بأمر الله ٥٦٦-٥٧٥ هـ / ١١٧٠-١١٨٠ م.

* سلاطين سلاجقة الروم^(٢)

- (١) سليمان بن قتلмыш ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م.
- (٢) داود بن سليمان ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م.
- (٣) قليج أرسلان بن سليمان ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م.
- (٤) ملكشاه بن قليج أرسلان ٥٠٠ هـ / ١١٠٧ م.
- (٥) مسعود الأول بن قليج أرسلان ٥١٠ هـ / ١١١٦ م.
- (٦) قليج أرسلان الثاني بن مسعود ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م.

* أمراء بني منكوجك في أرزنجان وديوريك^(٣)

- (١) منكوجك ٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م.
- (٢) اسحاق بن منكوجك (كان في الحكم سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م).
- (٣) داود الأول بن إسحاق ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م تقريباً.
- (٤) فخر الدين بهرام شاه بن داود (٥٥٨) ٥٦٣-٦٢٢ هـ / (١١٦٢) ١١٦٨-١٢٢٥ م.

(١) ستانلي لين بول: الدول الإسلامية، القسم الأول، ص ٣٦.

(٢) ستانلي لين بول: نفسه، ص ٣٢٣، ٣٣٥، ٣٣٧.

✽ أمراء بني سلدق في أرصروم^(١)

- (١) أبو القاسم ٤٦٤هـ / ١٠٧١م.
- (٢) علي بن أبي القاسم (كان في الحكم سنة ٤٩٦هـ / ١١٠٢م تقريباً).
- (٣) عز الدين سلدق بن علي (٥٢٦هـ - ٥٤٠هـ - ٥٧٠هـ / ١١٣٢م - ١١٤٥ - ١١٧٤م).
- (٤) ناصر الدين محمد بن سلدق ٥٧٠هـ / ١١٧٤م.

✽ بنو أرتق^(٢)

أولاً: الأراتقة في حصن كيفا وآمد:

- (١) معين الدين سقمان بن أرتق ٤٩٥هـ / ١١٠١م.
- (٢) إبراهيم بن سقمان ٤٩٨هـ / ١١٠٤م.
- (٣) ركن الدولة داود بن سقمان ٥٠٢هـ / ١١٠٨م تقريباً.
- (٤) فخر الدين قرا أرسلان بن سقمان ٥٤٣هـ / ١١٤٨م.
- (٥) نور الدين محمد بن قرا أرسلان ٥٧٠هـ - ٥٨١هـ / ١١٧٤ - ١١٨٥م.

ثانياً: الأراتقة في ماردين:

- (١) نجم الدين إيلغازي بن أرتق ٥٠٢هـ / ١١٠٨م.
- (٢) حسام الدين تمر تاش ٥١٦هـ / ١١٢٢م.
- (٣) نجم الدين البي ٥٤٧هـ / ١١٥٢م.
- (٤) قطب الدين إيلغازي الثاني ٥٧٢هـ - ٥٨٠هـ / ١١٧٦ - ١١٨٤م.

✽ بنو زنكي^(٣)

- (١) عماد الدين زنكي بن آق سنقر ٥٢١هـ / ١١٢٧م في الموصل.
- (٢) نور الدين محمود بن زنكي ٥٤١هـ - ٥٦٩هـ / ١١٤٦ - ١١٧٤م في حلب.

(١) أحمد توحيد: مسكوكات قديمة إسلامية، القسم الرابع، ص ٧٠.

□ ستانلي لين بول: الدول الإسلامية، القسم الأول، ص ٣٣٧.

(٢) ستانلي لين بول: نفسه، ص ٣٥٣، ٣٥٥.

(٣) نفسه، ص ٣٤٥، ٣٤٦.

* الباطرة البيرومطيون^(١)

- (١) الكسيوس الأول كومنين ٤٧٤هـ / ١٠٨١م.
- (٢) حنا الثاني بن الكسيوس كومنين ٥١٢هـ / ١١١٨م.
- (٣) مانويل الأول بن حنا كومنين ٥٣٨م - ٥٧٦هـ / ١١٤٣ - ١١٨٠م.

* أمراء أرمينية الصغرى^(٢):

- (١) رومان الأول ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م.
- (٢) قسطنطين الأول ٤٩٤هـ / ١١٠٠م.
- (٣) ثوروس الأول ٤٩٤ - ٥٢٤هـ / ١١٠٠ - ١١٢٩م.
- (٤) ليو الأول ٥٢٤م - ٥٣٦هـ / ١١٢٩ - ١١٣٦م.
- (٥) ثوروس الثاني ٥٣٩م - ٥٦٣هـ / ١١٤٤ - ١١٦٧م.

* الصلبييون في أنطاكية^(٣):

- (١) بوهمند الأول ٤٩٢ - ٤٩٨هـ / ١٠٩٨ - ١١٠٤م.
- (٢) تانكرد ٤٩٨ - ٥٠٦هـ / ١١٠٤ - ١١١٢م.
- (٣) روجر دي سالرنو ٥٠٦م - ٥١٣هـ / ١١١٢ - ١١١٩م.
- (٤) بوهمند الثاني ٥٢٠م - ٥٢٥هـ / ١١٢٦ - ١١٣٠م.
- (٥) ريموند دي بواتييه ٥٣٦م - ٥٤٤هـ / ١١٣٦ - ١١٤٩م.

* الصلبييون في الرها^(٤):

- (١) بلدوين الأول ٤٩٢ - ٤٩٤هـ / ١٠٩٨ - ١١٠٠م.
- (٢) بلدوين الثاني ٤٩٤ - ٥١٢هـ / ١١٠٠ - ١١١٨م.
- (٣) جوسلين الأول ٥١٣م - ٥٣٦هـ / ١١١٩ - ١١٣٦م.
- (٤) جوسلين الثاني ٥٣٦م - ٥٤١هـ / ١١٣٦ - ١١٤٤م.

* * *

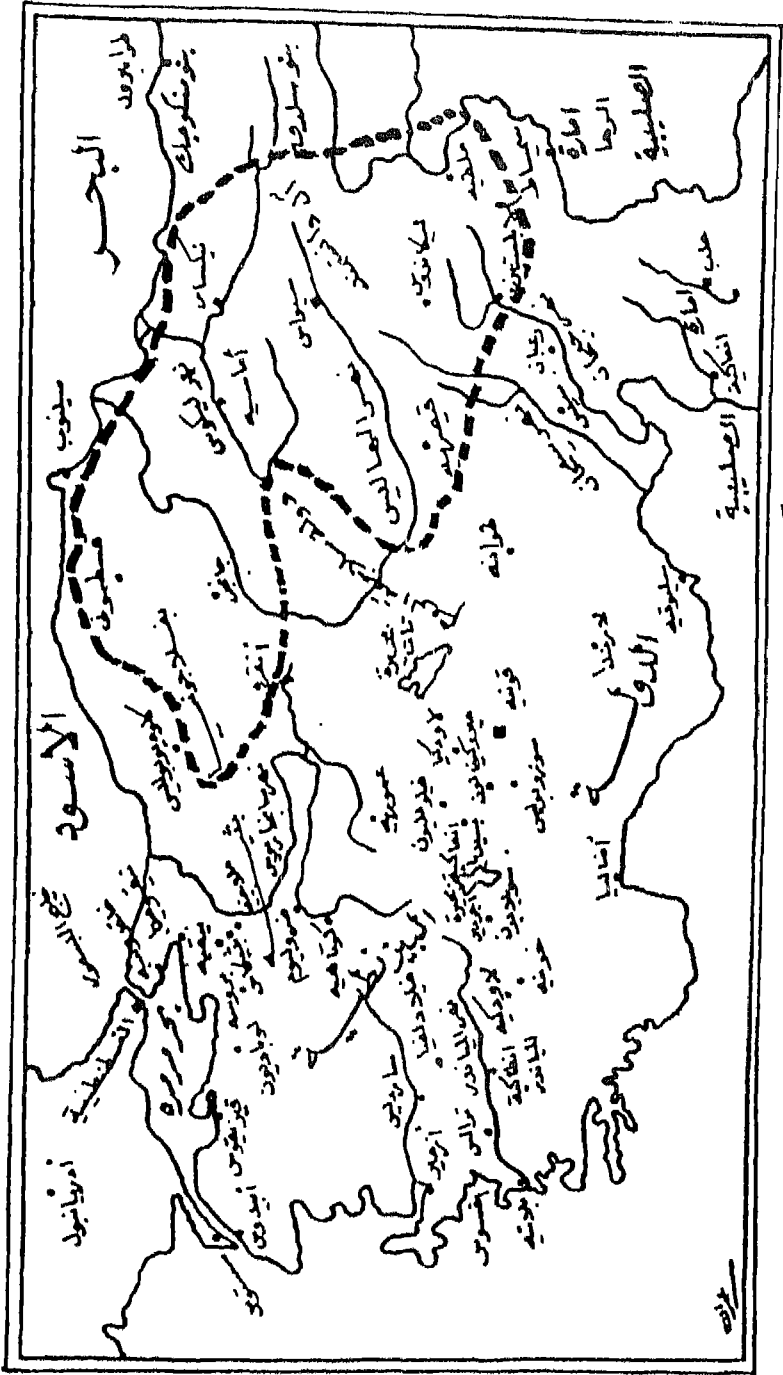
(١) سعيد عاشور: الحركة الملبية، ج ٢، ص ١٢٤ - ١٢٤١.

(٢) نفس المرجع والمفحة.

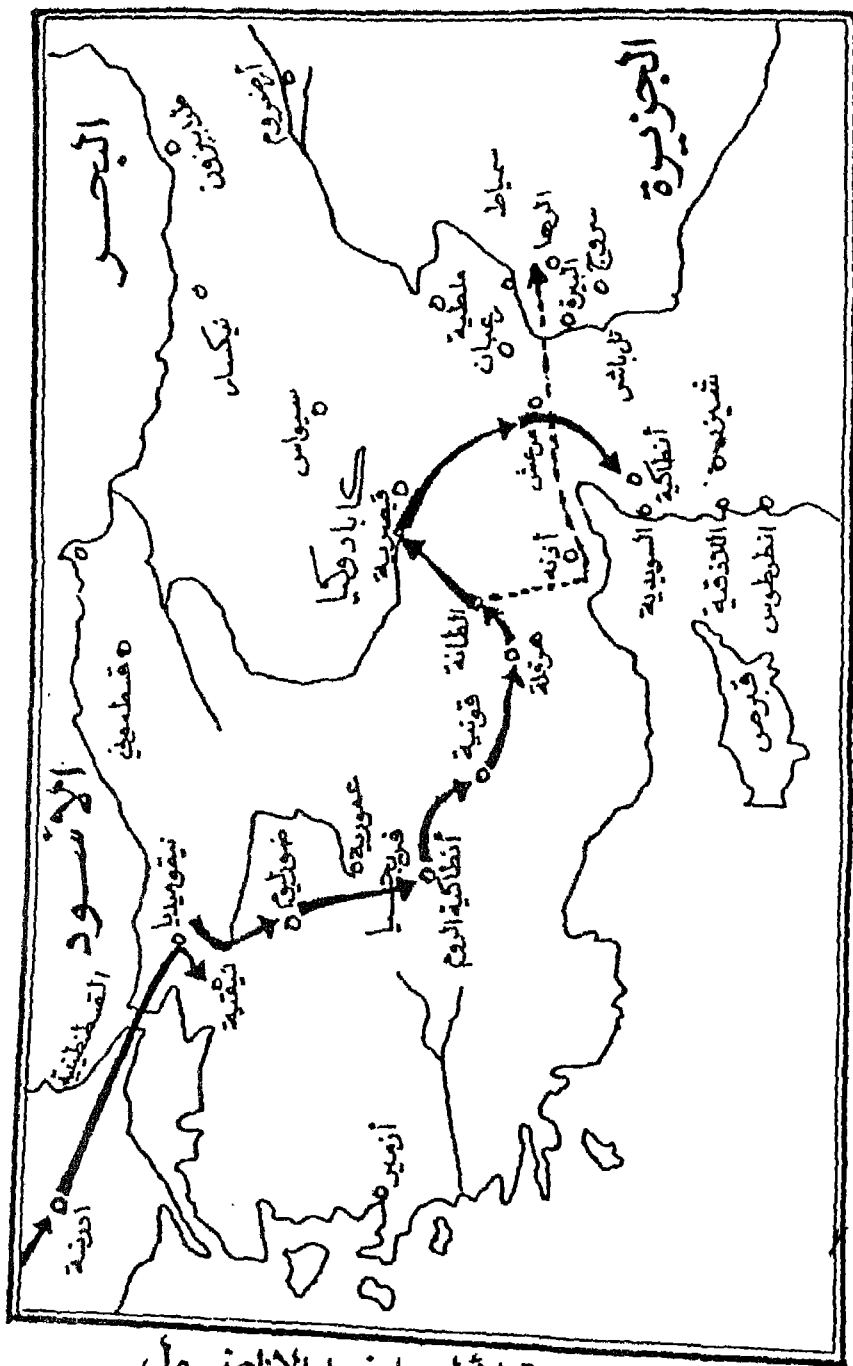
(٣) نفس المرجع والمفحة.

(٤) عليه الجنزوري: إمارة الرها الملبية، ص ١٣٦ - ١٣٦٥.

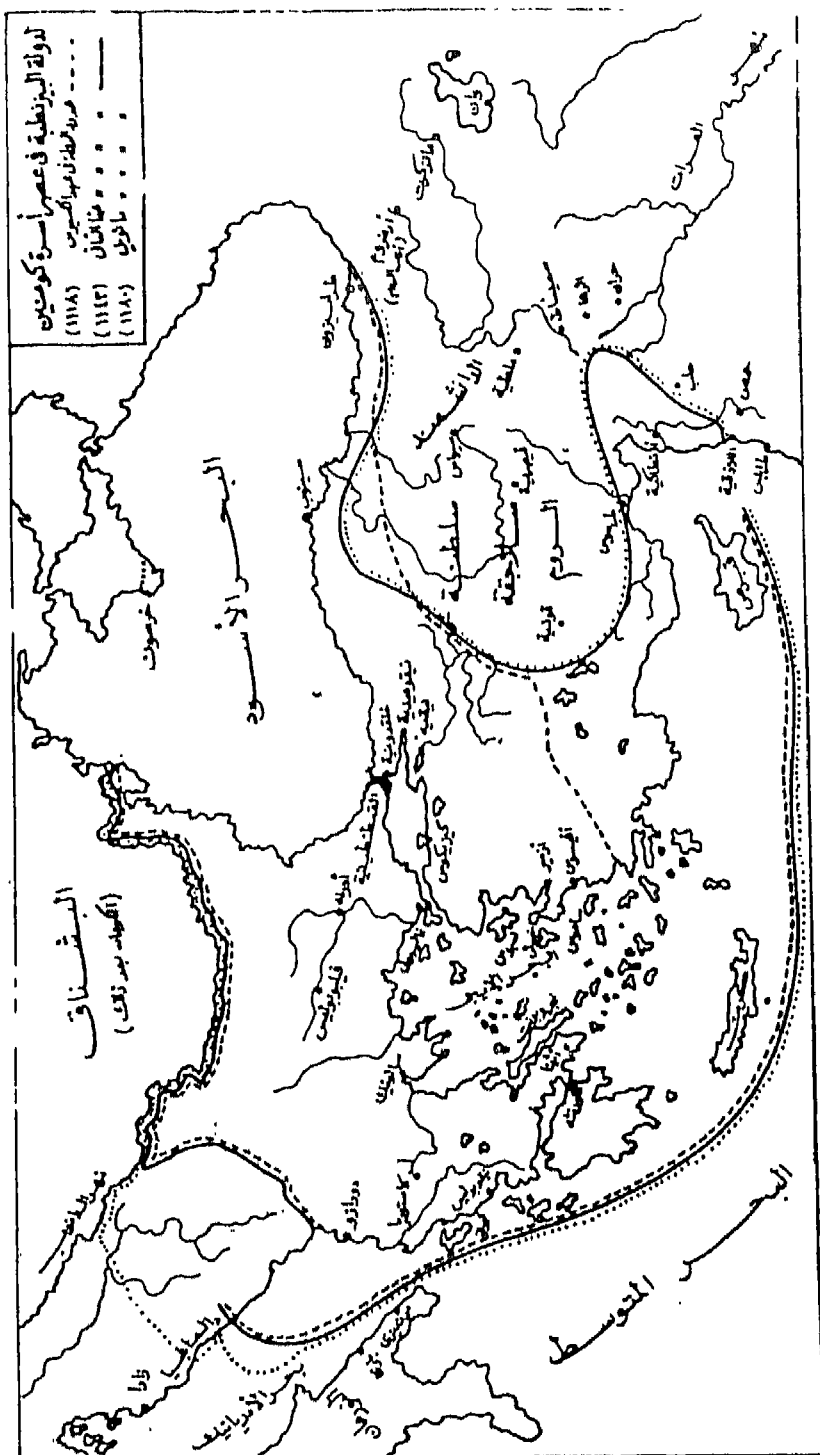
آسيا الصغرى



خارطة تقريبية تبين نفوذ الإمبراطورية البيزنطية في أقصى اتساعها
 • نقله عنه: محمود عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ٢٠٤ (تصحيح)



خط سير الحملة الصليبية الأولى داخل الأناضول
 نقله عن ربيع عاصم، الحركة الصليبية، ص ٢٦٨



عناطة تفرعية بين الحدود الفاصلة بين السلطنة السلجوقية والأناضول والدولة البيزنطية خلال فترة الحكم السلجوقي

فقدت عن: عشرين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية من (٩١٦ - ٩١٧)

قائمة المصادر والمراجع

- ١ - المخطوطات العربية.
- ٢ - المصادر العربية والمعرّبة.
- ٣ - المراجع العربية والمعرّبة.
- ٤ - الأبحاث والدراسات العربية.
- ٥ - المصادر التركية والفارسية.
- ٦ - المراجع التركية والفارسية.
- ٧ - المصادر الأوربية.
- ٨ - المراجع الأجنبية.
- ٩ - الأبحاث والدراسات الأجنبية.

* * *

أولاً: المخطوطات العربية

- ابن أبي الدم الحموي: (شهاب الدين إبراهيم بن عبدالله. ت ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م).
١- التاريخ المظفري، مخطوط المكتبة البلدية بالأسكندرية تحت رقم ١٢٩٢ ب.
- ابن أبي الهيجاء: (عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي).
٢- الأول في تاريخ ابن أبي الهيجاء، مخطوط معهد إحياء المخطوطات العربية، المكتبة الأحمدية بتونس، تحت رقم ٤٩١٥.
- ابن حمدون (من علماء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)
٣- حوادث السنين، مخطوط مكتبة روان كوشكي، طوب قابي سراي، جامع السلطان أحمد الثالث، استانبول، تحت رقم ٢٩٨١.
- ابن شداد: (عزالدين محمد بن علي بن إبراهيم. ت سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م)
٤- الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ميكروفيلم بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض رقم ٤٦٠ ف.
- ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم بن علي بن محمد. ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م)
٥- تاريخ الدول والملوك (المجلدان الثاني والثالث) ميكروفيلم مكتبة جامعة الملك سعود، الرياض تحت رقم (٢٣٥) و (٢٣٦) ف.
- الحمزي (عماد الدين إدريس بن علي. ت بعد عام ٧١٤هـ / ١٣١٤م).
٦- كنز الأختار في معرفة السير والأخبار، مخطوط مكتبة المتحف البريطاني، تحت رقم ٤٥٨١.
- العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله. ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م).
٧- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (الجزء السابع والعشرين - القسم الأول)، مخطوط دار الكتب المصرية تحت رقم ٥٦٠ معارف عامة.

□ العيسى (بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى ت ١٨٥٥هـ / ١٤٥١م).
٨- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (الجزء الثاني عشر)، ميكروفيلم مكتبة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض تحت رقم (٨٣٩) ف.

* * *

ثانياً: المصادر العربية والمعربة

- ابن الأثير: (عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).
- ٩ - التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل. تحقيق عبدالقادر طليمات، بغداد ١٩٦٣م.
- ١٠ - الكامل في التاريخ (١٣ جزءاً) الأجزاء الخامسة والثامنة والعاشر والحادي عشر والثاني عشر، دار صادر بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ابن بطوطة (أبو عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م).
- ١١ - رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) الطبعة الأولى، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م).
- ١٢ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١٦ جزءاً) طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب. الجزء الخامس، تحقيق محمد شلتوت، القاهرة.
- ابن الجوزي (أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م).
- ١٣ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٠ أجزاء) الأجزاء الثامن والتاسع والعاشر، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند - سنة ١٣٥٩هـ.
- ابن حوقل (أبو القاسم محمد البغدادي ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م).
- ١٤ - صورة الأرض، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٦٣م.
- ابن خرداذبه (أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م).
- ١٥ - المسالك والممالك، تحقيق محمد مخزوم، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٨م.
- ابن خلدون (عبدالرحمن بن خلدون ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م).
- ١٦ - العبر وديوان المبتدأ والخبر (٨ أجزاء) الجزء الرابع والخامس، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

□ ابن حلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).
١٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٨ أجزاء) تحقيق د. احسان عباس. دار
صادر، بيروت.

□ ابن الشحنة (أبو الفضل محمد الشحنة ت ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م).
١٨. الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، عني بنشره وليد ناصيف، دار الكتاب
العربي سورية، وعالم التراث دمشق ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

□ ابن شداد (عزالدين محمد بن علي بن إبراهيم ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م).
١٩. الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (الجزء الأول - قسمان)
تحقيق يحيى زكريا، عبارة منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩١م.

□ ابن العبري (أبو الفرج غريغوريوس جمال الدين بن الشمس تاج الدين
هارون الملقب ت ٦٨٣هـ / ١٢٨٦م).
٢٠. تاريخ الزمان، ترجمة الأب إسحاق أرملة، بيروت ١٩٨٦م.
٢١. تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٨م.

□ ابن العمراني: (محمد بن علي بن محمد ت حوالي سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٥م).
٢٢. الإنباء في تاريخ الخلفاء: تحقيق وتقديم الدكتور قاسم السامرائي، الطبعة
الثانية، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

□ ابن العديم (كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ت ٦٦٠هـ /
١٢٦٢م).
٢٣. زبدة الحلب من تاريخ حلب (٣ أجزاء) الجزء الثاني، تحقيق سامي الدهان،
طبعة المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٥٤م.

□ ابن قاضي شهبة (بدر الدين محمد بن أبي بكر. ت ٨٧٤هـ / ١٢٧٥م).
٢٤. الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق محمود زايد، بيروت (بدون
تاريخ).

□ ابن القلانسي (أبو علي حمزة ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م).
٢٥. ديل تاريخ دمشق: مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م.

□ ابن كثير (أبوالفداء الحافظ إسماعيل بن عمر الدمشقي ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م).

٢٦- البداية والنهاية (١٤ جزءاً) الجزء الثاني عشر، الطبعة السادسة، مكتبة المعارف، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

□ ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م).
٢٧- مفرج الكروب في اخبار بني أيوب (٤ أجزاء) الجزء الأول، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٣م.

□ ابن الوردي (زين الدين أبوحفص بن عمر بن المظفر ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م).
٢٨- تنمة المختصر في اخبار البشر (جزءان) الجزء الثاني تحقيق أحمد رفعت، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٠م.

□ أبوشامة (شهاب الدين أبومحمد عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م).
٢٩- كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية (جزءان في مجلد واحد)، الجزء الأول، تحقيق محمد حلمي، القاهرة ١٩٦٢م.

□ أبوالفداء (الملك المؤيد عمادالدين إسماعيل بن علي ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م).
٣٠- المختصر في اخبار البشر (٤ أجزاء)، الجزءان الثاني والثالث، الطبعة الأولى، مصر.
٣١- تقويم البلدان، باريس ١٨٤٠م.

□ أسامة بن منقذ (مؤيد الدولة أبوالمظفر أسامة بن رشد الكنانى الشيزري ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م).
٣٢- كتاب الاعتبار، تحقيق قاسم السامرائي، الطبعة الأولى، الرياض ١٤٠٧هـ.

□ الأديسي (أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس ت ٥٦٠هـ / ١١٦٥م).
٣٣- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (مجلدان) الأول والثاني، الطبعة الأولى، دار عالم الكتب، بيروت ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

□ البنداري (قوام الدين الفتح بن علي بن محمد ت ١٦٤٣هـ / ١٧٤٥م).
٣٤. تاريخ دولة آل سلجوق، الطبعة الثالثة، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م. وهو مختصر لكتاب نصرة الفترة وعصرة الفطرة في اختيار الوزراء السلجوقية لعماد الدين الأصفهاني.

٣٥. سنا البرق الشامي، وهو اختصار لكتاب البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني، تحقيق فتحية النبراوي، الطبعة الثانية، الرياض ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

□ الحسيني (صدر الدين بن علي ت ١٢٢٢هـ / ١٢٢٤م).
٣٦. أخبار الدولة السلجوقية، اعتنى بتصحيحه محمد إقبال، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
٣٧. الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية من مخطوطة ميخائيل السرياني، ترجمة وتعليق د. زكية رشدي، ترجمة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٧٢م.

□ سبط بن الجوزي (أبوالمظفر يوسف بن قزاوغلي التركي ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م).
٣٨. «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان»
□ القسم الأول من الجزء الثامن وقائع سنة (٤٩٥- ٥٨٩هـ) الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن - الهند سنة ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م.
□ الحوادث الخاصة بتاريخ السلاجقة (١٠٥٦- ١٠٨٦م)، عني ينشره علي سويم، أنقرة ١٩٦٨م.

□ الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م).
٣٩. تاريخ الأمم والملوك (٦ مجلدات) المجلد الرابع، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

□ العظيمي (محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن نزار التتوخي الحلبي ت ٥٥٨هـ / ١١٦٣م).
٤٠. تاريخ العظيمي، نشر القسم الأخير منه كلود كاهن في:

□ Journal Asiatique Tome CCXXX Septembre 1938. PP 353-448

- الفارقي (أحمد بن يوسف بن علي بن الأرق ت ٥٩٠هـ / ١١٩٣م).
٤١- تاريخ الفارقي (الدولة المروانية)، حققه وقدم له بدوي عبداللطيف عوض.
دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٤م.
- القرماني (أحمد بن يوسف الدمشقي ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م).
٤٢- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، بيروت (بدون تاريخ).
- القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م).
٤٣- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت (بدون تاريخ).
- محمود مقديش.
٤٤- نزهة الانظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، الطبعة الأولى، المجلد الثاني، بيروت ١٩٨٨م.
- المؤرخ الرهاوي المجهول.
٤٥- الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية، ترجمة سهيل زكار (كتاب الحروب الصليبية)، جزءان، دمشق ١٩٨٤م.
- المؤرخ المجهول.
٤٦- أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس.
□ Gesta Francorum et Aliorum Hierosolymitanorum.
ترجمة حسن حبشي، القاهرة ١٩٥٨م.
- المؤلف المجهول.
٤٧- (فصول من تاريخ الباب وشروان) موجودة في كتاب (جامع الدول) لمنجم باشي نشرها وعلق عليها (و. مينورسكي) لندن (بدون تاريخ).
- نظام الملك (أبو علي حسن بن علي الطوسي ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م).
٤٨- سياست نامه، ترجمة يوسف حسين بكار، الطبعة الثانية، قطر ١٩٨٧م.

□ الهروي (أبو الحسن علي بن أبي بكر ت ٦١١هـ / ١٢١٤م).
٤٩. كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، عُنيّت بنشره وتحقيقه جانين سورديل
- طومين. دمشق ١٩٥٣م.

□ أودو أوف دويل Odo of Deuil (ت بعد سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م).
٥٠. حملة لويس السابع إلى الشرق، ترجمة سهيل زكار، (كتاب الحروب
الصليبية) جزءان، دمشق ١٩٨٤م.

□ ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبد الملك ت ٦٢٦هـ /
١٢٢٨م).
٥١. معجم البلدان (٥ أجزاء) دار صادر، بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

* * *

ثالثاً: المراجع العربية والمعرّبة

- أحمد عطية الله:
١ - القاموس الإسلامي (٥ أجزاء) الجزء الرابع، القاهرة ١٩٧٦م.
- أديب السيد:
٢ - أرمينية في التاريخ العربي، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م.
- إسحاق عبيد: (دكتور).
٣ - روما وبيزنطة، مصر، ١٩٧٠م.
- أسد رستم:
٤ - الروم، (جزءان) الجزء الثاني، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٥٦م.
- أكرم وفؤاد الساطع:
٥ - الدليل الأخضر للسياحة والآثار في سورية، دار الفكر، دمشق ١٩٧٥م.
- أنتوني بردج:
٦ - تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة أحمد غسان ونبيل الجيرودي، دمشق ١٩٨٥م.
- أنتوني ويست:
٧ - الحروب الصليبية، ترجمة شكري محمود نديم، بغداد ١٩٦٧م.
- بارتولد:
٨ - تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان، الطبعة الأولى، الكويت ١٩٨١م.
- باركر أرنست:
٩ - الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت.
- البستاني (بطرس):
١٠ - دائرة المعارف (١١ جزءاً) الجزء الرابع، بيروت ١٨٨٠م.

□ تامارا تالبوت رايس:

١١- السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ترجمة لطفي الخوري وإبراهيم الداوقني، بغداد ١٩٦٨م.

□ جوزيف نسيم يوسف: (دكتور).

١٢- تاريخ الدولة البيزنطية، الاسكندرية ١٩٨٤م.

١٣- العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الاولى، بيروت ١٩٨١م.

□ حسن الباشا: (دكتور).

١٤- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مصر ١٩٧٨م.

□ حسن حبشي: (دكتور).

١٥- الحرب الصليبية الاولى، القاهرة ١٩٥٨م.

□ حسن محمود: (دكتور)، أحمد الشريف: (دكتور).

١٦- العالم الإسلامي في العصر العباسي، الطبعة الرابعة، الكويت ١٩٨٠م.

□ حسنين ربيع: (دكتور).

١٧- دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

□ حسين أمين: (دكتور).

١٨- تاريخ العراق في العصر السلجوقي، بغداد ١٩٦٥م.

١٩- دائرة المعارف الإسلامية (ترجمة أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي وعبد الحميد يونس)، (١٥ جزءاً)، الجزءان الثالث والرابع، بيروت (بدون تاريخ).

□ زامباور:

٢٠- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة محمد حسن وحسن محمود وآخرون، بيروت ١٩٨٠م.

- زبيدة عطا: (دكتورة).
٢١- الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة (بدون تاريخ).
- زكي النقاش: (دكتور).
٢٢- العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية ١٩٥٨م.
- ستانلي لين بول:
٢٣- الدول الإسلامية، (جزءان)، ترجمة محمد صبيحي فرزات، دمشق ١٩٧٣م.
- ستيفن رنسيومان:
٢٤- تاريخ الحروب الصليبية (ثلاثة اجزاء) ترجمة السيد الباز العريني، الجزءان الأول والثاني، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦٨م.
- سعيد الديوه جي: (دكتور).
٢٥- تاريخ الموصل، الجزء الأول، بغداد ١٩٨٢م.
- سعيد عاشور: (دكتور).
٢٦- أوربا العصور الوسطى، الجزء الأول، مصر ١٩٧٨م.
٢٧- الحركة الصليبية (جزءان) الجزء الأول، مصر ١٩٨٢م.
- السيد الباز العريني: (دكتور).
٢٨- الدولة البيزنطية، بيروت ١٩٨٢م.
٢٩- الشرق الأوسط والحروب الصليبية، الجزء الأول، القاهرة ١٩٦٣م.
٣٠- مؤرخو الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٦٢م.
- سهيل زكار: (دكتور).
٣١- الحروب الصليبية، (جزءان)، دمشق ١٩٨٤م.
- عباس العزاوي:
٣٢- التعريف بالمؤرخين، الجزء الأول، بغداد ١٩٥٧م.

□ عبد الحفيظ علي: (دكتور).

٣٣- المسلمون والبيزنطيون، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، القاهرة ١٩٨٢م.

□ عبد الغني محمود عبد العاطي: (دكتور).

٣٤- السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور الكسبيوس كومنين (١٠٨١-١١١٨م)، القاهرة ١٩٨٢م.

□ عفاف سيد صبره: (دكتورة).

٣٥- دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٥٨م.

□ علي محمد الغامدي: (دكتور).

٣٦- المجاهد المسلم كمشتكين بن دانشمند، الطبعة الأولى، مكتبة الصديق، الطائف ١٤١١هـ.

□ عليه الجنزوري: (دكتورة).

٣٧- إمارة الرها الصليبية، القاهرة ١٩٧٥م.

٣٨- الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٧٩م.

□ عماد الدين خليل: (دكتور).

٣٩- الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤٠- عماد الدين زنكي، بيروت ١٩٧١م.

□ فايز نجيب اسكندر: (دكتور).

٤١- أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة في مصنف أريستاكيس اللستيفرتي، الاسكندرية ١٩٨٣م.

٤٢- البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملاذكرد في مصنف نقفور برينيوس قسنطينة ١٩٨٤م.

□ قاسم عيده قاسم: (دكتور).

٤٣- الحروب الصليبية، نصوص ووثائق، القاهرة ١٩٨٥م.

□ لسترنج (كي).

٤٤- بلدان الخلافة الشرقية، تحقيق بشير فرنسيس وكوركيس عواد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

□ محمد فريد:

٤٥- تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

□ محمد فؤاد كوبريلي:

٤٦- قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة ١٩٦٧م.

□ محمد مسفر الزهراني: (دكتور).

٤٧- نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية، الطبعة الاولى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

□ محمود الحريري: (دكتور).

٤٨- اللومبارديون في التاريخ والحضارة (٥٦٨ - ٧٧٤م) الطبعة الاولى، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٦م.

□ محمود سعيد عمران: (دكتور).

٤٩- السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الاول

كومنين (١١٤٣ - ١١٨٠م)، دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٥م.

٥٠- معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١م.

٥١- الموسوعة العربية الميسرة، ط ٢، إشراف محمد شفيق غربال، دار الشعب،

القاهرة ١٩٧٢م.

□ مروان المدور:

٥٢- الأرمن عبر التاريخ، الطبعة الاولى، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٢م.

□ نورمان بينز:

٥٣- الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة حسين مؤنس ومحمود يوسف، القاهرة ١٩٥٠م.

□ هستي ج. م.:

٥٤- العالم البيزنطي، ترجمة وتعليق رافت عبد الحميد، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤م.

□ يسري عبدالرازق الجوهري (دكتور)، ومحمد خميس (دكتور).

٥٥- دراسات في جغرافية العالم الإسلامي، مصر، (بدون تاريخ نشر).

* * *

رابعاً: الأبحاث والدراسات العربية

□ إبراهيم الخضر:

- ١ - العلاقات السياسية الخارجية بين سلاجقة الروم والقوى الإسلامية المجاورة (٤٧٠هـ - ٦٤٤هـ / ١٠٧٧ - ١٢٤٦م)، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية العلوم الاجتماعية بالرياض ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

□ حسين عطية: (دكتور).

- ٢ - إمارة انطاكية الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الاسكندرية عام ١٩٨١م.

□ رافت عبد الحميد: (دكتور).

- ٣ - ميخائيل بسللوس من خلال كتابه التاريخ الزمني، مقال في مجلة كلية الآداب جامعة صنعاء، العدد الثاني، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، صفحات (١٥١ - ٢٢٤).

□ عاطف مرقص بطرس:

- ٤ - الأرمن وعلاقاتهم بالبيزنطيين والإسلاميين، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الآداب بجامعة عين شمس، القاهرة ١٩٨٦م.

□ علي الغامدي: (دكتور)

- ٥ - معركة ميربوكيفالوم ٥٧٢هـ / ١١٧٦م، مقال في مجلة جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السنة الأولى، العدد الأول، عام ١٤٠٩هـ، صفحات (١٢٣ - ١٥٠).

□ عمر كمال توفيق: (دكتور).

- ٦ - المؤرخ وليام الصوري، مقال في مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، العدد الحادي وعشرون، سنة ١٩٦٧م، صفحات (١٨١ - ٢٠٠).

٧] فتحية البراوي. (دكتورة).

٧ حياة الإمبراطور الكسيوس كومينيوس كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي في القرن الثاني عشر الميلادي، مقال في المجلة التاريخية المصرية، المجلد السابع والعشرون، سنة ١٩٨٠م، صفحات (٤٠-٥٣).

□ محمد زكي نجيب:

٨ - علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عصر أسرة كومنين (١٠٨١- ١١٨٥م)، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

* * *

خامساً: المصادر التركية والفارسية

- ابن بيبى (ناصر الدين يحيى بن محمد ت ٦٧٠هـ / ١٢٧٢م).
١ - تواريخ آل سلجوق، أوجنچي جلد، نشره هوتسما ١٩٠٢م.
- أحمد مدحت:
٢ - مفصل قرون جديدة تاريخي، جلد أول، استانبول ١٣٠٣هـ.
- الأدرنوي (أحمد بن محمد).
٣ - نخبة التواريخ والأخبار، استانبول ١٢٧٦هـ.
- حمدالله مستوفي (الخواجة حمدالله أحمد بن تاج الدين بن أبي بكر بن نصر القزويني ت ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م).
٤ - تاريخ كزيده، طهران ١٣٣٩هـ.
- خواندمير (غياث الدين خواندمير بن حميدالدين ميرخواند ت ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م).
٥ - حبيب السير في أخبار أفراد البشر، الطبعة الأولى، جلد دوم، طهران ١٣٣٣هـ.ش.
- عارف علي التوقاتي (عاش في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي).
٦ - دانشمند نامه (تاريخ ملك دانشمند غازي) مخطوط تركي مكتبة ملّت باستانبول تحت رقم (٥٧١) Tarihi.
- عالي:
٧ - فصول حل وعقد أصول خرج ونقد، مخطوط تركي، مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم (٢٥٣٧).
- ٨ - مرقاة الجهاد، مخطوط تركي، مكتبة روان كوشكي، طوب قابي سراي بجامع السلطان أحمد الثالث، استانبول تحت رقم (٣٦٤).

□ كاتب جلبي:
٩ - تقويم التواريخ، استانبول ١١٤٦م.

□ محمود أقسرائي:
١٠ - تاريخ سلاجقة، أو مسامرة الأخبار ومسيرة الأخيار، باهتمام وتصحيح د. عثمان توران، مجموعة تاريخ إيران، انتشارات أساطير.

□ منجم باشي:
١١ - منجم باشي تاريخي، ترجمة سي، جلد ثاني (بدون تاريخ ومكان نشر).

□ ميرخواند (الخوابة حميدالدين محمد بن السيد خوارزمشاه البلخي
ت ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م).
١٢ - روضة الصفا، جلد چهارم، طهران ١٣٣٩هـ - ش.

□ هزارفن:
١٣ - تنقيح تواريخ الملوك، مخطوط تركي، جامعة القاهرة تحت رقم (٢٧٨٥).

* * *

سادساً: المراجع التركية والفارسية

- أحمد توحيد:
١ - مسكوكات قديمة إسلامية قتالوغي، القسم الرابع، قسطنطينية ١٣٢١هـ.
- أحمد حلمي:
٢ - تاريخ عمومي، استانبول ١٢٩٣هـ.
- أحمد رفيق:
٣ - تركيا تاريخي، برنجي جلد، استانبول ١٩٢٣م.
- إسماعيل حقي:
٤ - كتابة لر، استانبول ١٩٢٧م.
- أوليا جلبي:
٥ - سياحت نامه، أيكنجي جلد، أوجنجي جلد، استانبول ١٣١٤هـ.
- حسين حسام الدين:
٦ - تاريخ أماسيا، جزءان (الجزء الثاني، استانبول ١٣٢٩ - ١٣٣٢هـ).
- خليل أدهم:
٧ - دول إسلامية، استانبول ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م.
- رضوان نافذ وإسماعيل حقي:
٨ - سيواس شهري، استانبول ١٩٢٨م.
- شمس الدين سامي:
٩ - قاموس الأعلام، أوجنجي جلد، استانبول ١٣٠٨هـ.
- علي أكبر دهخدا:
١٠ - لغت نامه، طهران ١٣٦١هـ. ش.

□ علي جواد:

۱۱۔ ممالك عثمانية، تاريخ وجغرافيا لغاتي، قسم اول، استانبول ۱۳۱۳ھ۔

□ نجيب عاصم ومحمد عارف:

۱۲۔ عثمانلي تاريخي، برنجي جلد، استانبول ۱۳۳۵ھ۔

* * *

سابعاً: المصادر الأوربية

- ❑ Anna Comnena:
 - 1 - The Alexiad. Trans. by (E.R.A.Sewter Great. New York 1979).
- ❑ Albert of Aix:
 - 2 - Historia Hierosolymitana. in (R.H.C.H. Occ.4. Paris 1879).
- ❑ Bryennios Nicephore:
 - 3 - Les Quatre Livres des Histoires Fren (Trans: Henri Gregoire. dans Beyzantion 1953).
- ❑ Cinnamos John:
 - 4 - Epitome Historiarum (Translated by: Charles M. Brand, New York 1976).
- ❑ Fulcher of Charters:
 - 5 - A History of the Expedition to Jerusalem (1095- 1127), Trans. by: Frances Rita Ryan (Sisters of st. Joseph), Knoxville 1969.
- ❑ Manuel I:
 - 6 - Lettre to the King Henry of England, Cf. Roger of Hovenden, Vol.I, PP.419-423.
- ❑ Matthieu d'edesse:
 - 7 - Chronique Extrait in (R.H.C. Doc Arm.I).
- ❑ Michael Psellus:
 - 8 - The Chronographia of Michael Psellus (Trans. by: E.R.A. Sewter) Under Title Fourteen Byzantine Rulers Penguin Books, 1966.

- ☐ Michel le Syrien:
 - 9 - Extrait de la Chronique de Michel le Syrien (Traduite en Francais Par Chabot, Paris 1905, Vols.4).
- ☐ Nicetas Choniates:
 - 10- Historia, CF.C.S.H.B. Boon 1853.
- ☐ Radulph of Caen:
 - 11- Gesta Tancredi in Expeditione Herosolymitana in (R.H.C.OCC.3, Paris 1866).
- ☐ William of Tyre:
 - 12- A History of Deeds Done Beyond the sea (Translated and Annotated by Emily Atwater Babcock and A.C. Krey, Columbia University Press 1943, Vols.2).
- ☐ Zonaras John:
 - 13- Epitomae Historiarum (B.P.G.P. Migne 1861).

* * *

ثامناً: المراجع الأجنبية

❑ Abdulhaluk Gay:

- 1 - Anadolunun Turklesmesinde Donum Noktasi, Istanbul 1984.

❑ Ali Sevim:

- 2 - Selguklu-Ermeni Iliskileri, Ankara 1983.
3 - Suriye Ve Filistin Selcuklulari Tarihi, Ankara 1983.

❑ August C. Krey:

- 4 - The First Crusade (Gloucester Mass Peter Smith 1958).

❑ Berchem Max Van:

- 5 - Epigraphie des Danishmendides Zeitschrift Fur Assyriologie XXVII, Strasbourg 1912.

❑ Boqse (T.S.R.):

- 6 - Kingdom and Strongholds of the Crusades, London 1971.

❑ Brehier Louis:

- 7 - The Life and Death of Byzantium, Vol.5, Oxford 1977.

❑ Cahen Cloude:

- 8 - La Campagne de Mantzikert, London 1974.
9 - La Syrie du Nord ou Temps des Croisades, Paris 1940.
10- Pre-Ottoman Turkey (Translated From the French by J. Jones- Williams) Sidgwick. Jackson, London.

❑ Casanova (P.):

- 11- La Numismatique des Danichmendites Revue Numismatique 1894- 1896: Tirage a Part Paris 1896.

- ❑ Chalandon Ferdinand:
 - 12- Essai Sur le Regne d'Alexis. I. er Comnene (1081- 1118), Paris 1900.
 - 13- Les Comnene II. Jean II Comnene (1118- 1143) et Manuel I Comnene (1143- 1180) New York.
- ❑ Ernle Bradford:
 - 14- The Sword and the Scimitar- Saga of Crusades. London 1974.
- ❑ Friendiy Alfred:
 - 15- The Dreadful Day (The Battle of Manzikert 1071), London.
- ❑ Glubb Sir.John:
 - 16- The Lost Centuries From the Muslim Empires to The Renaissance Hodder and Stoughton.
- ❑ Grousset Rene:
 - 17- Histoire des Croisades, Vol.I, Paris 1934.
- ❑ James A. Brundage:
 - 18- The Crusades (Milwaukee Wisconsin 1976).
- ❑ Irene Melikoff:
 - 19- La Geste de Melik Danismend Tome I. Paris 1960.
- ❑ Isin Demirkent:
 - 20- Urfa Hacı Kontluğu Tarihi (1098- 1118) Istanbul 1974.
- ❑ Mehmet Fuad Köprülü:
 - 21- Türk Edebiyatı Tarihi Istanbul 1981.

- Mordtmann A.D.:
 - 22- Die Dynastie der Danischmende Dans Zeitschrift der deutschen Morgenlandischen Gesellschaft XXX Leipzig 1876.
- Nihad Sami:
 - 23- Turk Edebiyati Tarihi Cilt.I, Istanbul 1972.
- Oldenbourg Zoe:
 - 24- The Crusades New York 1965.
- Osman Turan:
 - 25- Dogu Anadolu Turk Devletleri Tarihi, Istanbul 1973.
 - 26- Selcuklular Zamaninda Turkiye Tarihi, Istanbul 1984.
 - 27- Turkiye Selcuklulari Hakkinda Resmi Vesikalar Baski 2, Ankara 1988.
- Ostrogorsky George:
 - 28- History of the Byzantine State (New York 1957).
- Ozguc Tahsin Ve Akok Mahmut:
 - 29- Melik Gazi Turbesi Ve Kalesi Belleten XVIII, Ankara 1954.
- Rasonyi Laszio:
 - 30- Tarihth Turklur Ankara 1971. PP.(130-135).
- Robert Lee Wolff:
 - 31- The Later Crusades (Press- Philadelphia), Volume II.
- Sallet Alfred Van:
 - 32- Munzen und Medaillen (Berlin 1898).

- ❑ Schlumberger G.:
 - 33- Une Nouvelle Monnaie a Legende Grecque des Emirs Danischmendides de Cappadoce (Monnaie de Cuivre Bilingue de D'Soul-Karnein Emir de Melitene Vers le Milieu du XII's.), Reu Num 1887.

- ❑ Setton Kenneth:
 - 34- A History of the Crusades, Vols 3. Philadeiphia 1969.

- ❑ Stevenson:
 - 35- The Crusaders in the East, Beirut 1968.

- ❑ Sukru Akkaya:
 - 36- Kitab-i Melik Danismend Gazi- Danismend Name Ankara Universitesi Tarih- Cogratya Fakultesi Dergisi VIII, Ankara 1950.

- ❑ Sydney Fisher:
 - 37- The Middle East, A History. London 1959.

- ❑ Umit Hassan;
 - Halil Berktay;
 - Ayla Odekan:
 - 38- Turkiye Tarihi I Osmanli Devletine Kadar Turkler. Yayin Yonetmeni Sina Aksin.

- ❑ Van Hammer:
 - 39- Osmanli Devleti Tarihi, Istanbul 1983.

- ❑ Vasiliev A.A.:
 - 40- History of the Byzantine Empire, Vols 2. Madison 1964.

☐ Vryonis Speros:

41- The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor 1971.

☐ Wittek Poul:

42- The Rise of the Ottoman Empire, London 1938.

※ ※ ※

تاسعاً: الأبحاث والدراسات الأجنبية

1 - Buyuk Ensyclopaedia. Cilt 1. Istanbul 1980. (PP.523-524).

2 - Cambridge Medieval History. Vol IV. London 1979. (PP.738- 752).

□ Franz Tinnefeid:

3 - Die Stadt. Melitene in Hifer Spateren Byzantinischen. Epoche (434- 1101) in: Actes du XIV Congres International des Etudes Byzantines. Bucarest 1971.

4 - Islam Ansiklopedisi (Mengucukler) Cilt 7. Istanbul 1972. (PP.713- 718).

□ Laurent Joseph:

5 - Sur les Emirs Danichmendites Jusguen 1104 in Etudes. D'histoire Armenienne Louvain 1971 (PP.167- 173).

□ Mokrimin H. Yinang:

6 - (Danismendliler) in: Islam Encyklopedia. Cilt 3. Istanbul 1977 (PP.468- 479).

7 - The New Ensyclopeadia Britannica. Vol VII. London 1974 (PP.150, 372).

8 - Turk Ensiklopedisi. Cilt XII. Ankara 1964 (PP.273- 277).

9 - Turk Ve Islam Ansiklopedisi Cilt I. Istanbul (PP.378-379)



10- Turkiye Karayollari Haritasi, Road Map of Turkey.
General Organization Of the Alexandria Library (GOTL)
Bibliotheca Alexandrina

□ Zeki Oral:

11- Malatya Kitabeleri Ve Tarihi in (III Turk Tarih Kongresi Ankara, 15-20 November 1943) Turk Tarih Korumu Yoyinlarindan IX, Serl- No.3, Ankara 1948 (PP.434- 438).

* * *

فهرس المحتويات

الموضوع	وع	الصفحة
□ المقدمة		(١ - ٤)
□ عرض ودراسة لأهم مصادر البحث		(٥ - ١٥)
(الفصل الأول)		
□ قيام الإمارة الدانشمندية		(١٦ - ٣٥)
أولاً: أصل الدانشمنديين		١٦
ثانياً: بداية ظهور الدانشمنديين		٢٦
(الفصل الثاني)		
□ إمارة الدانشمنديين في سيواس		(٣٦ - ٧٦)
أولاً: عهد التأسيس والتوسع		٣٧
ثانياً: عهد الانحدار والسقوط		٦٢
(الفصل الثالث)		
□ إمارة الدانشمنديين في ملطية		(٧٧ - ١٠٢)
(الفصل الرابع)		
□ العلاقات السياسية بين الدانشمنديين والقوى الإسلامية المعاصرة		(١٠٣ - ١٦٥)
أولاً: علاقات الدانشمنديين بسلاجقة الأناضول		١٠٣
ثانياً: علاقات الدانشمنديين بالدولة الزنكية		١٣١
ثالثاً: علاقات الدانشمنديين بالإمارات المستقلة داخل الأناضول		(١٤٠ - ١٤٨)
(١) بنومنكوجك في أرزنجان وديريكي		١٤٠
(٢) بنوسلدق في أرضروم		١٤٥
رابعاً: علاقات الدانشمنديين بالأراقة		١٤٩
خامساً: علاقات الدانشمنديين (الدبلوماسية) بالقوى الإسلامية		(١٥٦ - ١٦٥)
(الفصل الخامس)		
□ العلاقات السياسية بين الدانشمنديين والقوى الفرنجية		(١٦٦ - ٢٠٤)
أولاً: جهاد الدانشمنديين مع القوى الإسلامية ضد الحملة الصليبية الأولى		١٦٦
ثانياً: علاقات الدانشمنديين بإمارة أنطاكية الصليبية		١٧٦
ثالثاً: علاقات الدانشمنديين بإمارة الرها الصليبية		١٩٤
رابعاً: جهاد الدانشمنديين مع القوى الإسلامية ضد الحملة الصليبية الثانية		٢٠٠
خامساً: علاقات الدانشمنديين (الدبلوماسية) بالأرمن والصليبيين		٢٠٣

الموضوع	الصفحة
(الفصل السادس)	
□ العلاقات السياسية بين الدانشمنديين والإمبراطورية البيزنطية	(٢٣٥ - ٢٠٥)
أولاً: العلاقات في عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين	٢٠٥
ثانياً: العلاقات في عهد الإمبراطور حنا كومنين	٢١٣
ثالثاً: العلاقات في عهد الإمبراطور مانويل حنا كومنين	٢٢٥
رابعاً: علاقات الدانشمنديين (الدبلوماسية) بالإمبراطورية البيزنطية	٢٣٤
□ الخاتمة	(٢٣٩ - ٢٣٦)
□ ملحق البحث	(٢٤٣ - ٢٤٠)
* أسماء حكام القوى السيلسية المعاصرين للدانشمنديين	٢٤٠
□ الخرائط	
(١) خارطة تقريبية توضح مناطق نفوذ الإمارة الدانشمندية في أقصى اتساعها.	٢٤٤
(٢) خارطة تبين خط سير الحملة الصليبية الأولى داخل الأناضول.	٢٤٥
(٣) خارطة تقريبية تبين الحدود الفاصلة بين القوى الإسلامية داخل الأناضول	
والدولة البيزنطية خلال فترة الحكم الدانشمندي	٢٤٦
□ المصادر والمراجع	
(١) المخطوطات العربية	٢٤٨
(٢) المصادر العربية والمعرية	٢٥٠
(٣) المراجع العربية والمعرية	٢٥٦
(٤) الأبحاث والدراسات العربية	٢٦٢
(٥) المصادر التركية والفارسية	٢٦٤
(٦) المراجع التركية والفارسية	٢٦٦
(٧) المصادر الأوروبية	٢٦٨
(٨) المراجع الأجنبية	٢٧٠
(٩) الأبحاث والدراسات الأجنبية	٢٧٥
□ فهرس المحتويات	(٢٧٨ - ٢٧٧)

مؤسسة شباب الجامعة
د. ش. الدكتور مطمن مشرفة
ت ٤١٣٩٤٧٢ - إلكترونية

مطبعة الانتصار
ELENSOR PRESS
غلاف
١٠ ش. الوردي كوم الدكة -- ت : ٤٩١٦٥٩٧